

www.kotobarabia.com
اتجاهات الفكر التربوى المعاصر
فى اسرائيل
www.kotobarabia.com
التحديات وسبل المواجهة
د.محمد فوزى عبد المقصود

اتجاهات الفكر التربوي المعاصر في إسرائيل
التحديات وسبل المواجهة

تأليف

دكتور/ محمد فوزي عبد المقصود

الفهرس

المقدمة

الفكر بوجه عام هو كل تصميم نظري لتجارب البشر أينمـا كانت هذه التجارب، وبمعنى آخـر هـو مجمـوع الأسـس النظرية والمفاهيم والمعاني التي تكمن خلف مظاهر السلوك الإنساني والتي تعكس التصورات الخاصة بحركة الإصلاح.

والفكر ليس شيئا ينبت من لا شيء فهو يمثل البناء الفـوقي الذي يعبر عن واقع اجتماعي يتماثل في البناء التحتي، ورغم أن العلاقة بين البناءين علاقة معقدة متبادلة وليست بالعلاقـة الانعكاسية البسيطة، إلا أن البناء التحتي يظل هو الأسـاس دائما.

والفكر يتطور ويتجدد باستمرار ما دامت الحياة تتغيـر وتتطور على الدوام، ولا يتخذ الفكر صورة واحدة، بل إن له صورا متنوعة، فهناك الفكر السياسي، وهناك الفكر الفلسفي وهناك الفكر الاقتصادي وهناك الفكر التربوي.

وتتجلى أهمية الفكر التربوي في أنـه يمثـل الإطـار النظري الذي يوجه العمل التربوي التطبيقي، فالعمل التربوي التطبيقي لا يمكن تحقيقه دون إطار نظـري مـن ورائـه..

ونستطيع أن نتبين الفروق الواضحة بين الممارسات التربوية التي لا تستند إلى إطار نظري، وبين تلك التي تستند إلى فكر محدد، إن الأولى تسير على غير هدى بلا غايات واضـحة أو وسائل متفق عليها لتنفيذ تلك الغايات، بينما تسير الثانيـة وفق فلسفة محددة لتحقيق هدف واضح.

وإذا كان الفكر التربوي يتأثر بأيديولوجية المجتمع، فإن البعض يرى أن ذلك ينأى بهذا الفكر عن تحقيق الموضوعية والوضوح وعدم التحيز.. فلكي تكون نظريات التربية علمية، يجب أن تتخلص من التأثير والتوجيه الأيـديولوجي، وهـو اتجاه رجعي محافظ يعمل على استمرار الوضـع الـراهن، ويتجنب المشكلات الاجتماعية والتربوية التي ينبغي معالجتها أو على الأقل تحديد مواقف منها، وهو اتجاه يطمس العلاقـة بين الفكر التربوي وبين الأساس الاجتماعي والاقتصـادي.. فالاتجاه الأيديولوجي يقوم بدور هـام فـي توجيـه الفكـر التربوي، يتأثر بالتوجيه الأيديولوجي للمجتمع كما أنه يـؤثر في تطوير الأيديولوجية، حتى العلوم التـي تتميـز بطـابع التجريد يظهر لها باستمرار جوانب أيديولوجية، أي أنها تتأثر بالتوجيه الأيديولوجي وتؤثر في تطوير الأيديولوجية.(١)

وحين وضع الصهاينة خطتهم لاغتصاب فلسطين منذ أواخر القرن الماضي، كان للفكر التربوي دوره الفعال في هذا المجال، فقد خطط الفكر التربوي الصهيوني إنشاء لجان ومنظمات وهيئات هدفها بث دعوة "هرتزل" وأمثاله بين اليهود في أوروبا، كانت تأخذ شكل دروس في العبرية وفي التلمود وفي الفكر السياسي الصهيوني، وقام منظرو الفكر التربوي الصهيوني بوصف الدواء الناجح وجدانيا ونفسيا لإخراج اليهود من أرض الشتات حتى يصبحوا مواطنين متجانسين[٢].. وفي ذلك يقول "هيرتزبرج": "يجب أن يعاد تشكيل الشعب اليهودي حتى يتسنى تحريره"[٣]، ولا يعكس هذا الشعار حالة الضعف والتمزق التي كانت سائدة بينهم فحسب، وإنما يؤكد أيضا على أهمية تربية اليهود وإعدادهم إعدادا طويلا قبل أن يصبح من الممكن تحريرهم وخلاصهم من الاضطهاد الذي كانوا يزرحون تحته حسبما يزعمون.

فالفكر التربوي وتطبيقاته كان يحظى بمكانة كبيرة في معادلة نجاحهم في صهر الخلفيات الحضارية المختلفة التي أفرزت اليهود من كل حدب وصوب من أوربا وأمريكا والشرق الأوسط، ليس هذا فحسب بل وتوظيف هذه التباينات

الحضارية لصالحهم في معظم الأحيان ولخدمة دولتهم. الفكر التربوي الذي طبقه الإسرائيليون منذ أكثر من نصف قرن أوجد كيانا سياسيا واقتصاديا وعسكريا استطاع الصمود أمام أمة ذات إمكانيات بشرية واقتصادية ضخمة، ومن هنا كان توجهنا إلى دراسة الفكر التربوي الإسرائيلي لمعرفة اتجاهاته وتطبيقاته وأبعاده ودور التربية العربية تجاهه.

مشكلة الدراسة

إن منطق البحث يتطلب من الإنسان إذا أراد أن يتصدى لمشكلة ما، أن يتناولها بالدراسة والتحليل ويتعرف على أبعادها المختلفة، وبعدها يمكن أن يفكر في حل لها. وفي فترات المجابهة والتحدي والصراع مع الآخر، تجد الذات نفسها ملزمة ومدفوعة بقوة لتتعرف على اتجاهات أفكار هذا الآخر، وأساليب وآليات تطبيق هذه الأفكار حتى تتمكن من أن تعد نفسها بطرق علمية لمواجهة هذا الآخر.. ومن سمات العصر الحالي قيام الدول والأمم، بل وحتى المؤسسات والشركات التجارية بتوجيه الكثير من الجهد والمال للإنفاق على البحوث والدراسات التي تحاول تحليل وفهم تكوين هذا الآخر الذي يقف موقف التحدي والمنافسة.

إن منطق المواجهة الشاملة يتطلب من كل قطـاع مـن قطاعات حياتنا أن يلعب دورا يتفق وطبيعة مكوناته ووظيفته في هذه المواجهة، ومن ثم كان علينا نحن العاملين في الحقل التربوي دراسة الجوانب التربوية للتحدي الصهيوني، ووضع كل ما نملك من طاقات وقدرات في خدمـة هـذه القضـية المصيرية.

إن الفكر التربوي في إسرائيل يعتبر أكثـر المصـادر إفصاحا عن بنية العقل الصـهيوني، وأصـدقها فـي بيـان مخططاته، وتحديد أهدافه وأبعاده، وكشف ركائزه ومحاوره، وهو يعد أحد الأسس الرئيسية التي ارتكزت عليها الصهيونية في بناء أجيالها الناشئة وتشكيل شخصياتهم، وتحقيق الهـدف الصهيوني الأول وهو إقامة الدولة اليهودية.

واتساقا مع هذا المنطق تحاول هذه الدراسة الإجابـة عن التساؤلات الآتية:

- ما مكانة الفكر التربوي المعاصر في إسرائيل، ومـا مصادر اشتقاقه؟

- ما أهم المعالم الرئيسية لاتجاهات الفكـر التربـوي الإسرائيلي المعاصر وتطبيقاته وفقا لأبعاده المختلفة؟

- ما دور الفكر التربوي الإسرائيلي المعاصر في تحديد مسيرة الحركة الصهيونية وتنفيذ سياستها التوسعية والعدوانية؟

- ما الجوانب الإيجابية والسلبية في الفكر التربوي الإسرائيلي المعاصر؟

- ما مسئولية التربية العربية في مواجهة تحديات الفكر التربوي المعاصر في إسرائيل؟

إن الإجابة عن هذه التساؤلات، تقتضي التعرف على أكبر قدر ممكن من جوانب الفكر التربوي وتطبيقاته في إسرائيل تعرفا يحاول أن يضع كل شيء في حجمه الواقعي دون تجاهل أو تضخيم، وإذا كان سعينا للوقوف على اتجاهات الفكر التربوي وتطبيقاته للآخر أمرا لازما، وإذا كانت المعرفة الموضوعية للفكر التربوي للخصم واجبا ضروريا وتعد جانبا أساسيا من جوانب المواجهة، فإن تلك المعرفة قد أصبحت مسألة حياة أو موت بالنسبة لنا بعد أن دخل الصراع العربي الإسرائيلي مرحلته الجديدة.. مرحلة عصر ما بعد.. "كامب ديفيد".

أهداف الدراسة

إن الهدف من هذه الدراسة لا يكمن في تقديم إحصائيات ومعلومات عن الحركة التعليمية في إسرائيل، بقدر ما يهدف إلى الوقوف على اتجاهات الفكر التربـوي وتطبيقاتـه فـي الكيان الصهيوني من خلال مدى توظيفه واستثماره للفلسـفة الصهيونية وتنظيرها، مع إبراز التحديات التي واجهت هـذه الاتجاهات والأساليب التي اتخذتها للتغلب عليها واحتوائهـا، وأخيرا تسعى الدراسة إلى التعرف على المطالب المفروضة على التربية العربية في مواجهة تحـديات الفكـر التربـوي الإسرائيلي المعاصر بأبعاده المختلفة.

أهمية الدراسة

تنطلق أهمية هذه الدراسة من الاعتبارات الآتية:

- إن الإنسان اليهودي هو الأداة الرئيسية لتنفيـذ المخططات الصهيونية، ومن هنا كان اتجـاه الفكر التربوي إليه ليعمق في نفسـه الشـعور بالانتماء، بحيث يتحول من يهودي تائه إلـى إسرائيلي جديد، وإليه يتجه الفكـر التربـوي

أيضا إن كان خارج إسرائيل ليهـاجر إليهـا أو ليقدم لها الدعم المادي والأدبي على الأقل.

- إذا كانت المنطقة العربية قـد بـدأت تعـرف الطريق إلى ما يسمى بالسـلام منـذ اتفاقيـة "كامب ديفيد" عـام ١٩٧٩، وتوقيـع اتفاقيـة "أوسلو" عام ١٩٩٣.. نقول: إن كان كل هـذا قد حدث، فإنه لا يعني بأي حال من الأحـوال أن الصراع بين العرب وإسرائيل قد انتهـى، فالصراع لا يعني فقط تبادل إطلاق النار، إن الصراع بيننا وبينهم في الفترة المقبلة سيكون صراعا فكريا وحضـاريا، وسـوف تكـون أسلحته أشد ضـراوة مـن أسـلحة الحـرب والدمار، إنها أسلحة العلـم والفكـر والثقافـة والتربية والتعليم، وفي الصـراع الحضـاري غالبا ما يكون النصر حليفا للحضارة المزودة بقوة التربية والعلم والثقافة.
- في الوقت الذي تعددت فيـه الكتابـات عـن الصراع العربي الإسـرائيلي مـن منظـور

سياسي، واقتصادي واجتماعي، لا يزال الإسهام التربوي في هذا المجال، لا يتناسب وطبيعة الصراع العربي الإسرائيلي، وإذا كانت القضية التربوية تمثل بعدا استراتيجيا يحدد إطار حركة الأجيال القادمة في هذا الصراع، فإن التربية العربية مطالبة بدراسة وتحليل اتجاهات الفكر التربوي في الكيان الإسرائيلي حتى يمكن اتخاذ الأساليب اللازمة لمواجهتها والتصدي لها.

منهج الدراسة

تعتمد الدراسة على منهجين هما: المنهج التاريخي والمنهج الوصفي، فالمنهج التاريخي يسهم في التعرف على الجذور التاريخية للفكر التربوي المعاصر في إسرائيل، كما يفيد المنهج الوصفي في تكوين نظرة تحليلية ناقدة للفكر التربوي الإسرائيلي في إطار فهم العوامل الاقتصادية والاجتماعية والتاريخية والسياسية المتفاعلة في هذا المجتمع، فضلا عن الإحاطة بطبيعة العلاقات بين جماعاته والقوى العالمية والمحلية المؤثرة فيه والمتأثرة به، وهو أمر لازم سواء

أصابت هذه النظرة أو أخطأت.. وإذا كـان تناولنـا للفكـر التربوي وتطبيقاته في إسرائيل من منظور "عربي مصـري" يفرض علينا صراعا حتميا بين مقتضيات التجـرد العلمـي ومقتضيات الالتزام الوطني، فسـوف نلتـزم بالموضـوعية العلمية التي ترتكز على عدم التهوين من قدر الآخر ولا من قدر أنفسنا، كما أننا لن نهول من قدره أو قدر أنفسنا.

وإذا كانت دراستنا في منحاها المنهجي تسـتهدف التعـرف على اتجاهات الفكر التربوي المعاصر في إسرائيل وتطبيقاته من الخارج، فإن هذا الأمر يثير جدلا ونقاشا، فهناك اتجـاه يرى ضرورة التعرف على هذا الفكر من خـلال الاتصـال المباشر، بمعنى الاحتكاك بـالواقع مـن خـلال الدراسـات الميدانية بكل أنماطها والتي تكفل اتصالا حيا بالناس، وهو ما يحقق موضوعية منصفة تتجنب الانحياز المسبق، في حـين أن التعرف على الفكر الإسرائيلي من الخارج يعتمـد علـى التأويل والتفسير والمعلومات المجزأة، ويتيح هامشـا كبيـرا للتحيز والأحكام المسبقة.

والواقع أن التعرف على اتجاهات الفكر وتطبيقاته بصفة عامة واتجاهات الفكر التربوي وتطبيقاتـه بصـفة خاصـة

لمجتمع ما وليس في إسرائيل فحسب، لا يقتصر الحكم على طبيعتها وموضوعيتها وفقا لمنطق معرفة هذه الاتجاهات من الخارج أو الداخل، بل وفقا لمعايير مركبة تأخذ في حسبانها الهدف من التعرف على هذه الاتجاهات، ودقـة الأسـاليب المطبقة لفحصها وتحليلها، ومدى توفر الوثـائق والمراجـع اللازمة لتحقيق ذلك، ومدى صحة المعلومات ووعي الباحثين بتحيزاتهم المسبقة والقيمية، وقـدرتهم علـى إبـراز هـذه التحيزات وإخراجها إلى حيز الوعي والعلن.. وبنـاء علـى ذلك فإن المعرفة لأي مجتمع من الخارج إذا ما تـوافر لهـا المعايير السابقة، يمكن ألا تقل في موضوعيتها عن الدراسة من الداخل، ويمكن أن تتخذ فـي ضـوئها قـرارات بالغـة الأهمية، بل إنه يمكن القول أن مجرد القيـام بدراسـة مـن الداخل لا يعني ذلك تحقيق الموضوعية، إذ يمكـن لباحـث عربي أن يزور إسرائيل ويجري بحثا ميـدانيا، ولكنـه قـد يخلص إلى نتائج غير موضوعية سواء لتحيزاتـه الفكريـة المسبقة أو لعجزه عن القراءة الدقيقة للواقع.

محتوى الدراسة

تشتمل الدراسة على الفصول الآتية:

الفصل الأول بعنوان: مكانة الفكر التربوي في إسرائيل ومصادر اشتقاقه.

الفصل الثـاني بعنـوان: اتجاهـات الفكـر التربـوي الإسرائيلي ذات البعد العملي.

الفصل الثالث بعنـوان: اتجاهـات الفكـر التربـوي الإسرائيلي ذات البعد الديني.

الفصل الرابع بعنـوان: اتجاهـات الفكـر التربـوي الإسرائيلي ذات البعد التاريخي والقومي.

الفصل الخامس بعنـوان: اتجاهـات الفكـر التربـوي الإسرائيلي ذات البعد الاجتماعي والثقافي.

الفصل السادس بعنـوان: اتجاهـات الفكـر التربـوي الإسرائيلي ذات البعد النفسي.

الفصل السابع بعنـوان: اتجاهـات الفكـر التربـوي الإسرائيلي ذات البعد العسكري.

الفصل الثامن بعنـوان: اتجاهـات الفكـر التربـوي الإسرائيلي ذات البعد العلمي والتكنولوجي.

الفصل التاسع بعنوان: نحو رؤية نقدية لاتجاهات الفكر التربوي في إسرائيل.

الفصل العاشر بعنوان: دور التربية العربية في مواجهة تحديات الفكر التربوي المعاصر في إسرائيل.

هوامش المقدمة

١- محمد نبيل نوفل، دراسات فـي الفكـر التربـوي المعاصر، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٢٦.

٢- سمير هوانة، "نظام التعلـيم العـام فـي الكيـان الإسرائيلي، التطور الكمي والنوعي في التعليم العـام حتـى بداية الثمانينات"، المستقبل العربـي، السـنة ٨، العـدد ٨٦ (يناير/ابريل ١٩٨٦)، ص ٦٣.

٣- Arthur Hertzberg, "the zionist Idea, a Historical Analysis and Reader", (New York) Wiley and sons, ١٩٦٦, p. ١٨.

الفصل الأول
مكانة الفكر التربوي في إسرائيل
ومصادر اشتقاقه

مكانة الفكر التربوي في إسرائيل

للتربية والتعليم عند اليهود مكانة خاصة، ويعتبران من القيم الرئيسية التي يؤمنون بها أينما وجدوا في جميع أنحـاء العالم، وحب التربية والتعليم كانا منذ القديم تعبيرا عن وصية توراتية تقول: "ولسوف نعلمها لأطفالك".[1]

إن إسرائيل دولة محدودة الموارد، لذا كان لها أن تركز على الاهتمام بالتربية بجوانبها المختلفـة كوسـيلة أساسـية لحسن استغلال الموارد المحدودة، كما نظرت إليها كوسـيلة من مستلزمات الدفاع الوطني، بل اعتبرت دورها يفوق دور دبابات "السنتوريون" التي تؤلف عاملا هاما من عوامل الأمن والسلامة بالنسبة لمستقبل إسرائيل القريب، بينما تمثل التربية العامل الأكثر أهمية بالنسبة لمستقبل إسرائيل البعيد.[2]

ويكشف "إلياهو كوهين" عن دور التربية في إسـرائيل في تكوين أو تنشئة الطلائعيين قائلا: "إن دولة إسرائيل بدون طلائعيين كالقطار بدون قاطرة، والنجاح في هـذا لا يـأتي إلا من خلال النفاذ إلى المدرسة التي تعد عامل تربوي حاسم في تربية الجيل".[٣]

واعتبر "بن جوريون": "أن الحركـة الصـهيونية فـي إسرائيل لن يكون لها مستقبل بدون تربية وثقافة عبرية لكـل يهودي كواجب ذاتي".. ويتساءل "بن جوريون": "مـا الـذي سيحفظ اليهودية؟"، ويجيب قائلا: "إنها التربيـة العبريـة"[٤] وأوضح "جولدمان" أثر التربية والثقافة في تشجيع الهجرة إلى إسرائيل قائلا: "إذا لم يتم تثقيف وتربية جيـل يهـودي فـي معركة التربية اليهودية الكبرى، فلن تحصل إسرائيل علـى هجرة من الدول الأخرى، فالتربية اليهودية مرتبطة بتشـجيع الهجرة"[٥].

وفي المؤتمر الصـهيوني السـابع والعشـرين، شـبه "شمعون افيزيمر" العلاقة بين الحركة الصهيونية وبين التربية بالعلاقة بين الشكل والمضمون "فالحركة الصهيونية بجميـع مؤسساتها، وأقسام الوكالة الصـهيونية هـي الإطـار أولا

وأخيرا، وأما التربية فهي الروح وهي الجوهر. وبالطبع فإن التربية دون إطار ستكون تصميما بدون شكل"(٦)

وأشار "زبولون هـامر" وزيـر المعـارف والثقافـة الإسرائيلي السابق إلى أهمية التربية في مواجهة التحـديات التي يواجهها المجتمع الإسرائيلي قائلا: "إن صـمودنا أمـام التحدي الكبير الذي يواجهنا يتمثل في مقدرتنا علـى تربيـة قومية مرتبطة بالتعاليم الروحية اليهودية، تربية يتقبلها الطفل راغبا وليس مكرها، وعلى جهاز التعليم الرسمي والشعبي أن يتحمل التبعات الكبيرة أمام التحديات التي تواجه إسرائيل".(٧)

وأوضح "ليفي اشكول" أثر التربية في تأصيل اليهوديـة في نفوس اليهود قائلا: "إننا لا نكافح في الوقت الحاضر من أجل حقوق يهودية ليهود المنفى، ولكن مـن أجـل تأصـيل اليهودية بينهم، أي تأكيد الشخصية اليهودية وقوة عبقريتهـا، إننا لا نسعى إلى إقامة مدارس يهودية للأطفال وإنما لتربيـة يهودية". (٨)

وأبرز "آحدها عام" دور التربية فـي تحقيـق الوحـدة والتماسك الاجتماعي بين أبناء الشعب اليهودي مؤكـدا: "أن ذلك يتم بوسيلتين: الأولى: فتح المجال أمام أبنـاء الشـعب

اليهودي من خلال التزود بثقافة قومية مشتركة خاصة بهـم، والثانية إيجاد نظام تعليمي يمكن جميع أفراد الأمـة مـن أن يتشربوا تلك الثقافة وينصهروا فيها، فيكون تأثيرهـا علـيهم ظاهرا في حياتهم وأفكارهم الفردية والاجتماعية".[٩]

أما "ماير بار ايلان" فهو يـرى: "أن تربيـة الشـباب والتأثير على الكبار أكثر أهمية من تشريع القوانين؛ لأن من شأن هذه التربية أن تؤدي إلى قبول القوانين وشرائع التوراة قبولا داخليا من أجل قيمتها الذاتية وبشكل اختياري، ولـيس عن طريق الضغط الجسدي أو المعنوي".[١٠]

وأكد "مناحم كابلان" على أهمية الفكر التربوي معتبـرا إياه "الإطار الأيديولوجي، وأحد الأسس والركائز الهامة لبناء جيل يهودي ووطن صهيوني".[١١]

وتكلم "هرتزل" في يومياته عن التربية كأسلوب لتحقيق هدفه، وأشار إلى بعض المواد التـي يضـعها فـي مقدمـة منهاجه، وهي:"الأناشيد الوطنية والمسرحيات البطولية".[١٢]

وعبر "استرزئيل" عن أهمية التربية في ريادة المجتمـع الإسرائيلي قائلا: "إذا أرادت إسرائيل المحافظة على مكانتها

بصفتها الزعيمة الروحية للشعب اليهودي كله، فمن الواجب عليها أن تنهض بالتربية والتعليم والقيم الروحية".[١٣]

وأشار الدكتور "يسرائيل جولد شتاين" إلى "أن التربيـة في إسرائيل ينبغي أن تجمع بين الجوانب الروحية والجوانب المادية، وأن توضع (قضية التربية) بأسرها في أعلى مرحلة من سلم الالتزامات المفروضة على الجاليات اليهوديـة فـي مختلف الدول".[١٤]

ولا يقف "يتسحاق هركابي" عند الحد الذي وقف عنـده الكثيرون عندما قالوا بإن التربية وسيلة للمحافظة على بقـاء اليهود في العالم، وإنما خطا خطوة إلى الأمام حيث أكـد "أن هذه التربية مطلوب منها أن تعمل كذلك من أجل النهـوض باليهود وترقيتهم، بحيث يصبح اليهود أمة لا تقل في مستواها الحضاري عن الولايات المتحدة الأمريكية والأمم المتقدمـة في أوروبا".[١٥]

ومنذ إعلان إسرائيل عام ١٩٤٨ وحتى الستينات كـان الفكر التربوي الإسرائيلي يستهدف تغليب الجانب الاجتماعي والاتجاهات السياسية على الانجازات الشخصية، وهو ما أدى إلى سيادة المضامين السياسـية والقوميـة علـى المنـاهج

الدراسية، وقد علق "أور" أحد رجال الفكـر التربـوي فـي إسرائيل على هذا الوضع قائلا: "إنه يؤدي إلى روتين ثابـت وإلى تعليم لا يحث على الإبداع، كما أن التركيز على الواقع يمكن أن يؤدي إلى إهمال الجانب النفسي وإهمـال التعلـيم الفردي".[١٦]

وقد ظل هذا الاتجاه هو المؤثر في التعليم الإسـرائيلي لأكثر من عشرين عاما، ثم أخذ دوره يتناقص شيئا فشـيئا، وبدأت الاتجاهات الفردية في الظهور نتيجة ظهور قيم جديدة تؤكد على المصلحة الفردية وتحقيق الطموحات الشخصـية، وانعكس ذلك على تخطيط المناهج بحيث أصـبح تخطـيط المنهج يعكس كلا مـن الحاجـات الاجتماعيـة والحاجـات الفردية.

ويرتكز الفكر التربوي المعاصر في إسرائيل على عدة مبادئ تتمثل فيما يلي:-

- ضرورة وجود ميكانيزم داخلي للتغيير والتجديد على أساس مفهوم عملية التغير البطيء المستمر أكثر من الثـورة المتطرفة.

- إن إعادة صياغة الأهداف التعليمية أمر لازم، بحيث تجمع بين التوجه الاجتماعي والحفاظ على المنظومة القيمية من جهة، والتأكيد على الأبعاد ذات التوجه الفردي من جهـة أخرى.

- أن التوجه إلى العالم المتغير والمتطور يتطلب البحث عن سبل جديدة لتكوين شخصية التلميذ الإسرائيلي يتمثل في تدريبه على الطرق اللازمة للتفكير المستقل والقـدرة علـى صنع القرار العقلاني وطرق التربية الذاتية وإلغـاء تكثيـف المعلومات، والقدرة على امتلاك نظرة كلية للأمور، والتأكيد على العلوم الطبيعية والتكنولوجيا الحديثة وتعميق الدراسات الإنسانية واليهودية.

- إن عملية زيادة الديمقراطيـة المباشـرة ومشـاركة المواطن في عمليات صنع السياسة التعليمية تتطلب وجـود تفاعل حقيقي متبادل بين المجتمع والمدرسة، كما أن التطبيق يتطلب لا مركزية متماسكة وذات هدف، وأن إشراك الآبـاء والمعلمين في معالجة الكثير من القضايا التعليمية سوف يقلل من بيروقراطية النظام المركزي.

- إن التعليم أداة لنقـل الخبـرات الماضـية للشـعب اليهودي، واكتساب الخبرات والمهارات الحياتيـة، كمـا أن تربية المستقبل أمر لازم، فهي تربية تقوم على أساس توقـع ما يمكن أن يقع أو يحدث لإسرائيل، ويـؤثر علـى أمنهـا القومي وتحاشيه أو تغييره قبل أن يقع.(١٧)

- إن التركيب الاجتماعي للمجتمع الإسرائيلي يتطلـب إعادة تقويم الإنجاز ومدى ما حققته المناهج التعليميـة مـن فوائد، والتنويـع ضـروري لتكييـف الأشـكال التعليميـة والمحتويات المختلفة في المجتمع.

- إن الحد من الصرامة الحادة للنظام يتطلـب تنظـيم البناء وحيوية الإدارة.. إن النظام المعاد تشـكيله يجـب أن يكون مرنا ومتحررا من أي مداخل مقاومة للتغييـر والتـي تعوق التجديد.

- الأخذ بمبدأ تحقيق تكافؤ الفرص التعليمية مع توجيه رعاية خاصة للصفوة، واهتمام بتنشئة الأطفال المحـرومين ورفع مستوى تعليم الأقليات.

- التأكيد على تدريب المعلمين المستمر أثناء الخدمـة، وهذا التدريب جوهري لمستقبل النظام.

- إزالة العوائق الخارجية التي تحد من حرية السياسات التعليمية.

- التوجه دائما للاستشراف المستقبلي، وهو ما يتطلب التغير المستمر في وظائف المدارس وربطها بالاحتياجات والأهداف القومية للدولة.(١٨)

وفي ضوء ما سبق يتضح أن الفكر التربوي وتطبيقاته في إسرائيل يحتل موقعا هاما ومكانة كبيرة في توجهات الدولة، ذلك لأن اليهود – كما هو معروف – ينتمون إلى شعوب متعددة خضعوا لها في أصول التربية وعوامل التوجيه.. لذا كان عليهم أن يشكلوا شيئا واحدا طبقا لمفاهيم الأيديولوجية الصهيونية، ومن ثم أكد الفكر التربوي في إسرائيل على التربية كسلاح رئيسي وجبهة أساسية من جبهات القتال، وأنها أداة أساسية في عملية بناء الأمة اليهودية المنشودة وإزالة التناقضات بين عناصرها.

لقد فطنت الصهيونية إلى أهمية الفكر التربوي وتطبيقاته منذ زمن بعيد، وما من مؤتمر من المؤتمرات الصهيونية إلا وكانت التربية بندا من جداول أعماله، لقد أنشأت مجلسا للتعليم في فلسطين منذ أواخر القرن التاسع

عشر، وأنشأت منذ الثلاثينات من هذا القرن الدائرة التربوية لهجرة الشباب اليهود كجهاز من أجهزة المنظمة الصـهيونية العالمية، واعتبرت الجامعات بمثابة مفتاح للهجـرة وجسـرا للدياسبورا أي – الشتات -، كما عملت الحركة الصـهيونية على إطلاق قوى شديدة الفعالية في أوسـاط الشـبيبة مثـل (حركة الجدناع)• و (الناحال)• (١٩)

مصادر اشتقاق الفكر التربوي المعاصر في إسرائيل

يشتق الفكر التربوي المعاصر في إسرائيل مقوماته من عدة مصادر بعضها ذو صبغة دينية مثل النصوص الدينيـة اليهودية المقدسة كالعهد القديم والتلمـود، وهمـا نصـوص مكتوبة يستمد الفكر التربوي من خلالهما اتجاهاته في تكوين الشخصية الإسرائيلية والبعض الآخر يتصل بالتاريخ الـذي مر بـه بنـو إسـرائيل، وهنـاك المصـادر ذات الطـابع الأيديولوجي التي تتمثل في الأيديولوجية الصـهيونية التـي لعبت دورا هاما في بناء الكيان الإسـرائيلي، فضـلا عـن

• حركة الجدناع يطلق عليها "كتائب الشباب والأحداث"، حيث تسهم في مساعدة الشباب على اختيار السلاح الملائم قبل الدخول في سلك الخدمة العسكرية، ويقوم أفرادها بأعمال الدفاع المدني.

• الناحال تنظيم يطلق على الشباب الريادي المقاتل الذي يجمع بين التعليم الزراعي والتعليم العسكري.

مؤثرات الحضارة الغربية التي أسهمت في تشكيل الفكر التربوي الإسرائيلي بأبعاده المختلفة.. وفيما يلي دراسة تحليلية لهذه المصادر:

أولا: النصوص الدينية اليهودية المقدسة

وتتمثل فيما يلي:-

١- العهد القديم: يمثل العهد القديم نصوصا دينية تتضمن التشريعات والقيم والأفكار الخاصة باليهود، فضلا عن الوقائع والأحداث التي مر بها بنو إسرائيل، وقد أطلق عليها اسم (العهد القديم) تمييزا لها عن الشرائع المسيحية التي أطلق عليها اسم (العهد الجديد)، ويراد بكلمة العهد الميثاق الذي أخذه ا على الناس وارتبطوا به معه.. وينقسم العهد القديم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: يتمثل في التوارة، وتشتمل على أسفار خمسة: التكوين، والخروج، واللاويون (الأحبار)، والعدد، والتثنية.

القسم الثاني: ويتضمن أسفار الأنبياء المتقدمين والمتأخرين.

القسم الثالث: ويتمثل في "الكتابات" وتتضمن المزامير والأمثال والأناشيد والمراثي وأسفار دانيال وعزرا ونحميا وغيرها.[٢٠]

وسوف يقتصر حديثنا على التوراة باعتبارها أهم نصوص العهد القديم.

تعتبر التوراة الأساس الذي تقوم عليه العقيدة اليهودية، ومصدرا هاما في ترسيخ الوعي الديني لدى أبناء الشعب اليهودي منذ الصغر... والتوراة كلمة متعددة الأبعاد والدلالات والمعاني، فهي تشتمل على التعاليم والأحكام الدينية، كما تشتمل أيضا على قواعد السلوك بين الناس وعلى مجموعة من القوانين وأنماط الحياة، كما أنها أيضا كتاب التشريع والأناشيد.

والكلمة في الأصل لم تكن ذات معنى محدد، إذ كانت تستخدم بمعنى "قانون" أو "شريعة" أو "تعليم" أو "نظرية" أو "أوامر دينية"، ولكنها في القرن السادس (ق-م) صارت تعني الشريعة بوجه عام.

وفي ضوء ذلك فالتوراة بصفة عامة هي منهج في الحياة، أو كما أوضح "ملتون ستينبرج" هي كلمة مترادفة مع العلم والمعرفة ومحبة الرب وطاعة أوامره.[(٢١)]

وتعتبر التوراة المحور الأساسي الذي يستقي منه الفكر التربوي الإسرائيلي مضامينه واتجاهاته، فهي مصدر أساسي لتاريخ اليهود، كما تعد مصدرا هاما للهداية والإرشاد والتوجيه، ومنها القوانين الدينية المختلفة الخاصة بقواعد الطعام (الكاشير) والحلال والحرام، وتحريم الزواج المختلط والختان وصلاة الجماعة (المينان)• [(٢٢)]

وقد لعبت التوراة دورا تربويا هاما في تنمية الوجدان الديني اليهودي، حيث يعتقد اليهود أنها أقدم ما في هذا العالم، فيها ولها خلق الله الدنيا، وأنها عروس الله التي تجلس إلى جواره على العرش.. وتشكل التوراة الأرضية المشتركة بين اليهود المتدينين والملحدين، فهما يشتركان في تقديسها، فالمتدينون المؤمنون يقدسونها لأنها مرسلة من عند الله، لذلك فهي نسيم الحياة، أما الملحدون فيقدسونها لأنها جزء من فولكلور الشعب اليهودي.[(٢٣)]

• المينان كلمة عبرية معناها عدد، وتطلق على المجموعة المكونة من عشرة أشخاص يهود في سن الثالثة عشر، وهو الحد الأدنى للقيام بصلاة الجماعة.

ويبرز الزعيم الصهيوني "حاييم لاندو" القيمة التربوية للتوراة حيث يؤكد على قيمتين:

الأولى: التوراة كشريعة يجب على كل فرد يهودي أن يطيعها.

الثانية: التوراة كروح قومية، كمصدر لثقافة الشعب اليهودي وحياته.(٢٤)

ويرى "دافيد داوننج" أن التوراة قد أعطت لليهود الذين بنوا إسرائيل الحديثة إحساسا فريدا باللقاء مع ماضيهم المجيد، كما أعطتهم أيضا حلما بالمستقبل".(٢٥)

ومن بين نصوص التوراة تقف مجموعة من النصوص اصطلح على تسميتها (الوصايا العشر) لتكون درة التاج في تكوين الشخصية الإسرائيلية وتربيتها، وقد تلقاها النبي "موسى" عليه السلام عن طريق الوحي في سيناء.. وقد صيغت الوصايا بضمير المخاطب بما يعني أنها موجهة لكل فرد من بني إسرائيل، لأن التوجيهات الجماعية كما يرى "فيلون" يمكن أن يتخلص منها الفرد.. وتفتقر الوصايا العشر إلى الطابع الإنساني الشامل، وتختص في عدد من النواهي على اليهودي فقط ولا تتعداه لمن هو غير يهودي.(٢٦)

وتتضمن الوصية الأولى نصا يقول: "أنا الـرب إلهـك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي" (سـفر الخـروج – الإصـحاح: ٢٠).. وبتأمل هذه الوصية نجد أنها تعكس انعزالية عقيدية تجعـل الرب إلها خاصا ببني إسرائيل، كـذلك فهـي ترسـخ فـي الوجدان اليهودي الإحساس بالعلاقة الخاصة بين بني إسرائيل والرب.

وتقول الوصية الثانية: "لا تصنع لـك تمثـالا منحوتـا ولا صورة مما في السماء من فوق، ولا مما في الأرض من أسفل، ولا مما في المياه تحت الأرض.. ولا تسـجد لهـن، ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك، إله غيور" (سفر الخروج – الإصحاح:٢٠)، ويفهم من هذه الوصـية تحـريم صـناعة التماثيل والصور التي تعبد علـى غـرار الآلهـة، ويـرى "ديورانت" أن هذه الوصية أثرت بالسلب على العلوم والفنون عند بني إسرائيل.[٢٧]

وتخاطب الوصية الثالثة اليهودي قائلة: "لا تنطق باسـم الرب باطلا، لأن الرب لن يبرئ من ينطق باسـمه بـاطلا"

(سفر الخروج – الإصحاح:٢٠) ومن الواضح أن هذه الوصية تحرم على اليهودي القسم الكاذب.

أما الوصية الرابعة فتتعلق بتحديد يوم السبت عطلة لليهود قائلة: "اذكر يوم السبت لتقدسه.. في ستة أيام تعمل وتصنع جميع أعمالك، واليوم السابع سبت للرب إلهك.. لا تصنع فيه عملا بك أنت وابنك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي في داخل أبوابك" (سفر الخروج – الإصحاح:٢٠) وفي نفس الإصحاح إشارة إلى سبب تحريم العمل يوم السبت "لأن الرب في ستة أيام خلق السماوات والأرض والبحر وصنع ما فيها، وفي اليوم السابع استراح، ولذلك بارك ا يوم السبت وقدسه".. ويرى بعض المفسرين اليهود أن في اختيار السبت عطلة، فيه شعور بالسعادة وراحة الضمير، وهذا الشعور يقرب الإنسان إلى ا [٢٨]، غير أن هذه الوصية في الوقت الذي حرمت فيه العمل يوم السبت لم تتضمن أمرا بما يجب على اليهودي أن يفعله يوم السبت.

وتأمر الوصية الخامسة اليهودي باحترام الأب والأم قائلة: "أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي

يعطيك الرب إلهك" (سفر الخروج – الإصحاح العشرون)..
ومن الواضح أن البشر معتادون على احترام الأبوين دون أن يؤمروا بذلك في الوصايا العشر أو في أي مكان آخـر فـي التوراة.

والوصية السادسة (لا تقتل) (سفر الخروج – الإصحاح العشرون) وهو مبدأ مثالي صعب المنال لأننا نرى الكثير من أحاديث التقتيل والتدمير التي ارتكبها بنو إسرائيل في أسفار العهد القديم.

والوصية السابعة تقول: "لا تزن" (سـفر الخـروج – الإصحاح العشرون)، وبذلك تجعل هذه الوصية الزواج هـو الأساس الذي يجب أن تقوم الأسرة عليه، وتنهى عن الزنـا بأي امرأة حرمها التشريع اليهودي.

وتنهي الوصية الثامنة عن السرقة (لا تسـرق) (سـفر الخروج – الإصحاح العشرون) وهو ما يعني أنها تقرر حق الإنسان في الملكية الفردية وتنهي نهيا تامـا عـن السـرقة أيا كانت سواء بطريقة مباشرة أو غيـر مباشـرة، ويعلـق "ديورانت" على هذه الوصية بقوله: "وليس لدينا ما يدل على أن هذه الوصية الجميلة قد أطيعت"[(٢٩)]

أما الوصية التاسعة فقد نصت على: "لا تشـهد علـى قريبك شهادة زور" (سفر الخروج - الإصحاح العشرون)

وفي الوصية العاشرة: "لا تشته بيت قريبك، ولا تشـته امرأة قريبك، ولا عبده، ولا ابنه، ولا ثـوره، ولا حمـاره، ولا شيئا مما لقريبك" (سفر الخروج – الإصحاح العشرون)

وبوجه عام فإن هذه الوصايا في جملتها كان لها أثر في سلوك أصحابها بدرجة لا تقل عـن أثـر معظـم الشـرائع القضائية أو الأخلاقية، وأنها برغم شتاتهم أبقت لهم كبرياءهم وأوصلتهم خلال القرون الطوال إلى وقتنا هذا وهـم شـعب متماسك.

وقد أبرز "روبرت لافون" دور التوراة في تعليم اليهود بعض العلوم قائلا: "للتوراة فضل كبير في تعليم اليهود علـم الحساب لوجود علاقة بين الأرقام والحروف، وبما أن كلمـة المعرفة والعلم مرادفة لكلمة التوراة، فإنها حثت اليهود على البحث والاستنتاج والمعرفة وكان ذلك هو سبب تفوق اليهود وتميزهم، وقد أتاحت التوراة الفرصة أمام اليهود للبحث فـي الرياضة وعلم الجبر، كما أنها قدمت وصفات طبية لـبعض

الأمراض من خلال التعليمات التي أكسبت اليهـود خبـرة ثمينة في الطب"(٣٠)

ومن التوراة استقى اليهود تعليمات في أعمـال العنـف واستخدام القوة، فقد جمعت قوانين الحرب في العهد القديم في (سفر التثنية، الإصحاح ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٤) حيث يوظـف الفكر التربوي الإسرائيلي هذه القوانين في تلقـين الطـلاب اليهود منذ الصغر كل ما يحض علـى الحـرب والتوسـع والاحتلال واستخدام العنف.

وقد استمد اليهود نظرية تفوقهم على البشر من التوراة، فقد وعد ا إبراهيم بأن يبارك عشيرته ويجعلهم أمة فريدة، فتفضيل الإله لبني إسرائيل هو عقد ليس راجعا إلى مبـرر خلقي، بل هو عقد دخل فيه الإله، فهو ملـزم إلـى الأبـد، وأفضلية اليهود أزلية لن تتغيـر، فـاليهود هـم شـعب ا المختار، لأنهم أمة قائمة على التوراة، وهو ما أسهم في تأكيد الفكر التربوي الإسرائيلي على مبـدأ الاسـتعلاء والتفـوق العنصري اليهودي علـى بقيـة شـعوب الأرض، وأن ا اصطفاهم دون شعوب الأرض لأنهم أرفع من طينـة بـاقي العالم.(٣١)

وفي نصوص التوراة يجد الصهيونيون الحجـج التـي يبنون عليها مطالبهم ويعتمدون عليها في تنفيـذ مشـاريعهم الاستيطانية فقد صرح "هرتزل" في المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في "بال" بسويسرا عام ١٨٩٧ قـائلا: "إن هـدف الحركة الصهيونية هو تنفيذ النص الوارد في الكتاب المقدس بإنشاء وطن قومي يهودي في فلسطين"(٣٢)، وهكـذا اسـتمد الفكر الصهيوني فكرة الأرض الموعودة والوطن القومي من التوراة، وحولها من المجال العاطفي إلى المجال السياسـي، وترتفع أقوال التوراة التي تروج لفكرة الأرض الموعودة في كل مكان في إسرائيل.

وكثيرا ما تحتوي التوراة في بعض مضـامينها علـى تناقض، إن الرب في التوراة يذكر كثيرا فـي إطـار مـن المهابة والجلال، ولكن يوضع في أحيان كثيرة في مواضـع لا تليق بالرب الإله العظيم.

فقد صورته التوراة في أحد المواضـع فـي صـورة المساوم مع أحد عباده.." جاء على لسان يعقوب أنه قال: "إن كان ا معي وحفظني في هذا المكان الذي أنا سـائر فيـه

وأعطاني خبزا لآكل، وثيابا لألبس، ورجعت بسلام إلى بيت أبي يكون الرب لي إلها". [٣٣]

وفي موضع آخر تنسب التوراة لرب إسرائيل النسـيان والتذكر حيث تقول: "وتنهد بنـو إسـرائيل مـن العبوديـة وصرخوا، فصعد صراخهم إلى ا   من أجل العبودية فسـمع ا   أنينهم، فتذكر ا   ميثاقه مع إبراهيم وإسـحق ويعقـوب" (سفر الخروج – الإصحاح الثاني).

ورب إسرائيل لا يعرف بيوت أبناء شعبه كأنه غريب، فيطلب إليهم أن يضعوا علامة على أبواب بيوتهم ليجتازهـا حين يمر لإهلاك المصريين (سفر الخروج – الإصحاح١٢).

وفي أحد المواضع يوبخ موسى ربه قائلا لـه: "لمـاذا أسأت إلى هذا الشعب؟ لماذا أرسلتني؟ فإنه منذ دخلت إلـى فرعون لأتكلم باسمك، أساء إلى هذا الشعب وأنت لم تخلص شعبك" (سفر الخروج – الإصحاح ١٥).

وقد يرجع هذا التناقض – فـي رأي الـبعض – إلـى تلاعب بني إسرائيل في كتابهم المقدس، وأنهم حرفوه حاذفين منه ما حذفوا، ومضيفين إليه ما أضافوا إشباعا لنزعات غير خلقية في نفوسهم، كما يـرى الـبعض الآخـر أن التـوراة

الموسوية كانت قد فقدت من المجتمع اليهودي لعدة قـرون، بحيث صار من المحتمل أن يكون نصها الذي كتبه "عـزرا" "عزيز عند العرب" مختلفا جدا عما أنزل على موسى، فبـين الرجلين ما يقرب من ألف سنة من الزمان، بل إننا نشعر أن موسى بعد أن مات لم يحتفظ العبريون من ذكراه بشيء.(٢٤)

ولسنا هنا بصدد تحقيق هذه القضية، وكل مـا ينبغـي التأكيد عليه أن التوراة تشكل ينبوعا أساسيا للفكر التربـوي الإسرائيلي مهما أحيط بها من شكوك.

٢- التلمود: التلمود وثيقة من أهم الوثائق الدينية فـي التراث اليهودي، وتعني كلمة التلمـود بالعبريـة "المعرفـة" أو "التعليم" على أساس التقليد السماعي أو الشـفهي، ويمثـل التلمود روايات شفهية تدور حول تفسير العهد القديم، تناقلها الحاخامات اليهود من جيل إلى جيل، وبعد المسـيح بمائـة وخمسين عاما خاف أحد الحاخامات المسمى "يوحناس" مـن أن تلعب أيدي الضياع بهذه التعاليم الشفهية وتلك الروايـات المتناقلة فجمعها في كتاب سماه (المشـنا)، ومعنـى كلمـة (المشنا) الشريعة المكررة، لأن المشنا هي تكرار لما ورد في توراة موسى، واستعصت المشنا على بعض القـراء فأخـذ

علماء اليهود يكتبون عليها حواش كثيرة وشـروحا مسـهبة وسميت هذه الحواشي وتلك الشروح باسـم "جمـارا" ومـن "المشنا والجمارا" يتكون التلمود.[٣٥]

كان التلمود ولا يزال موضع التبجيل ككتاب مقدس يقف على قدم المساواة في نظر الكثير من اليهود مـع التـوراة، بالإضافة إلى أنهم يعدونه موسوعة ضخمة لا غنى عنها في دراسة اليهودية، فهو يتضمن الشـريعة وقواعـد الصـلاة والتاريخ والآداب وقوانين الزواج والطلاق، والقوانين المدنية والجنائية، ولوائح الأعياد والصيام، والتأملات الميتافيزيقيـة، والعلوم الطبيعية، والفلك، والقصص الشعبي، ممتزجة جميعا بألوان من الفكر الخرافي.. والتلمود على هذا النحو يغطـي كل جوانب النشاط في حياة اليهود الذين جعلوا من دراسـته وسيلة للتجمع والالتقاء فكريا وروحيا.[٣٦]

ويشير المؤرخ اليهودي الألماني (هاينزيخ غريتس) إلى أن التلمود هو مربي الأمة اليهودية ومصلحها، وهو صاحب الفضل الأول في تحقيق الإنجازات التربوية الآتية:

أ- لقد أنمى التلمود وتعاليمه لدى اليهود درجـة مـن الأخلاق لا يستطيع الأعداء إنكارها عليهم، وذلك رغم التأثير

المزعج لكل من العزلة والإهانة والإضعاف المنظم للمعنويات.

ب- صان الحياة الدينية والأخلاقية في اليهودية وأسهم في ترقيتها ورفع مستواها.

ج- كان بمثابة الراية التي التفت حولها الجاليات اليهودية المنتشرة في مشارق الأرض ومغاربها وصانت اليهود من الانشقاق والانقسامات الطائفية.

د- أسهم التلمود في تعريف الأجيال اللاحقة بتاريخ الآباء والأجداد.

هـ- أنتج حياة فكرية عميقة الغور، بحيث حافظت تلك الحياة على اليهود المضطهدين والمحرومين من الجمود والركود وأنارت لهم شعلة العلم.[٣٧]

ويعترف (برنارد لوزار) بأن "التلمود يعد بمثابة المعلم الأكبر لليهود، إن له دوره في تكوين اليهود، وتحويل الأفراد المنحدرين من أصول متفرقة إلى شعب واحد، فالتلمود هو ذلك القالب الذي صنع النفس اليهودية وصاغ خصائصها".[٣٨]

إن الذي جعل اليهود يتشبثون بتعاليم التلمود هو الانهيار المفاجئ لشوكتهم وتعرضهم للشتات، الأمـر الـذي جعلهـم يبحثون عن تعاليم جديدة للمرحلة القادمـة، ووجـدوها فـي التلمود الذي علمهم مواصلة الحياة بالانغلاق تمهيدا لإقامـة إمبراطورية عالمية.(٣٩)

وفي رأي (د – ا فابيان) أن التلمود أسهم بقوة في حفظ "اليهود القومي" بأن مكنهم من التأقلم مع كل زمان ومكـان، ومع ذلك فقد اعترف المؤرخ اليهودي (جـرايتس Graetz) بعدد من الشوائب في التلمود وصنفها إلى فئات أربعة:

أ- يحتوي التلمود على الكثير من التفاهات والمعابثـات التي يعالجها الربانيون بقدر كبير من الجدية والخطورة.

ب- يعكس التلمود شتى الممارسات والآراء الخرافيـة التي تؤمن بفعالية العلاجات العجيبة والعقـاقير الشـيطانية والسحر والرقيات إلى جانب تفسير الأحلام، وهذه كلها مـن الأمور التي تتنافى مع روح الديانة اليهودية.

ج- يتضمن التلمود أيضا أمثلة متفرقة ومنعزلـة عـن الأحكام والمراسيم القاسية ضد أبناء الأمم والديانات الأخرى كإباحة قتلهم وإبادتهم.

د- ويجند التلمود أخيرا شرحا وتفسيرا مغلوطا للكتاب المقدس، فيقبل التفسيرات الخاطئة التي ينفـر منهـا الـذوق السليم ويأباها.(٤٠)

وينطوي التلمود في بعض جوانبه على قضايا تعليميـة يستمد منها الفكر التربوي الإسرائيلي مضامينه، فهو يـدعو إلى احترام المعلم وتبجيله، لقد جاء في التلمود ما معناه: "إذا كان كل من معلمك ووالدك في حاجة إلى مسـاعد، فسـاعد معلمك قبل أن تساعد والدك؛ لأن والدك وهبك الحياة في هذه الدنيا بينما معلمك ضمن لك تلك الحياة في الآخرة"(٤١)

وقد نصح التلمود باستخدام الرأفة واللين مع الطفل فـي بداية تعليمه، ولكن إذا أظهر عنادا أو عدم التفـات، عندئـذ وجب ضربه ضربا خفيفا وعقابه بإحدى عقوبات الحرمـان، وبالنسبة لكبار التلاميذ، فقد ألح التلمود علـى ألا يضـربوا ويرد على ذلك بما يأتي:

- إن الضرب ربما يجرح عواطفهم.
- إنه ربما ألجأهم إلى المقاومة.(٤٢)

وقد نصح التلمود المعلم قائلا: "إذا اضطررت يوما إلى ضرب تلميذ فلا تك قاسيا، وشجع كل من أظهر تقدما ونجح،

وأما من لا ينجح فأبقه في فرقته ولا تطرده، بل اتركه مع إخوانه لأنه سيضطر ذات يوم أن يلتفت ويسابق الآخرين". [٤٣]

ومن أحسن ما جاء به التلمود خاصا بطرق التدريس: "إذا أردت أن تحفظ مقدارا كبيرا دفعة واحدة، فإنك لا تحفظ شيئا أصلا".

وطالب التلمود من المعلمين ألا يدرسوا الموضوع الواحد إن كان طويلا في درس واحد، بل يقسمونه إلى أجزاء صغيرة، ويدرسون كل قسم على حدة، وساق مثلا على ذلك بحكمة ا إذ أنه لم يعلم موسى النبي جميع القضايا دفعة واحدة، بل قسمها أقساما، وعلمه قسما قسما حتى يثبت كل قسم على حدة في قلبه. [٤٤]

وفي التلمود تأكيد على مبدأ الاستعلاء والتفوق العنصري اليهودي على بقية شعوب العالم، وجعل الناس عبيدا لليهود على اعتبار أنهم الشعب المختار، وهو ما يفسر ارتكاز الفكر التربوي في إسرائيل على مبدأ العنصرية تجاه الشعوب الأخرى والتحامل عليها.

ثانيا: التاريخ الطويل الممتد والمتفرد

التاريخ اليهودي مصطلح يتوافر في الكتابات اليهودية والغربية، ويهمنا أن نتساءل: ما طبيعة هذا التاريخ؟ وهل هو تاريخ حقيقي؟ أم شابه التزييف وتغيير الحقائق؟ وما مدى إمكانية البحث في التاريخ؟

إن التاريخ اليهودي مختلف عن تواريخ كل الشعوب الأخرى، وهو من أصعب أنواع التواريخ من حيث كتابته، والدليل الأساسي على صعوبته أنه لم يكتب إلا بأقلام يهودية مما يدل على غياب الموضوعية في كتابته، وأول مشكلة تواجهنا في هذا الصدد تتعلق بقضية المصادر، حيث إن المصدر الوحيد والأساسي للتاريخ اليهودي القديم هو "العهد القديم"، والمعروف أن المصدر الواحد يعبر عن رؤية واحدة مما ينفي الرؤية المعارضة، يضاف إلى ذلك أن المصادر الأخرى المتوفرة مكتوبة بلغات محدودة الانتشار، فغير اليهود في أوروبا لا يعرفون العبرية، وكذلك يوجد يهود أوروبيون لا يعرفونها، كما أن هذه المصادر كتبت بلهجات لا يتقنها إلا اليهود، ومن مشكلات المصادر أيضا تعدد

الاتجاهات اليهودية واختلاف النظرة اليهودية مما يؤدي بنـا إلى الخروج بنتائج مختلفة حول الحادثة الواحدة.[٤٦]

وينطوي التاريخ اليهودي على ادعاءات ثلاثة:

الادعاء الأول:

ويتمثل في أن تاريخ المجتمع الإسرائيلي ممتد وموغل في القدم، وتعتبر فكرة امتداد التاريخ الإسرائيلي وتوغله في القدم بمثابة حجر الزاوية لدى جميع المفكرين الصهاينة بـلا استثناء.. فـ "سيسل روث" يبدأ كتابه "تاريخ اليهود" بفصـل يحمل عنوانا واضح الدلالة هـو "إسـرائيل مـن حـوالي ١٦٠٠ق.م إلى ٥٨٦ ق.م"[٤٧] وينحو "هوارد مورلي ساخار" نفس المنحى تقريبا في كتابـه "مسـار التـاريخ اليهـودي الحديث".[٤٨]

ويشير "بنتوفتش" في كتابه "فلسطين" إلـى أن عراقـة الصهيونية إنما ترجع إلى زمان هدم الهيكل ووقوع الشـعب اليهودي في أسر "بنوخذ نصر"[٤٩]

ويرى "بن جوريون" أن تاريخ إسرائيل يتسم بالاستمرار الدائم عبر العصور، وأن إسرائيل قـد تكـون أحـدث دول العالم، ولكن الشعب اليهودي له وجود عمره أربعة آلاف عام

متتالية، وكثير من الأمم اندثرت لغاتها وحضارتها بل وأسماؤها، أما شعب إسرائيل فإنه برغم نفيه عن أرض إسرائيل لمدة ألفي عام فقد احتفظ بتقاليده ولغته وحضارته كما لو كان حبل تاريخه لم ينقطع أو يتآو على الإطلاق".(٥٠)

وفي حديث صحفي أجراه "بن جوريون" في ٨ يناير ١٩٦١ صرح "بأن إسرائيل هي الدولة الوحيدة المستمرة منذ بداية التاريخ، فاليهود فقط هم الذين يتكلمون اللغة نفسها، ويمارسون العقيدة نفسها كما كانوا أيام ظهور الكتاب المقدس".. ثم يشير بن جوريون بثقة شديدة إلى سوريا ولبنان والعراق ومصر قائلا: "إن هذه الدول فقدت لغتها القومية وثقافتها"، وحتى يخضع هذه التعميمات لمحك الاختبار، طلب "بن جوريون" من الصحفي الذي أجرى معه الحوار حين يقابل الرئيس "جمال عبد الناصر" أن يحدثه عدة كلمات باللغة المصرية القديمة ويستطرد قائلا: "لا أعتقد أن عبد الناصر كان سيمكنه الإجابة، لأنه ليس عالم آثار ولكنه يتحدث العربية بطلاقة".(٥١)

إن عالم "بن جوريون" هو عالم الأساطير والأحلام، هو أيضا عالم مطلقاته ثابتة لا يطرأ عليها أي تغيير أو تحول.

وقد أبرز "روبرت لافون" عراقة التاريخ اليهودي قائلا "إن أي شعب قديم فقد أرضه، تشـتت وذاب واندمج فـي شعوب أخرى وفقد ديانته وعاداته، أما الشعب اليهودي فإنـه لم ينصهر في بلاد الشتات ولم يندمج، بل زاد تمسكه بعاداته وتقاليده وأصبح أبناءه لهم ثقافتهم المميزة التي جعلتهم أمـة متميزة". (٥٢)

إن ذلك الحرص من جانب الكتاب والزعماء الصـهاينة على اصطناع مثل ذلك التاريخ القـديم لإسـرائيل حـرص مفهوم تماما وله ما يبرره، ولكن الظاهرة الجـديرة بالتأمـل حقا أن تلك الفكرة تلقى صدى واسعا لدى الكثير من مفكرينا حتى أنها قد أصبحت تشكل سمة مشتركة في نظرتنـا إلـى الظاهرة الإسرائيلية، فيقول مثلا "محمد فرج" في كتابه الذي يسميه – رغم ذلك – "فلسطين عربية": "ونحن لا نعني بذلك أن الصهيونية كفكرة وجدت في القرن التاسع عشـر فقـط، فهي فكرة قديمة، تمتد جذورها إلى الوقت الذي شـرد فيـه اليهود من فلسطين قبل الميلاد، وكان اليهود منذ هذا الوقـت قد آمنوا بفكرة العودة إلى صهيون ورددوا هذه الفكـرة فـي صلواتهم وأناشيدهم."(٥٣)

أما "عبده الراجحي" فإنه في كتابه "الشخصية الإسرائيلية" يقول في وضوح لا يقبل اللبس: "لقد دأبنا جميعا في الفترة الماضية على التمييز بين اليهودية والصهيونية. والواقع أننا بهذا وقعنا في خطأ كبير، ذلك أن الدارس الموضوعي لحياة الشعب الإسرائيلي، يعلم أن هناك حقيقة عامة لا ينكرها باحث، بل لا ينكرها الاسرائيليون أنفسهم ويدعون لها، وهي أن الإسرائيلية واليهودية والصهيونية ألفاظ مترادفة لمعنى واحد".[٥٤]

وهكذا يؤيد عدد من المفكرين العرب ادعاء كتاب وزعماء إسرائيل من وجود تاريخ قديم لدولتهم، وإن كان هؤلاء المفكرين قد قرنوا هذا التاريخ بكثير من الجرائم والسيئات التي اقترفها اليهود.

ويتخذ عدد آخر من المفكرين العرب والأجانب موقفا مناقضا، فجمال حمدان في كتابه "اليهود أنثروبولوجيا" يرى "أن يهود اليوم هم شيء مختلف أنثروبولوجيا عن يهود التوراة، وأن الصلة الجينية بين يهود اليوم ويهود الأمس منبتة وفاقدة تماما من الناحية العملية، وأن يهود اليوم بالفعل

أوربيون وسلاف وآريون أكثر منهم ساميين، وهذا ما يصدق على الاشكنازيم في أوروبا"[(٥٥)]

أما "يوري إيفانوف" فإنه يحدد موقفه بوضوح في كتابه "الصهيونية حذار" فيقول: "إن الدوائر الصهيونية تعمل على أوسع نطاق على نشر خرافة مؤداها أن الصهيونية التي تدعو إلى إقامة دولة يهودية هي ظاهرة قديمة قدم العالم، والمثير حقا أن هذه المزاعم لا تزال قائمة حتى أيامنا هذه".[(٥٦)]

ويتبنى إسماعيل صبري عبد ا نفس الفكرة تقريبا في كتابه "في مواجهة إسرائيل".[(٥٧)]

ومهما يكن من أمر، فقد نجحت الصهيونية بفضل أساليب دعايتها في اصطناع تاريخ موغل في القدم للمجتمع الإسرائيلي الراهن، وأصبح ادعاء مثل هذا التاريخ القديم يمثل أحد مصادر الفكر التربوي الذي يحرص على غرسه في نفوس أبناء الكيان الإسرائيلي منذ الصغر، ولذلك الحرص – فيما نرى – مبررات عديدة لعل أهمها:

١- إن اكتساب المجتمع الإسرائيلي الراهن ذلك التاريخ الطويل الممتد، إنما يعني في نفس الوقت إكسابه شريعة

تاريخية لاستيطان إسرائيل، وبالفعل فإن إلحـاح الصـهاينة على اصطناع تاريخ إسرائيل قد مكنهم على مستوى الادعاء الفكري من تبرير الاستعمار الاستيطاني لفلسطين ومن تبرير الهجرة اليهودية إليها.

٢- يلعب التركيز على فكرة الامتداد التـاريخي هـذه دورا بارزا في محاولات توحيد المجتمع الإسرائيلي، وبالتالي وحدة أصحابه نفسيا واجتماعيا وحضاريا، فإذا بـدت بيـنهم فرقة، فهي لا تعدو أن تكون أمـرا عارضـا لا يلبـث أن يتلاشى ببذل شيء من الجهد.

٣- إن التركيز الصهيوني على هـذه الفكـرة، إنمـا يستهدف الإسهام في إبراز وحدة اليهود في كافة أنحاء العالم وبالتالي كسب تضامنهم مع المجتمع الإسرائيلي.

الادعاء الثاني:

ويتمثل في أن تاريخ اليهود متفرد ومستقل، فهو تاريخ يضم اليهود وحدهم يتفاعلون داخله مع عدة عناصر مقصورة عليهم، فاليهودي شخص له سماته الفريدة والمحددة، وطبيعته الخاصة النابعة من انتمائه لتاريخ يهودي مستقل.[٥٨]

ويمكن القول بأن نموذج التاريخ اليهودي المستقل والمتفرد يوجه رؤية المؤرخ توجيها خاطئا، إذ يذهب هذا النموذج إلى أن الأحداث التاريخية الكبرى التي قررت مصير الجماعات اليهودية تقع خارج نطاق هذا التاريخ اليهودي، وتصبح هذه الأحداث رغم مركزيتها وقدرتها التفسيرية أحداثا هامشية ذات أهمية ثانوية.

إن استقلالية أي بناء تاريخي تعني أن هذا البناء يضم جماعة من الناس لا وجود لها خارجه، ولا يمكن فهم سلوكها إلا في إطار تفاعلها معه.

إن الأقليات اليهودية ليس لها أبدا بناء تاريخي مستقل ولكن كان ضمن أبنية تاريخية متباينة تتفاعل معها وتساهم فيها، وترقى برقيها وتتخلف بتخلفها، وأن اليهودي في البلاد العربية كان يهوديا عربيا، واليهودي في روسيا كان يهوديا روسيا، وفي أمريكا كان يهوديا أمريكيا، وحينما تم إنشاء دولة إسرائيل هاجرت جماعات ذات انتماءات قومية مختلفة لكي تنصهر داخل بوتقة واحدة تتوحد داخل بناء تاريخي جديد مستقل.

لقد تأثر الفكر التربوي الإسرائيلي بمقولة تاريخ اليهود المستقل والمتفرد، حيث تقوم فلسفة مناهج التاريخ التي تقـدم للطلاب في مختلف المراحل على أن الأحداث التاريخية التي تتعرض لها إسرائيل تفسر بالعودة إلى تاريخ اليهود المستقل الافتراضي، وأن نموذج التاريخ اليهودي المستقل يفتـرض وجود جوهر يهودي يتحدى جميع القوانين التاريخية ويتخـذ اسم الشعب اليهودي المستقل، وتصبح مهمة المـؤرخ هـي البحث عن الجوهر اليهودي والروح اليهودية وكل ما يعبـر عنهما متجاهلا كل التفاصيل الأخرى.

إن سعي الفكر التربوي إلى التأكيد علـى خصوصـية تاريخ الشعب اليهودي يترتب عليه تشويه صـورة التربيـة اليهودية حيث تتحول إلى تربية من أجل التعصب القـومي، وهو ما يتناقض مع جوهر التربية الذي يقوم علـى الحـب والتسامح.

الادعاء الثالث:

ويتمثل في أن تاريخ اليهود مقدس، وتـاريخ الشـعوب الأخرى "نجس"، فتاريخ اليهود المقدس يعبـر عـن الإرادة الربانية ولا يعبر عن المحاولة والخطـأ الإنسـانيين، فالإلـه

إسرائيل يتدخل في التاريخ اليهودي من آونة إلـى أخـرى، والأمة اليهودية لم تأت إلى الوجود من خلال تطور تاريخي وإنما ظهرت من خلال تدخل إلهي مباشر، أي أن الخالق قد حل في الشعب وفي تاريخ الشعب، وبهذا يصبح اليهود شعب ا المختار،[٥٩] ولا شك أن هذه الرؤيـة تسـطح التـاريخ وتفرغه من تركيباته وتنوءاته وإنسانيته وعالميتـه، وهـي السمات الأساسية التي تعطـي التـاريخ معنـاه الإنسـاني المتعارف عليه بين الناس، ويظهر هذا التسطيح في النظـر إلى الظواهر التاريخية باعتبارها ظواهر مقدسـة تقـررت حركتها حسب خطة إلهية مسبقة وضعت قبل التاريخ، بل إن التدخل المستمر والعلني للإله هو تأكيد للقول بأن التاريخ يتم دفعه وتحريكه من الخارج، وأن الإرادة البشرية لا مجال لها فيه.. فاليهود حسب تصور "بوبر": "أمة تحمل وحيـا إلهيـا وبذلك يتحول اليهود إلى شعب من الأنبياء ويتحول تاريخهم إلى وحي مستمر".[٦٠]

ويعكس الفكر التربوي من خلال مناهجه وبرامجه هذه المقولة: "التاريخ المقدس للشعب اليهـودي"، حيـث تؤكـد

مضامين المناهج التعليمية في مختلف المراحل الدراسية على الجوانب الآتية:

- إن تاريخ الشعب اليهودي يعبر عن الإرادة الربانية، فإله إسرائيل يتدخل دائما في مسار التاريخ لصـالح شـعب إسرائيل، ولم تأت الأمة اليهودية إلى الوجود إلا من خـلال تدخل إلهي مباشر.

- إبراز أن أرض إسرائيل هي الأرض المقدسة التـي يقطن فيها ا أي أنها أرض الرب (يوشع ٣/٩).

- وهي أرض الميعاد التي وعد ا بها إبراهيم وعاهده على أن تكون له ولنسله (سفر التكوين ١٨/١٥).

- وهي أرض الميعاد التي سيعود إليها اليهـود تحـت قيادة (الماشيح) (سفر التثنية ١١، ١٢).

- وهي الأرض المختارة لارتباطها بشعب ا المختار.

- وهي الأرض البهية ومركز الدنيا لأنها وسط العـالم (دانيال ١٦/١١).

- إن تعاليم التوراة لا يمكن أن تنفذ كاملة إلا في أرض فلسطين.

- إن السكنى في فلسطين بمثابة الإيمـان ومـن يقـيم بخارجها فهو كافر.

- إن من يعيش في فلسطين يتطهر من ذنوبه (أشـعيا ٣٣/٢٤).

- إن حديث اليهود في فلسطين في حد ذاته توراة يثاب عليها المرء.

ثالثا: الأيديولوجية الصهيونية

كلمة أيديولوجيا هي كلمة دخيلة على اللغـة العربيـة، وهي مؤلفة من جزئين (أيديو) ومعناها "فكـرة"، و "لوجيـا" ومعناها "علم" ومن هنا جاء معناها "علم الأفكار"، ومفهـوم الأيديولوجيا يعتبر مفهوما جديدا نسبيا ظهر في البداية فـي فرنسا بعد نشوب الثورة الفرنسية مباشرة.(٦١)

وتستخدم الأيديولوجيا بمعنى نظام فكري وبناء نظـري ليس مندرجا تماما في الواقع ولكنه آخذ في أن يغدو كـذلك، أو بعبارة أخرى أن يستخدم بمثابة نموذج للعمل.(٦٢)

ويعرف "عاطف غيث" في قـاموس علـم الاجتمـاع الأيديولوجية بأنها نسق من المعتقـدات والمفـاهيم (واقعيـة أو معيارية) يسعى إلى تفسير ظواهر اجتماعية معقدة.(٦٣)

وعلى ذلك فالأيديولوجية هي منظومة من الأفكار تهدف إلى غاية عملية، أي أنها المخطط النظري المرسوم الذي يحدد ما ينبغي أن تكون عليه صورة المجتمع من حيث الأهداف والوسائل المختلفة التي توصل إلى تلك الأهداف.

أما عن الأصل التاريخي لكلمة الصهيونية "Zionism" فهي الكلمة التوراتية "Zion" التي غالبا ما استخدمت كمرادف للقدس وأرض إسرائيل(Ertez – Yisreal)

فالأيديولوجية الصهيونية هي برنامج سياسي تبشيري يرى أنه لا حل لما يسمى بالمشكلة اليهودية المتمثلة في وجود اليهود في أرض الشتات إلا بتجميعهم وتوطينهم في فلسطين كموطن قومي عن طريق الهجرة إليها من كل البقاع، وتنمية وحدة الشعور اليهودي، وتقوية دولة إسرائيل القائمة على مثل الأنبياء في العدالة والسلام، والمحافظة على هوية الشعب اليهودي بتنمية التعليم اليهودي واللغة العبرية.[٦٤]

وإذا كان المنهج العلمي ينطلق من التسليم بأن الفكر هو إفراز للواقع الاجتماعي المعاش، فإن الفكر الصهيوني ينطلق

من مسلمة مضمونها أن الصهيونية كفكرة هي القوة الخالقـة لذلك الواقع الاجتماعي الذي يجسده المجتمع.[٦٥]

وقد بدأت إرهاصات الأيديولوجية الصهيونية مع كتابات "موسى هس" (١٨١٢ – ١٨٧٥) الذي ألف كتابا سماه "روما والقدس"، دعا فيه إلى بعث القومية اليهودية في القدس بعـد تحريرها، وكذلك كتابات "هيرش كاليشر" حيث كـان كتابـه "السعي لصهيون" الذي نشر عام ١٨٦٢ أول كتاب عبري في العصر الحديث يتحدث عـن الاسـتيطان الزراعـي فـي فلسطين.. وبالإضافة إلى الكتابات المبكرة ظهرت جماعـات مثل جماعة أحباء "صهيون" و "البيلو" متبنية فكـرة الهجـرة الاستيطانية إلى فلسطين.[٦٦]

غير أن نقطة التحول في تطور الفكرة الصهيونية تبـدأ بظهور "تيودور هرتزل" عام ١٨٩٦، إذ تحولت الصـهيونية على يديه إلى حركة سياسية منظمة تسعى لتحقيق أهدافها في العودة إلى فلسطين بشكل عملي، وبناء علـى فهـم عميـق لمكونات النظام الدولي، ووعي مرهـف بمختلـف أنمـاط تفاعلاته.[٦٧]

وقد ظهرت اتجاهات ومدارس صهيونية متعددة لا توجد اختلافات أساسية بينها حيث تتبنى كلها نسقا أيديولوجيا واحدا ولا تختلف إلا في أمور ثانوية.

وأولى هذه المدارس هي الصهيونية السياسية، حيث ترى هذه المدرسة أن المسألة اليهودية هي مشكلة الفائض السكاني اليهودي غير القادر على الاندماج مع الشعوب الأخرى، ولا يمكن حل هذه المسألة إلا بأن يصبح اليهود شعبا مثل كل الشعوب وقومية مثل كل القوميات، ولن يتأتى هذا إلا عن طريق تهجير اليهود إلى فلسطين، ولكن هذا البرنامج لا يمكن تنفيذه إلا تحت إشراف المجتمع الدولي وبضمان منه، فالمسألة اليهودية مشكلة سياسية ذات طابع دولي.[٦٨]

والمدرسة الصهيونية الأساسية الثانية هي الصهيونية العمالية، وتقوم فلسفة هذه المدرسة على أن التركيب الاجتماعي والحضاري ليهود الشتات يختلف عن التركيب الاجتماعي والحضاري للشعوب التي يعيشون بين ظهرانيها، فكل شعب يتكون من فئات اجتماعية تأخذ شكل الهرم، وتمثل قاعدته فئة العمال التي تسهم في العمليات الإنتاجية الأساسية،

وتعلو هذه القاعدة الطبقة المتوسطة، وعلى القمة توجد صفوة المجتمع من حكام وعلماء.. ولكن هذا الهرم مشوه تماما عند اليهود حيث إن المجتمع اليهودي يفتقر إلى وجـود القاعـدة التي يرتكز عليها اقتصاد المجتمع وإنتاجيته، وقد أدى هـذا إلى ذبول وطفيلية الشخصية اليهودية، ولذا لا حـل لمشـكلة اليهود إلا عن طريق استيطان فلسـطين بطريقـة جماعيـة وإقامة دولة صهيونية عمالية.. لذا كان البنـاء الاقتصـادي لإسرائيل هو نتاج نشاطات المدرسة الصـهيونية العماليـة بالدرجة الأولى، فالهستدروت (اتحاد نقابات عمال إسرائيل)، والكيبوتز (المزارع الجماعية) والهاجاناه والبالماخ (منظمات عسكرية إسرائيلية) هي الأدوات التي استخدمها الصهاينة في البناء الاقتصادي والسياسي للدولة.[٦٩]

أما المدرسة الثالثة فهي الصهيونية الدينية، وهي تـرى أن الحركة الصهيونية لو تركت وشأنها، فإنهـا قـد تنشـر التعاليم القومية العلمانية بعد تصفية الجانـب الـديني تمامـا وتؤدي إلى نهاية اليهودية، وأنه ينبغي إرساء قواعد الدولـة على القيم الدينية وبثها في الوجدان اليهودي.

وقد ازداد تأثير هذه المدرسة حيث يتواجد في المجتمع اليهودي في الوقت الحاضر تيار ديني متشدد له دور كبير في توجيه شئون الدولة ويشرف على المدارس الدينية التي يتزايد عددها باستمرار في المجتمع اليهودي.[٧٠]

ويطلق على المدرسة الرابعة اسم الصهيونية الثقافية، وقد دعا إليها (آحاد هعام) و(مارتن بوبر) فيما بعد، وهي ترى أن العنصر الذي يشكل الخطر الحقيقي المهدد للاستمرارية اليهودية، هو فقدان اليهود للإحساس بالوحدة والترابط، وضعف تمسكهم بقيمهم وتقاليدهم، وأن علاج هذه المشكلة يتمثل في تقوية الوعي القومي والارتباط العاطفي بين اليهود، وعلى إزالة الشوائب التي علقت بالشخصية اليهودية نتيجة لسنوات طويلة من الشتات.[٧١]

وتجدر الإشارة إلى أن اختلاف الرؤى والاتجاهات والأبعاد بين التيارات الصهيونية ما هو إلا اختلاف ظاهر، فجميع القيادات الصهيونية تتبنى نسقا أيديولوجيا واحدا هو إقامة دولة يهودية في فلسطين.

إن الأيديولوجية الصهيونية التي توظف التاريخ والدين والإرث النفسي لمصلحتها توظيفا معكوسا تنشئ واقعا جديدا

هو "مقلوب الواقع الحقيقي والمتطور" فيتحول المظلوم فـي مجتمع ما إلى ظالم لمجتمع مـا، ويأخـذ الضـحية موقـع الجاني.. إن هذا النوع من الأيديولوجية هو من صنف العقائد غير التصالحية التي لا تقبل المهادنة بأي صورة مع عدوها، ويكون العنف هو أسلوب العمل، وتثبـت التقاليـد الفكريـة والسياسية للصهيونية فـي فلسـطين هـذا الارتبـاط بـين الأيديولوجية وممارسة العنف دون هوادة باعتبار الآخر هـو العدو العقائدي.

وقد لعب الفكر التربوي الإسـرائيلي دورا هامـا فـي تحقيق أهداف الأيديولوجية الصهيونية، فهـو مـن خـلال مؤسساته وأجهزته ومناهجه أسهم في توعية يهـود الشـتات بضرورة الهجرة إلى فلسطين والاستيطان فيها، كما كان لـه دوره الهام في تحقيق التماسك الاجتماعي بين أبناء الكيـان الإسرائيلي والتأكيد على المحافظة على هوية الشعب اليهودي ونشر اللغة العبرية واستخدام العنف مع الأغيار.

رابعا: الفكر الغربي

من الحقائق الأساسية التي لابد من إدراكها، أن الفكـر الصهيوني استمد ملامحه ومقومات وجوده مـن الحضـارة الغربية (الرأسمالية الإمبريالية) في القرن التاسع عشر خاصة الجزء الأخير منه.. لقد زعمت الصهيونية أنهـا سـتنهض بفلسطين، وأن رسالتها الحضارية تتمثل في تمدين وتحضير فلسطين، وهذه الدعوى تتطابق تماما مع الفكـر الرأسـمالي الأوربي في القرن التاسع عشر الذي صاغ هذه الفكرة لكـي تكون تبريرا ثقافيا لاستعمار الشعوب المتخلفة واستغلالها من قبل الرأسمالية الأوربية تحت شـعار "إعـدادها وتمـدينها" لتصبح في مستوى يسمح لها بأن تحكم نفسها بنفسها، ويشهد على ذلك ما قرره المفكر الصهيوني "موسى هـس" مـن أن رسالة الأمة اليهودية ودولتها في فلسطين هي تحقيق التفوق الحضاري، وفي ذلك يقول: "وسيعيد رأسمالكم الحياة للأرض القاحلة، وسيحول عملكم وجهدكم مرة أخرى التربة القديمـة إلى وديان مثمرة بعد أن تنقذوا الأرض من بـراثن رمـال الصحراء الممتدة، بعد ذلك سوف يقدم لكم العالم من جديـد آليات الولاء والاحترام".(٧٢)

ويؤكد "هرتزل" على هذه الفكرة قائلا: "حينمـا يعـود اليهود إلى وطنهم التاريخي، فإنهم سيفعلون ذلـك بصـفتهم ممثلين للحضارة الغربية، وأنهم سـيجلبون معهـم النظافـة والنظام والعادات الغربية الراسخة إلى هذا الركن الموبـوء بصفتهم من المؤيدين المتحمسين للتقدم الغربي، وأن الدولـة اليهودية ستكون جزءا من حائط يحمي أوروبا وآسيا ويكون حصنا منيعا للحضارة في وجه الهمجية.. ويتوجـب علينـا كدولة محايدة أن نبقى على اتصال مع كل أوربا التي سيكون عليها ضمان وجودنا".(٧٣)

ويزيد "ماكس نورداو" الفكرة وضوحا فيقـرر "سـوف نبذل ما في وسعنا لكي نعمل في الشرق الأدنى مـا عملـه الإنجليز في الهند، أعني بـذلك: النشـاط الثقـافي ولـيس السيطرة، نحن ننوي الذهاب إلى فلسـطين بمثابـة الحملـة المعتمدين للمدنية والتحضر، ورسالتنا هي توسـيع الحـدود الأخلاقية لأوربا حتى تصل إلى الفرات".(٧٤)

ويسعى الفكر التربوي من خلال مؤسسـاته ومناهجـه على التأكيد على هذه الفكرة عن طريق إبراز أن إسـرائيل هي نموذج لمجتمع عصري مستنير وسـط عـالم متخلـف

تحكمه النظم الشمولية، وأن الدول العربية ينبغي أن تسـتفيد من التجربة الإسرائيلية وتقتدي بها.

وقد شهد القرن التاسع عشـر تطـور وتبلـور الفكـر العنصري في أوربا وظهور كل كلاسيكياته المعروفة ابتـداء من فكر "هيجل" الذي يحتوي داخله على النظرية العنصـرية الغربية، ومرورا "بفخته وتريتشـكه ونيتشـه وتشـامبرلين" وأخيرا "هتلر" ومنظري النازية.(٧٥)

ويمكن القول بأن جوهر الرؤية العنصري في الغـرب هو تحويل الذات القومية إلى المصدر الوحيد للقيمة، والمطلق الوحيد الذي يؤمن به الإنسان، بحيث يصبح ما هـو خـارج هذه الذات مجرد وسائل يمكن اسـتخدامها (علـى أحسـن تقدير)، وعوائق يجب إزالتها (علـى أسـوأ تقـدير)، وقـد اكتسبت الأيديولوجية الصهيونية نفس الملامـح العنصـرية، وانعكس ذلك بدوره على الفكر التربوي الإسـرائيلي الـذي يتجه إلى مزيد من التجريد للإنسان العربي، حيث يصفه بأنه إنسان متخاف، ثم تزداد درجة التجريد ليصح ممثلا للأغيار، ثم يظهر هذا الإنسان على أنه شخصية هامشـية تفتقـد أي هوية قومية، ثم يصل هذا التجريد ذروته حين تنكر أدبيـات

التربية الصهيونية وجود هذا الإنسان أساسا وتغفل الإشـارة إليه.

هوامش الفصل الأول

١- عبد القادر يوسف، "تعليم الفلسطينيين ماضيا وحاضرا ومستقبلا"، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، ١٩٨٩، ص ٦٧.

٢- Arthur Hertzberg, "the Zionist idea, a Historical Analysis and reader "Op. Cit, p.٦٣.

٣- المؤتمر الصهيوني الثالث والعشرون، نشر إدارة المنظمة الصهيونية العالمية، القدس، ١٩٥١، مطبعة الجيروزاليم بوست، كتب الوكالة اليهودية.

٤- المؤتمر الصهيوني الرابع والعشرون (١٩٥٦)، النسخة العبرية، القدس، ١٩٥٧، مطبعة الجيروزاليم بوست، نشر إدارة الوكالة اليهودية.

٥-المؤتمر الصهيوني السادس والعشرون، النسخة العبرية، القدس، ١٩٦٥، مطبعة الجيروزاليم بوست، نشر الوكالة اليهودية.

٦- مركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية بالأهرام، "المؤتمر الصهيوني السابع والعشرون"، القاهرة، مركز

الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ١٩٧١، ص ٨٦٠.

٧- كلمة "زبولون هامر" الأخبار الأردنية ١٩٧٩/٤/٨.

٨- عبد العزيز مصطفى، "إسرائيل ويهود العالم، دراسة سياسية وقانونية"، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث ١٩٦٩، ص ١٢٠.

٩- أحدها عام، "الموقف السلبي تجاه الشتات" في "الفكرة الصهيونية – النصوص الأساسية" ترجمة لطفي العابد وموسى عنز، إشراف أنيس صايغ، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٠، ص ١٦٦.

١٠- مركز الأبحاث الفلسطينية، "الفكرة الصهيوينة – النصوص الأساسية" إشراف أنيس صايغ، بيروت، ١٩٧١، ص ٤١٧٠.

١١- نفس المصدر السابق، ص ٤٣٢٠.

١٢- تيودور هرتزل، "يوميات هرتزل"، ترجمة مركز الأبحاث الفلسطينية، بيروت، مركز الأبحاث الفلسطينية، ١٩٦٨، ص ٣٥٢.

١٣- مركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية، محاضر الكنيست، الأهرام، ١٩٧١، ص ٨٦٠.

١٤- نفس المصدر السابق، ص ٨٨٨.

١٥- مركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية بالأهرام، المؤتمر الصهيوني السابع والعشرون، مصـدر سـابق، ص ٨٦٢.

١٦- Elad Peled "Israeli Education" in "Comparative Educational Systems", Edward Ignas – Raymond J Corsini and Contriboutors, F.E Peacock Publishers, Inc, Illinois, ١٩٨٣, P-٢٢٩.

١٧- Ibid, p. ٢٣٠.

١٨- Ibid, p. ٢٣٢.

١٩- عارف توفيق عطاري، "دور التربية اليهودية في بناء الفرد اليهودي" رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعـة الأردنية، ١٩٧٧، ص١٨.

٢٠- سعيد إسماعيل علي، "التربية عند بني إسرائيل"، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٨٨.

٢١- عبد الوهاب المسيري "موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيوينة، رؤية نقدية"، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ١٩٧٧، ص ١٤٤.

٢٢- رشاد الشامي: "جولة في الدين والتقاليد اليهودية"، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٧٦.

٢٣- نفس المصدر السابق، ص ٨٢.

٢٤- أنيس صايغ، إشراف، "الفكرة الصهيونية، النصوص الأساسية"، ترجمة لطفي العابد وموسى عنز، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، سلسلة كتب فلسطينية، رقم ٧٤١، ص ٣٠٩.

٢٥- دواننج دافيد، هيرمان جاري: "حرب بلا نهاية وسلام بلا أمل"، هيئة الاستعلامات، كتب مترجمة، رقم ١٤١، ص٩.

٢٦- رشاد عبد ا الشامي، "الوصايا العشر في اليهودية" دار الزهراء، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٣٤.

٢٧- ول ديورانت، "قصة الحضارة" ترجمة محمد بدران، المجلد الأول، جـ١، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦١، ص ٣٧٢.

٢٨- رشاد الشامي، "الوصايا العشر فـي اليهوديـة"، مصدر سابق، ص ١٧٥.

٢٩- ول ديورانت، مصدر سابق، جـ ١، ص ٣٨١.

٣٠- Laffont, Robert, L'Honneur D'Etre JuifP. ١٨.

٣١- إسماعيل راجي الفاروقي، "أصول اليهودية فـي الدين اليهودي"، معهد الدراسات العربية، القـاهرة، ١٩٧٣، ص١٤.

٣٢- كامل سـعفان "اليهـود: تـاريخ وعقيـدة" دار الاعتصام، القاهرة ١٩٨٨، ص ١١٣.

٣٣- سفر التكوين، الإصحاح: ٢٨.

٣٤- سعيد إسماعيل علي، التربية عند بني إسـرائيل، مصدر سابق، ص ٧٢.

٣٥- أحمد شلبي، "مقارنة الأديان (١) اليهودية "مكتبـة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٥٨.

٣٦- صبري جرجس، "التراث اليهـودي الصـهيوني والفكر الفرويدي"، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٦٩، ص٢٥.

٣٧- أسعد مرزوق، "التلمـود والصـهيونية" منظمـة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٠، ص ١٩٧.

٣٨- نفس المصدر السابق، ص ١٩٩.

٣٩- ظفر الإسلام خان، "التلمود: تاريخه وتعاليمه" دار النفائس، بيروت، ١٩٧١، ص ٣٣.

٤٠- نفس المصدر السابق، ص ٢٠٣.

٤١- أحمد فهمي القطان، "تـاريخ التربيـة"، مطبعـة مدرسة طنطا الصـناعية، ١٩٢٣، جـ ـ ١، (التربيـة قبـل الإسلام)، ص.ص ١٣٤ – ١٣٥.

٤٢- هدى عبد السميع حجازي، "التربية عند العبرانيين قبل التهجير إلى بابل وبعد العودة منها"، دراسات تربويـة، عالم الكتب، القاهرة، جـ ٤١، ١٩٩٢، ص ١٩٨.

٤٣- أحمد فهمي القطان، مصدر سابق، ص ١٤٤.

٤٤- نفس المصدر السابق، ص ١٤٥.

٤٥- Parker, James, "A History of the Jewish People," Published in Pelican Books, London, ١٩٧٢, p. ٣٧.

٤٦- محمد خليفة حسن، "التـاريخ اليهـودي، الوفـد، ٢٠٠٠/٣/١٢.

٤٧- Roth, Cicil, "A Short History of the Jewish People", East and West Libraly, ١٩٦٩. p.٧.

٤٨- Scaher, Howard Morley, "The Course of Modern Jewish History "Dalta, ١٩٦٩, p. ١١٠.

٤٩- Bentwich, N "Palestine, Victor Golls", London, z, ١٩٣٤, p. ١٦١.

٥٠- برنشاتين، ر- توماس، "دافيـد بـن جوريـون، ذكريات"، كتب مترجمة، المخابرات العامة، تل أبيـب، ص ١٥٠.

٥١- نفس المصدر السابق، ص ١٥١.

٥٢- Laffont – Robert, Op. cit, p. ٥٢.

٥٣- محمد فرج، "فلسطين عربية"، القـاهرة، ١٩٦٧، ص ٨٨.

٥٤- عبده الراجحي، "الشخصية الإسرائيلية" القـاهرة، ١٩٦٩، ص ٦٧.

٥٥- جمال حمدان، "اليهود أنثربولوجيا"، دار الهـلال، القاهرة، سلسلة كتاب الهلال، فبراير ١٩٩٦، ص ٦٥.

٥٦- يوري إيفانوف، "الصـهيونية، حـذار، دراسـة سوفيتية في تاريخ وتنظيم وأيديولوجية الحركة الصـهيونية"، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٩، ص ٦٣.
٥٧- إسماعيل صبري عبد ا "في مواجهة إسـرائيل" القاهرة، ١٩٦٩.
٥٨- عبد الوهاب المسيري، "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية"، جـ٤، نموذج تفسيري جديد، دار الشـروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩، ص ١٣٧.
٥٩- عبد الوهاب المسيري، "الأيديولوجيا الصـهيونية، دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة"، عالم المعرفة، الكويت، ديسمبر ١٩٨٢، العدد ٦٠، ص ٧٨.
٦٠- نفس المصدر السابق.
٦١- زكي نجيـب محمـود، "الأدب والأيديولوجيـة"، فصول مجلة الأدب والنقد، جـ٢، ١٩٨٦، ص ٢٨.
٦٢- عبــد ا العــروي، "الأيديولوجيــة العربيــة المعاصرة"، دار الحقيقة، بيروت، ١٩٧٠، ص ٣٤.
٦٣- عاطف غيث، "قاموس علم الاجتمـاع"، الهيئـة العامة للكتاب، ١٩٧٨، ص ١٨٩.

٦٤- عبد الوهاب المسيري، "الأيديولوجية الصهيوينة" مصدر سابق، ٣٧٧.

٦٥- قدري حفني، "الإسرائيليون، مـن هـم، دراسـة نفسية"، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٩، ص.ص ٦٦ – ٦٧.

٦٦- السيد يسين، "تشريح العقل الإسرائيلي"، مريـت للنشر والمعلومات، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ١٧.

٦٧- نفس المصدر السابق، ص ١٧.

٦٨- عبد الوهاب المسيري، "الأيديولوجية الصهيونية" مصدر سابق، ص.ص ٩٦-٩٧.

٦٩- نفس المصدر السابق، ص.ص ٩٨-١٠٠.

٧٠- عبد الوهـاب المسـيري "موسـوعة المفـاهيم والمصطلحات الصهيونية"، مصدر سـابق، ص.ص ٢٤٤-٢٥٠.

٧١- نفس المصدر السابق، ص.ص ٢٥٠ – ٢٥٥.

٧٢- السيد يسين، "تشريح العقل الإسرائيلي"، مصـدر سابق، ص ٢٢.

٧٣- نفس المصدر السابق، ص ٢٣.

٧٤- نفس المصدر السابق، ص ٢٤.

٧٥- عبد الوهاب المسيري، "أسرار العقل الصهيوني"، دار الحسام"، القاهرة، ١٩٩٦، ص ١٣.

الفصل الثاني
اتجاهات الفكر التربوي الإسرائيلي
ذات البعد العملي

ينطوي الفكر التربوي الإسرائيلي في الكثير من جوانبه على اتجاهات ذات بعد عملي يمكن تصنيفها على النحو الآتي:

أولا: التربية من أجل الاستيطان

إن استيطانية الكيان الصهيوني وإحلاليته واعتماده الكامل على الدعم الغربي، هو القانون الأساسي الذي يحكم ديناميته ومساره في الماضي والحاضر والمستقبل، فهذه الاستيطانية الإحلالية هي التي تفسر عدم وجود دستور حتى الآن في إسرائيل، وتفسر أهمية قانون العودة ومركزيته، وهذه الاستيطانية الإحلالية هي التي تجعلنا نكتشف أن الأحزاب الإسرائيلية ليست أساسا أحزابا وإنما مؤسسات استيطانية تضطلع بوظائف لا تضطلع بها الأحزاب السياسية في البلاد الأخرى، ويتم تمويلها عن طريق المنظمة

الصهيونية العالمية، وهذه الاستيطانية الإحلالية هـي التـي تفسر ضخامة الدعم الإمبريالي لإسرائيل.[1]

وتمثل المسألة الاستيطانية مكانـة هامـة فـي الفكـر التربوي الإسرائيلي، ويتضمن الاستيطان معاني أبعد مغزى وأكبر أثرا من مجرد الاستيلاء على قطعة من الأرض فـي فلسطين والإقامة فيها وتطويرها، إنه يحمل في طياته قيمـا تربوية أساسية من وجهة نظر الصهيونية، ويأتي في طليعـة هذه القيم الريـادة، ونكـران الـذات، والعمـل الجمـاعي، والاستعداد للتضحية والإنتاج.[2]

ويسعى الفكر التربوي الإسرائيلي من خـلال حركـة الاستيطان إلى غرس المفاهيم الآتية في نفوس الـنشء منـذ الصغر:

- الإيمان بالملكية القومية لـلأرض، وهـذا يعنـي أن جميع الأراضي التي يقيم عليها المستوطنون هي ملكية قومية عامة، إذ لا يستطيع المستوطن بيع الأراضـي التـي يقـوم باستغلالها أو نقل ملكيتها.

- الإيمان بأهمية التوزيع العادل والكافي للمصادر الطبيعية بين جميع المستوطنين لتعميق الأخوة اليهودية وللحيلولة دون أي إحساس بالغبن أو التمايز فيما بينهم.

- الإيمان بأهمية الاستخدام الذاتي، ذلك أن عمل المستوطن بيده ظل هو العامل الذي يخلق الرابطة بين المستوطنين والأرض والبلاد.

- الإيمان بالتنظيم والعمل التعاوني بهدف تحقيق نوع من التكاتف بين المستوطنين بحيث لا تسيطر النزعات الفردية على العلاقات فيما بينهم.[٣]

ويعتبر علماء الدين في إسرائيل أن مسألة الاستيطان في أرض فلسطين وتعميق حب الأرض والتمسك بها تمثل جوهر الدين وقدس أقداسه.. فالحاخام "مارن" على سبيل المثال يغض النظر عن إهمال الإسرائيليين للشعائر الدينية ولا يعتبرها أمورا ذات بال مقارنة بقدسية الاستيطان في فلسطين، فقد أعلن في كتابه (سكنى البلاد): "أن الاستيطان في أرض إسرائيل يوازي جميع وصايا التوراة"[٤]، أي أن صورة التعبير المثلى لتدين اليهودي وامتثاله لتعاليم (العهد القديم) وأساس دراسة إسرائيل يتمثل في الاستيطان فيها.

وقد قام الرواد الأوائل بدور هام في تأسيس المستوطنات الإسرائيلية ومن أشهرها "الكيبوتزات" (المستوطنات الزراعية الجماعية) و "الموشاف" (المستوطنة الزراعية التعاونية).

وتعد "الكيبوتزات" إحدى التجارب الناجحة التي استهدفت تدعيم حركة الاستيطان في فلسطين، وهي تمثل مستوطنات زراعية جماعية أسست في أواخر القرن التاسع عشر على يد مجموعة من الصهاينة عرفوا باسم الرواد، وكانوا متعاطفين مع الماركسية، كما أنهم اتخذوا من شعار "العمل البدني والعودة إلى الأرض" كقاعدة لبناء الوطن، وقد شكل الشباب اليهودي الوافد من أوربا الشرقية والاتحاد السوفيتي (سابقا) أغلبية سكان هذه المستوطنات.[٥]

والميزة الأساسية لنظام التعليم في الكيبوتز هو كونه تعليما جماعيا، بمعنى أن الأطفال يعيشون في حضانات وبيوت خاصة مع أترابهم بحيث تتولى رعايتهم وتنشئتهم مربيات ومعلمات روضة ثم معلمات ومعلمون في المراحل التالية، وبحيث لا يكون للوالدين أي دخل في تربية أطفالهم.

لقد اعتبر مؤسسو حركة الكيبوتز نظام التعليم الجماعي كوسيلة لإعادة صياغة المجتمع من خـلال إعـادة صـياغة الفرد، ويشير "سبيرو" إلى وجود أربعة دوافـع تقـف وراء إقامة نظام التعليم الجماعي وهـي: هـدم وإزالـة السـلطة البطركية للأب، وتحرير المرأة من قيودها التقليدية، والحفاظ على قيم الكيبوتز، والاهتمام بتعليم ديمقراطي.(٦)

فيما يتعلق بالقضاء على السلطة البطركية للأب، كـان هدف التعليم الجماعي إقامة علاقة إخوة ومساواة بين الآبـاء والأبناء من خـلال القضـاء علـى الأسـس الاقتصـادية والاجتماعية والقانونية لسلطة الآباء، بحيث تقتصر العلاقـة بين الطرفين على الرباط العاطفي.

وبالنسبة لتحرير المرأة من قيودها الاجتماعية التقليدية، طرح منظرو الكيبوتز المساواة التامة بين الرجل والمـرأة، ووجدوا أن تحقيق هذه المساواة يتطلب أمرين وهما: إنهـاء اتكال المرأة الاقتصادي علـى الـزوج، وتحطـيم المأسـاة البيولوجية للمرأة.. ولتمكين المرأة من الاستقلال الاقتصادي كان لابد من أخذ عبء تربية الأطفال عنها، على أن يتم ذلك بواسطة الحضانات الجماعية، ويقتصر الاحتكاك بين الآبـاء

والأبناء على ساعة أو ساعتين بعد انتهاء دوام الأبوين وقبل نوم الأطفال.. أما تحرير المرأة مـن دورهـا البيولـوجي، فيتمثل في تخليصها من الأعباء المنزلية وبالتالي تمكينها من المعادلة سياسيا وثقافيا وفكريا وفنيا بعد انتهاء الدوام.

فيما يتصل بالمحافظة على قيم الكيبوتز، يرى منظـرو النظام التربوي الجماعي (الكيبوتز) أنه مـن أجـل تنشـئة الأطفال تنشئة سليمة يتولى الكيبوتز ككل نقل القيم والمثـل العليا إليهم ولا تترك هذه المهمة للأهل.

وبالنسبة لخلق مجتمع ديمقراطي رأى منظـرو حركـة الكيبوتز أنه من أجل تحقيق مبدأ المساواة التامة فإن ذلك يتم من خلال نظام التعليم الجماعي، فكل الأطفال يتلقون تعليمهم على يد المربيات والمدرسات أنفسهن ويتلقون الطعام نفسـه ويرتدون نفس الملابس ويمارسون ألعابهم وتدريباتهم علـى نفس الملاعب.

ويرى "جرسون" أن التربويين الذين وضعوا أساس نظام التعليم الجماعي في الكيبوتز قد تأثروا بالنظريات التربويـة الحديثة التي سادت أوربا بعد الحرب العالمية الأولى والتـي استندت إلى ثلاثة مبادئ وهي:

(١) التحول من التعليم النظامي إلى المعرفة المستمدة من الحياة.

(٢) التحول من نظام يقوم على الطاعة العمياء إلى نظام من النشاط والإبداع في جو من الحرية.

(٣) التحول من الكتاب إلى العمل الجسدي أو المادي.[٧]

والتعليم في الكيبوتزات إلزامي حتى المرحلة الثانوية، وتعتبره وزارة التعليم موازيا لنظامها، وبرامج الدراسة مستمدة من الحياة حيث يتم تأليف مواضيع تاريخية وبيولوجية وأدبية وعملية وغيرها في ضوء ارتباطها بالحياة اليومية للتلميذ.. وبوجه عام لا تختلف مراحل التعليم في الكيبوتزات عن نظام التعليم العام في إسرائيل إلا في تركيزها على الناحية العملية أكثر من الناحية النظرية وإقامة التلاميذ والطلاب في مؤسسات تشبه المدارس الداخلية، وتدريس المواد الخاصة بالفكر الاشتراكي والعمالة لتغطية فكرة الكيبوتز.[٨]

لقد كانت المهمة الأساسية للنظام التربوي من خلال الكيبوتز خلق المستوطن الطليعي المرتبط عاطفيا وجسديا

بالأرض، والذي هو على استعداد لحرمان نفسه من متع الحياة والفوائد المادية، ولديه القدرة على أن يطوع أسلوب حياته ليعيش عيشة متقشفة، وأن يمارس العمل بنفسه مع تحريم العمل المأجور، وأن يحقق الاكتفاء الذاتي، وأن يعتمد على وسائل الدفاع الذاتي.

لقد نجحت الفلسفة التربوية التي ترتكز عليها الكيبوتزات خلال الخمسينات والستينات في القرن العشرين، لأنه ليس فيها مجال للتمايز والتخصص، غير أن هذه الأيديولوجية أصبحت لا تتناسب مع مرحلة تحول المجتمع الإسرائيلي من مجتمع زراعي إلى مجتمع صناعي، مما يتطلب معه درجة عالية من التخصص والفردية والتمايز الاقتصادي والاجتماعي، حيث بدأت تظهر أنماط جديدة من الحياة داخل الكيبوتزات لم تكن موجودة، كالسعي نحو الثراء المادي وتحقيق الربح، وتزايد النزعات الاستهلاكية، وسيادة الاتجاهات الفردية التي ترتكز على الإنجاز الذي يحققه الفرد لنفسه، فضلا عن تزايد نشاط حركات الهجرة الداخلية من الكيبوتزات إلى المدن، وقد قدرت بعض المصادر عدد من يغادرون الكيبوتزات بغير رجعة بثلاثة أشخاص من كل

عشرة أشخاص وذلك في شريحة العمـر مـن (٢٢- ٣٢) عاما، كما أن اختلاط شباب الكيبوتزات بشباب المدن أثنـاء فترة الخدمة العسكرية أدى إلى تعرف شباب الكيبوتزات على أنماط مختلفة من الحياة لأبناء المدن بكل ما تتضـمنه مـن مشاريع فردية لبناء المستقبل بدون أثقال أيديولوجية الـرواد الأوائل في مستعمرات الكيبوتز والتي كانت ترتكـز علـى إعداد جيل متقشف متمسك بالإقامة في موطنه، يقدس العمل غير المأجور، ويضع مصـلحة الجماعـة فـوق مصـلحة الفرد.[٩]

ويؤكد الفكر التربوي الإسرائيلي من خـلال المنـاهج والكتب الدراسية في مختلف المراحـل التعليميـة وخاصـة مناهج العلوم الدينية والمواد الاجتماعية ودروس المطالعـة على مفاهيم الاستيطان والاحتلال، ومن الأمثلة الدالة علـى ذلك:

- تهيئة وإعداد نفسية الطالب اليهودي منذ الصغر للإيمان بالاسـتيطان والتوسـع اسـتنادا إلـى نصوص التوراة.. فقد جاء في سـفر التثنيـة (الإصحاح الحادي عشر: ٢٤ – ٢٥).. "كـل

مكان تدوسه أبطان أقدامكم يكـون لكـم، مـن البرية ولبنان، ومن النهر نهر الفرات إلى البحر الغربي يكون تخمكم لا يقف إنسان في وجهكم، الرب إلهكم يجعل خشيتكم ورعايتكم على كـل الأرض التي تدوسونها كلما كلمكم"، ولعل هـذا هو ما يعني إسرائيل الكبـرى التـي رافقـت فكرتها الحركة الصهيونية منذ مولدها.

- إن تناول موضوعات الاستيطان والاحتلال من خلال المناهج والكتب الدراسية يكـون تحـت مسميات مختلفة مثل: "تحرير – توسع – ضـم – تخليص – إنقاذ – تطهير الأرض – امتـداد الدولة – ترك ومغادرة الأرض"، وهو ما يعني أن الاحتلال والاستيطان يحتلان المرتبة الأولى في اهتمامات الفكر التربوي الإسـرائيلي، وأن احتلال الأرض والتوسع ينفذان ويمارسان تحت مفهوم تحرير وإنقاذ الأرض.
- إن عناوين كتب التربية الوطنية التـي تـدرس لتلاميذ المرحلة الابتدائية في إسرائيل تنـدرج

تحت اسم "هـذا وطنـي" أو "هـذه بـلادي"، وتستهدف هذه التسمية تكريس مفهوم التوسـع واحتلال الأرض العربي فـي ذهـن الطالـب الإسرائيلي منذ الصغر، وتذكيره بأنه في أرضه وبلاده وليس غريبا عنها.(١٠)

- التركيز باستمرار من خلال المنـاهج والكتـب الدراسية على تسمية فلسطين بأرض إسـرائيل دون ذكر ولو لمرة واحد اسم فلسطين، وكأنـه لا يوجد شيء اسمه فلسطين، وإطلاق الأسماء اليهودية على الأراضي العربيـة، الرشـراش أصبحت "إيلات"، وجبال القدس استبدل اسـمها "بجبال يهودا"(١١)
- تأكيد المناهج والكتب الدراسية على فكرة تعمير الصحراء واستيطانها، وهذه الفكرة موجودة في أعماق الفكر اليهودي منذ القدم، فـالتوراة قـد أعطيت "لموسى" في صحراء سيناء، والوعـد الذي أبرم بين إسـرائيل والـرب كـان فـي الصحراء، كما أن وجود الصحراء في الـوعي

اليهودي يعتبر مهما للغاية، حيث إن معظم الأعياد القومية والدينية التي يحتفل بها اليهود مرتبطة بالصحراء مثل "عيد الفصح" و "عيد الأسابيع" وغيرها، كما أن استيطان الصحراء يؤدي إلى التجذر في الأرض.(١٢)

ويشير "بن جوريون" إلى أهمية الاستيطان في الصحراء قائلا: "إن الذهاب إلى القمر واستيطان الصحراء وغرس شجرة فيها هما عملان متماثلان. إن أول شيء يجب أن نعمله هو تعمير صحراء النقب لكي نجعل إسرائيل ذات اكتفاء ذاتي اقتصاديا"(١٣)

إن الصحراء تشكل أكثر من (٦٠%) من مساحة إسرائيل، لذا يسعى الفكر التربوي الإسرائيلي من خلال المناهج التعليمية والكتب الدراسية إلى توعية التلاميذ بأهمية تعمير الصحراء واستصلاحها بعد أن أصبحت الرقعة الزراعية في إسرائيل تضيق عن استيعاب المهاجرين.

وبالاطلاع على النماذج الإعلامية الصهيونية، نجد أنها تؤكد على أن اليهود هم وحدهم القادرون على تعمير الصحراء واستصلاحها ونشر الحضارة بين أرجائها، ففي

فيلم "خربة خزعة" – على سبيل المثال لا الحصر – وهي قصة مكتوبة أثناء حرب ١٩٤٨ باسم قرية فلسطينية، نجد أنها تعالج مقولة أرض الميعاد، وكيف أنها لم تكن صالحة قط للذين خانوها (الفلسطينيون) ولم يزرعوها، أما القادمون إليها من الشتات، فهم الذين نشروا الخضرة بين أديمها وأنبتوا من الصحراء القاحلة براعمها، لقد ضربت هذه القصة رقما قياسيا في البيع بعد حرب ١٩٤٨ مباشرة، وقت أدخلت ضمن مواد المناهج الدراسية بعد أن أقرتها وزارة المعارف الإسرائيلية، وفي عام ١٩٧٧ أعيدت صياغتها للتليفزيون الإسرائيلي.(١٤)

أن إسرائيل هي نموذج حي للاستعمار الاستيطاني، ومن المعروف تاريخيا بصدد تجارب الاستعمار الاستيطاني أنه عادة ما يتسم التشكيل النفسي لأعضاء الجماعات الاستعمارية المستوطنة بسمات نوعية خاصة من أبرزها القلق إزاء المستقبل والمصير خصوصا في مراحل تصاعد وعي أعضاء المجتمع الأصيل ونمو المقاومة والثورة.. لذا يؤكد الفكر التربوي الإسرائيلي على أن استمرار الاستيطان والتوسع في إنشاء المستعمرات يشير إلى إمكانية استمرارية

الدولة في حين أن التوقف يترك الإحساس بقـرب النهايـة، ومن هنا كانت التربية في إسرائيل موجهة لتـدعيم حركـة الاستيطان.

ثانيا: التربية من أجل العمل

يعد العمل أحد الأدوات الأساسية التي أكد عليها الفكر التربوي الإسرائيلي في تحقيق الاستيطان في فلسطين وفـي زرع وتشكيل الكيان الإسرائيلي، ويـرتبط تمجيـد العمـل بطلائع اليهود الذين هاجروا إلى فلسطين في الفترة من عـام (١٨٨٢ إلى عام ١٩١٤) وقد بدأ هؤلاء المهاجرون الأوائل العمل كعمال زراعيين، وكان شعارهم الآية الثانية والعشرين من سفر أشعب "الواحد يصبح ألفا والشاب أمة قوية"، ومـن أشهر هؤلاء المهاجرين "أهارون دافيد جوردون"، "دافيد بـن جوريون" أول رئيس لوزراء إسرائيل"، و"إسحق بن تسـفي" الرئيس الثاني للدولة.[(١٥)]

لقد نظر المهاجرون الأوائل إلى العمل اليدوي على أنه الهدف المهني الأعلى، وأنه أداة للاحتلال والتهويـد، وأنـه وسيلة لتحقيق الذات، فقرروا العمل بأنفسهم دون الاسـتعانة

بالأيدي الغريبة المؤجرة، واستندوا في هذا القرار إلى ثلاثـة اعتبارات:

أولها: المعنى الروحي للعمل الذي يؤكد على صـفات الكرامة والخلق في العمل.

وثانيها: الحاجة إلى ضرب الجذور في التربة.

وثالثها: الخوف الذي نشأ في البداية عندما كان العرب يشكلون الأغلبية في فلسطين، وأن إدخال الأيـدي العاملـة المؤجرة من شأنه أن يفتح مجالا أمـام العمـال والفلاحـين العرب ذوي الأجور الزهيدة، وبالتالي يصبح اليهود طبقة من ملاك الأراضي الزراعية ولا يعملون بأيديهم، وبـذلك يفقـد مبدأ العمل اليهودي مغزاه(١٦).

ومن هنا تعمد اليهود إبعاد العرب عن مجالات العمل تحت شعار "العمل العبري"، وتحت تأثير هذا الشعار طـرد مبعوثو الصهيونية مئات العمال العرب من أمـاكن عملهـم، ومن تبقى منهم انحصرت أعماله في الأشغال الحقيرة التـي لا يقوم بها العامل اليهودي، وذلك تجسيدا للمفهوم السائد لدى الإسرائيليين بأن العربي كسول، ولا يمكن إسـناد أي عمـل صعب إليه، لأنه ليس لديـه الاسـتعداد والقـدرة الذهنيـة

أو الجسدية اللازمين لأدائه، ولا يستطيع أن يـؤدي العمـل إلا بطريقة العرب، وهو تعبير شـائع الاسـتخدام، فالمثـل العبري "عمل عربي" يكاد يكون ترجمـة لانعـدام الكفـاءة والافتقار إلى مهارة العمل.(١٧)

ويعتبر "أهارون دافيد جوردون" صاحب فلسفة "ديـن العمل" من أشهر المفكرين الصهيونيين الذين نادوا بضرورة العمل كتعبير عن رفض الحياة في "الجيتو" وفي شرق أوربا وفي أرض الشتات بوجه عام، وكثورة علـى نمـط الحيـاة اليهودية في المنفى، حيث اتسم النشاط الاقتصادي في المنفى بالطابع غير الإنتاجي.(١٨)

لقد اعتقد "جوردون" أن خـلاص الإنسـان اليهـودي لا يتم إلا عن طريق العمل الجسدي، وتحت إيمانـه بمبـدأ العمل هجر "جوردون" أسرته في أواخر أيامه ليكون علـى اتصال روحي بالطبيعة والأرض، واشتغل عاملا زراعيا في حقول فلسطين وهو في سن الثامنة والأربعين ليكـون قـدوة لرفاقه، وعندما بلغ به الضعف والمرض، كان له أتباع مـن بين الرواد والشباب يقدرونه إلى درجة العبادة، وكان يـرى "في العمل الجسـماني مصـنعا للأمـة، ومصـدرا للحيـاة

الاقتصادية والنفسية، فالعامل اليهودي ينبغي أن يعمـل مـن أجل العمل ذاته، وأن اقتحام الأرض خصوصـا الزراعـة والأعمال اليدوية من شأنه أن يوثق صلة اليهودي بـالأرض والطبيعة".. لذا كان يدعو رفاقه الأوائـل للتعصـب للعمـل والالتحاق بجماعة العمل.[١٩]

وقد ربط "صموئيل حاييم لانداو" بين التوراة والعمل، فأنشأ حركة باسم "شريعة العمل" حيث اعتبر العمـل شـيئا أساسيا في حركة البعث القومي وخلق حياة جديدة، كما كـان يرى في العمل قيمة أخلاقية وكان يقول: "إنهم يؤكدون على أن التجارة تتم من خلال السرقة والاحتيال، وأن حياة العمل وحدها تحوى الإمكانات الموضوعية لتنظيم المجتمـع علـى أسس من العدالة والاستقامة، وعلى هذا فـإن للعمـل قيمـة أخلاقية"[٢٠]

وتقول النظرية العمالية الصهيونية "إن من خلال العمل العبري يمكن للمستوطن الجديد أن يطهر نفسه مما علق بـه من شوائب وأدران، فالمستوطنون إنما يحررون أنفسهم حين يحررون الأرض بحرثها والعمل على ازدهارهـا، إن هـذه الأرض تعترف بنا لأنها تثمر من خلالنا"[٢١]

وقد كتب الفيلسوف الصهيوني الألماني الأصل "مارتن بوبر" لغاندي قائلا: "إن مستوطنينا لم يجيئوا إلى فلسطين كما يفعل المستعمرون الغربيون الذين يطلبون من أهالي البلاد أن يقوموا بكل الأعمال لهم، بل إنهم يشدون بأكتافهم المحراث، ويبذلون قوتهم من أجل أن تصبح الأرض مثمرة".(٢٢)

وإذا كان تمجيد العمل يعد أحد المقومات الهامة التـي يرتكز عليها الفكر التربوي الصهيوني، كان من الطبيعي أن ينعكس هذا الاهتمام على مختلف مجالات التربية الإسرائيلية وذلك من خلال المحاور الآتية:

١- تضمين المناهج التعليمية لكل ما يسهم في إبراز قيمة العمل وتمجيده

يؤكد الفكر التربوي الإسرائيلي من خـلال مضـامين المناهج الدراسية في مختلف المراحل التعليمية على إبـراز قيمة العمل وتبجيله كوسيلة تحقق الارتباط بالأرض وذلـك على النحو الآتي:

- الدعوة إلى العمل اقتداء بالنبي "إسحق" أبو اليهـود الذي كان يعمل في الأرض بجد ونشاط، في الوقـت الـذي

لم يعمل إسماعيل أبو العرب في الأرض، بل تركها واتجه إلى الشرق.

- لفت نظر التلاميذ للتقدم الكبير الذي حظيت به الزراعة على يد الطلائعيين الذين بفضلهم تغطت مناطق في النقب بالخضرة وأشجار الفواكه، وأن كل الصعاب التي وقفت في طريقهم لم تثنهم عن عزمهم في تحرير الأرض.[٢٣]

- تقدير الدور الذي قامت به المنظمات اليهودية مثل منظمة "هاشومير" (الحارس) التي أخذت على عاتقها تنفيذ احتلال الأرض واستصلاحها وزراعتها وحراستها.

- السعي إلى تكوين اتجاهات إيجابية لدى التلاميذ تجاه العمل الزراعي، حيث تتضمن بعض المناهج التي يدرسها التلاميذ ترتيبات عملية تستهدف تعريفهم بخطوات الزراعة وإكسابهم المهارات الخاصة بها، ودعوتهم إلى إنشاء الحدائق وغرس الأشجار.[٢٤] وهناك مقولة إسرائيلية شهيرة تمجد العمل اليدوي الزراعي تقول: "إن الذي لم يزرع شجرة ولم يسقها لن يذوق أبدا طعم محبة الأرض وما عليها"[٢٥]

ويزخر أدب الأطفال الإسرائيلي بالكثير من القصص التي تؤكد على قيمة العمل اليدوي، ففي قصة "حديقة بجوار البيت" تدعو المؤلفة "سارة طوزبان" الأطفال إلى الزراعـة، وتبدأ القصة بنظرة تأمل إلى الطبيعة من الطفلـة "ميريـام" فتقول لأخيها "حاييم" التلميذ في الصف السادس:-

"انظر يا حاييم، وا حسرتاه على الأرض، هنـا تعـال نعمل حديقة ونزرع أي شيء؟"(٢٦).. وهذه الجملة لها معنـى أيديولوجي خطير، فهي تؤكد على المقولة الصهيونية " بـأن أرض فلسطين خربة قاحلـة لا زرع فيهـا ولا نبـات، وأن اليهود هم الذين يعمروها ويزرعوها ويبعثون فيها الحياة".

- تدعيم التعليم الثانوي والفني والنهوض به

بدأ الاهتمام بالتعليم الفني في إسرائيل قبل قيام الدولة، وساعد على ذلك وجود القوات البريطانية في فلسطين حيـث كان يقوم الضباط الإنجليز ذوو التخصصات المهنية المختلفة بتنظيم برامج التدريب المهني لأبناء الشعب اليهودي، وقـد قاموا بتأسيس مدرستين لتأهيل المعلمين والمعلمـات اليهـود مهنيا، وإكسابهم الخبرات اللازمة في مجال التقنيـة، وقـام

الضباط المهنيون الإنجليز بـدور رئيسـي فـي التـدريب والتدريس في هاتين المدرستين.(٢٧)

كما أعدت إسرائيل برنامجا محوره "آباء يسهمون في إعداد المهنيين"، ويقوم على عقد لقاءات تجمع بـين الآبـاء، ومجموعات من الطلاب في طور الإعداد لاكتساب مهنـة، ومجموعة من المهنيين، ويدور خلالها حوارات حـول كـل جديد في المهن المختلفة، وبهذا يعمل الآباء والمهنيون معـا ويتعلمون من بعضهم البعض، وانعكس ذلك علـى تحمـس الآباء وتحملهم مسئولية تدريب أبنائهم والإنفاق عليهم.(٢٨)

وابتدعت إسرائيل فكرة "المعلم – العامل"، وتقوم على قيام صاحب الورشة بالدور الذي تقوم به المدرسـة الفنيـة، حيث كان يرسل الطلاب إلى الورش لتدريبهم على حرفـة، وكان "المعلمون – العمال" يضعون برامج تدريبية متكيفة مع رغبات واحتياجات تلاميذهم الخاصة، وكانت هذه البـرامج بالغة التنوع مما أوجد مناخا تربويا مقبولا، وقد شكلت صيغة "المعلمين العمال" إلى جانب برامج الدراسة النظرية للطلاب تقنية تربوية خارقة في ظل ظروف خاصة عايشتها الدولـة

الإسرائيلية للإسراع بتعجيل تحويل البشر إلى حقل للإنتاج المثمر.[٢٩]

وبإعلان قيام دولة إسرائيل رسميا عام ١٩٤٨ أكد الفكر التربوي الإسرائيلي على أهمية نشر التعليم الثانوي الفني في إسرائيل وكانت هناك عدة عوامل أسهمت في تدعيم هذا الاتجاه يمكن إبرازها على النحو الآتي:

- إيجاد حلول سريعة لاستيعاب أبناء الطبقات المحرومة أو الفقيرة واستخدامهم في الإنتاج المثمر.
- تحقيق الاندماج بين الطبقات الاجتماعية المختلفة في الدولة.
- تغيير صورة اليهودي في أعين العالم كشخص غير منتج، وذلك بخلق مجالات عديدة لإتقان المهن الحرفية حتى يتمكن اليهودي من الاختيار والعمل بدلا من أن يعيش عالة على حساب الطبقات والفئات المنتجة في البلاد الأخرى بما في ذلك الفئات اليهودية المثقفة.[٣٠]

- احتواء المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية إثر الهجرات المتوالية إلى الدولة وأدت إلى تكـوين كيـان غير متجانس علميا وثقافيا مما كان له تأثير سالب على نظام التعليم[٣١].
- خلق اندماج اجتماعي للتلميذ الانطوائي الـذي تـأثر نفسيا بسبب هجرته من مجتمعه الأصلي إلى إسـرائيل، والعمل على جعله مواطنا صالحا لمجتمعـه الجديـد، وذلك من خلال الاهتمام بتعليمه تعليما عمليا يكتسب من خلاله مهنة يستطيع أن يفيد منها ويندمج مع غيره مـن الأفراد.
- الاستجابة لطموح الآباء في أن يتعلم أبنـاؤهم حرفـة تمكنهم من مزاولة العمل، فكان لابـد مـن اسـتيعاب الأجيال الجديدة في هذا النوع من التعليم الـذي يتـيح لأبنائهم تحصيل معرفة جيدة بالأسس العلمية للإنتـاج، واكتساب قدرات مهنية وتهيئـتهم لنشـاطهم المهنـي المستقبلي والمتوافق مع قدراتهم.[٣٢]

• السعي إلى أن يكون التعليم الثانوي الفنـي مسـاعدا لخريجه ماليا مما كان السبب الأساسـي الـذي جعلـه يحظى بتشجيع من الآباء والمعلمين.[٣٣]

وقد ازداد اهتمام إسرائيل بالتعليم الثانوي الفني عندما كشفت الإحصائيات أن الذين يعملون في قطاع الخدمات الاجتماعية يمثلون (٣١%) من مجموع العاملين، وأن الذين يعملون في قطاع التجارة والسياحة وخـدمات المهـن الحـرة حـوالي (٢٤,٥%) من القوة العاملة، وقد اعتبرت هذا الوضع يمثـل عبئا على الاقتصاد الإسرائيلي ويؤدي إلى تدنيه، ولذا اتجهت إسرائيل إلى وضع خطة لإعادة تأهيل ما يطلق عليهم اسـم "أصحاب الياقات البيضاء" من الحاصـلين علـى مـؤهلات أكاديمية، وتقوم الخطة على تدريبهم لدمجهم في التعليم الفني والتقني للمشاركة في عملية التنمية.[٣٤]

وينتشر التعليم الثانوي بصورة واسعة فـي إسـرائيل، حيث تمثل نسبة عدد طلابه(٦٠%) من جملة عـدد طـلاب التعليم الثانوي ككل، وهناك أربع قنوات يـتم مـن خلالهـا التوسع في هذا النوع من التعليم هـي: المـدارس الثانويـة

الزراعية، والمدارس الثانوية المهنية، والمـدارس الثانويـة الصناعية، والمدارس الحرفية.

أما عن المدارس الثانوية الزراعية فمدة الدراسـة بهـا يتراوح بين ثلاث أو أربع سنوات بعد المرحلة المتوسـطة، ويخصص نصف الوقت في هذه المدارس للدراسات النظرية ونصفه الآخر للدراسات العملية فـي الحقـول والمـزارع، والمدارس الزراعية بوجه عام مدارس داخليـة، يقـيم كـل مجموعة طلاب (خمسة أو ستة طلاب) معا حيث يشـكلون وحدة ذاتية، ويوجد في كل مدرسة مرشد اجتماعي من بـين أعضاء الهيئة التدريسية يوجه كل طالب ويـنظم النشـاطات بمساعدة المجموعة، فتشعر أنها وحدة اجتماعية حقيقية، وبعد فترة ثلاث أو أربع سنوات، من المألوف أن تشكل الجماعـة وحدة (ناحال) تستقر في إحدى المستوطنات، ومن المعروف أن أول مدرسة أسسها اليهود في فلسطين بواسـطة جماعـة يهودية كان اسمها "مكفية إسرائيل" سنة ١٨٧٠.[٣٥]

أما عن المدارس الثانوية المهنية والصناعية، فتجتـذب نحو نصف طلاب المرحلة الثانوية في إسـرائيل، ويشـترط لقبول الطلاب فيها أن تتوافر لدى الطالب خبرة مهنية تتصل

بالمجال الذي سوف يتخصص فيه، ويخصص نصف المـدة التدريسية فيها للدراسات العامة، ونصـفها الآخـر للعمـل التطبيقي داخل المؤسسات الصناعية والشركات، وتدار هـذه المدارس بالتعاون مع عدد كبيـر مـن أصـحاب الأعمـال والشركات الذين يقع على عاتقهم توظيف العمالة الماهرة بعد التخرج، ومدة هذه المدارس تتراوح بين (٣-٥) سنوات بعد المرحلة المتوسطة، ويمارس (٧٠%) من خريجيها أعمـالا تتصل بأعمالهم.[٣٦]

وبالنسبة للمدارس الحرفية فتكون الدراسة فيهـا بعـد المرحلة الابتدائية، ومدة الدراسة في هذه المدارس في أغلب الأحيان هي ثلاث سنوات، ويعمل التلاميذ مدة خمـس أيـام أسبوعيا مع أصحاب العمل، ويحضرون إلى المدرسة يومـا واحدا في الأسبوع.

ويتم تنظيم صفوف مهنية داخل المدارس النظامية فـي نطاق التعليم الأساسي وما بعد الأساسي، مستهدفة الطـلاب الذين يواجهون صعوبات في متابعة التعلـيم فـي المراحـل التالية وذلك تحت إشراف وإدارة المدارس الثانويـة الفنيـة المنتشرة في أرجاء الدولة.[٣٧]

وللتركيب السكاني في إسرائيل علاقة بالتعليم المهنـي، فتشير الإحصـائيات الإسـرائيلية أن نحـو (٢٦%) مـن السفارديم (اليهود الشرقيين) بشكل عام لديهم خبرات عمليـة في مقابل (٣%) من الأشكنازيم (اليهود الغربيين)، وهنـاك اعتقاد في إسرائيل بأن اليهودي السفاردي تتفق ميوله نحـو الاتجاه إلى المدرسة الثانوية الفنية، ويحقق في الغالب تقـدما ملموسا عن نظيره الاشكنازي، أما جيل الصـابرا (مواليـد إسرائيل)، فإن استيعابهم لأهداف الدولة وأيـديولوجيتها يـتم بشكل واضح وملموس، ومن ثم يحققون النجاح في التعلـيم الفني، فهم يتجهون إليه بوازع من إيمانهم من أجل النهوض بالدولة، أما الطلاب من عرب إسرائيل فإنهم يواجهون بعـد التخرج – صعوبات جمة في اقتحام مجال العمل حتى ولـو كانوا مؤهلين مهنيا وذوي مهارة فنية فائقة، ولذلك يفضـلون الهجرة للعمل في دولة أخرى.[٣٨]

ويخضع التعليم الثانوي الفني في إسرائيل إلـى تغييـر مستمر ليواكب التطورات العالميـة فـي مجـال الصـناعة والتكنولوجيا والتي تتطلب خلق وظائف ومهام جديدة وتطوير الوظائف الموجودة، ومن ثم يقع على عاتق التعليم الثـانوي

الفني إعداد الكوادر الفنية اللازمة لشغل هذه الوظائف، كمـا أن اقتصاد السوق يعمل في ظل ظروف مؤسسية متباينة مما يحتم انتقال الفرد من وظيفة إلى أخرى، الأمر الـذي يـدعو إلى تكيف التعليم الثانوي الفني مع هـذا الوضـع، وإعـداد الكوادر الفنية لشغل هذه الوظائف والتي قد تتغير على امتداد أعمار شاغليها.

لقد أصبح التعليم الثانوي الفني يمثل قيمة كبيـرة فـي إسرائيل، وفي ذلك يذكر الباحث الإسرائيلي "م- ليسك": "أن البعض كان ينظر في البداية إلى المهنيين على أنهم فئة أدنى من أصحاب الأعمال الحرة ومن شاغلي الوظائف الإدارية، وتلك نظرة مناهضة لفكرة تحويل الناس جميعا إلـى حقـل للإنتاج المثمر، وقد أسهم في انتشار هذه الفكرة أن المجتمـع كان يموج بمهن كثيرة غير مرتبطة باحتياجات السوق ممـا أدى إلى انخفـاض الوضـع الاجتمـاعي لأصـحاب هـذه المهن".[٣٩]

وتوصل "ليسك" إلى نتيجة مؤداها "أن المدرسة الثانوية الفنية تؤهل دراستها للاندماج في النظام الاقتصـادي متـى ارتبطت تخصصاتها بسوق العمل".[٤٠]

وقد دعا الباحثـان "ليسـكار" و"كاهانـا" إلـى تـوفير التجهيزات والإمكانيات اللازمة للتعليم المهني قائلان:-

"إذا لم يحظ التعليم الثانوي الفني بكافة الوسائل المتاحة أثناء عملية التدريس والتدريب، فإن توقعات المستوى المهني للدارسين تكون دون المستوى المطلـوب لإنعـاش اقتصـاد البلاد"، كما توصل الباحثان إلى "أن التعليم الثـانوي الفنـي يحدد الوضع الاجتماعي للمنخرطين فيه حتى قبل تخـرجهم، وأن مشكلة البطالة حملت الشباب وذويهم إلى تبديل نظرتهم إلى المدرسة الثانوية الفنية مما جعلهم على استعداد للتـزود بسلاح أفضل في سوق العمل".[٤١]

٣- تطبيق قانون التنشئة المهنية

صدر هذا القانون في عام ١٩٥٣، ويعتبر هذا القـانون هو الأساس الذي مهد لدخول دولة إسرائيل القـرن الحـادي والعشرين، حيث حمل الدولة مسـئولية التأهيـل المهنـي، وأصبح هذا القانون جزءا أساسيا من نظام التعلـيم الشـامل الذي يكتسب الطالب من خلاله الخبرة العملية، ويتعمق إيمانه بالعمل كقيمة وكوسيلة لحماية القيم الأخرى في المجتمع.[٤٢] ومن الجدير بالذكر أن المادة الثانية من قانون التربية والتعليم

الإسرائيلي تنص على: "الدعوة إلى ممارسة العمل اليدوي والزراعي، وتكوين الاتجاهات الإيجابية نحوهما لدى التلاميذ والطلاب منذ الصغر".[٤٣]

إن الأساس الذي يرتكز عليه قانون التنشئة المهنية في إسرائيل هو إدخال الحرفة كمادة أساسية في مؤسسات التعليم العام، وإضافة ساعات للعمل التجريبي في المصانع والمؤسسات كأساس لتثبيت المناهج وتحقيق الدمج بين الجانبين النظري والتطبيقي.[٤٤] ففي المرحلة الابتدائية يتدرب التلاميذ على الأعمال الزراعية والحرف اليدوية وإتقان مهنة.[٤٥] وفي هذا المجال توجد شبكة تليفزيونية متخصصة أسستها مؤسسة "روتشليد" تقدم برامج عملية جذابة للتلاميذ بهدف تنمية قدراتهم ومهاراتهم.[٤٦]، وفي المرحلة المتوسطة يقدم للطلاب برامج حرفية يشعر الطالب معها بأهمية جدوى استخدام اليدين، وتنظيم برامج تظهر من خلالها مواهب الطالب وإبداعاته تحت إشراف معلميه.[٤٧].. وفي التعليم الثانوي يوجه الطالب نحو مسار مهني تدريبي يؤهله للالتحاق بالتعليم الجامعي.

وقد أكد قانون التنشئة المهنية على أهمية تنظيم دورات وتدريبات للراشدين ذات مستويات ثلاث، حيث يمنح خريجو المستوى الأول فرصة استئناف دراستهم بالمعاهد العليا والجامعات، أما خريجو المستوى الثاني فيمكنهم الحصول على دبلوم مهني، ويحصل خريجو المستوى الثالث على مهارات علمية.. ولا يتم إغلاق الباب أمام خريجي المستويين الثاني والثالث حيث يمكنهم التطور والتقدم حسب قدراتهم وكفاءاتهم.(٤٨)

٤- إدخال التعليم التكنولوجي في مدارس التعليم العام

بمقتضى قانون "تمدا" لعام ١٩٩٨، تم إدخال التعليم التكنولوجي في مدارس التعليم العام في إسرائيل، وقد بدأت الحكومة الإسرائيلية في تنفيذ هذا المشروع في منتصف الخمسينات، وقد انتهى دوره بحلول عام ١٩٩٨، وبناء على هذا المشروع (تمدا لعام ١٩٩٨) أعيد النظر في المؤسسات التربوية من أجل تعزيز تعليم التكنولوجيا وخلق مدرسة أكثر شمولية، وقد ركز هذا المشروع على ضرورة تعليم

الرياضيات والمواد العلمية والتكنولوجيا في كافـة مراحـل التعليم العام.[٤٩]

وفي ظل هـذا المشـروع تأسسـت "مراكـز التعلـيم التكنولوجي" وتهدف إلى غرس المفاهيم العلمية لدى النشء.. وتحتوي هذه المراكز على مختبرات من الحواسـب الآليـة المتطورة، وأقسام للرسم البياني وإنتاج الأفـلام التعليميـة، ويعمل بهذه المراكز خبراء في التعليم وعلم النفس والهندسة والحواسب الآلية والإنتاج الضـوئي – الصـوتي والرسـم البياني، وتقوم هذه المراكز بدراسة الأفكار الخـام المفيـدة وتحليلها وبلورتها وترجمتها في مـواد تعليميـة (مطبوعـة أو ضوئية – صوتية أو في صورة ألعاب) ثـم إخضـاعها للتجارب التربوية حتى يقتنع بها خبـراء التعلـيم، وبعـدها تصبح في متناول جميع المؤسسات التربويـة.[٥٠]، ويركـز نشاط هذه المراكز على تلاميذ التعلـيم الأساسـي والتعلـيم الثانوي، وقامت هذه المراكز ببرمجة العديد من الموضوعات الدراسية مثل تعليم اللغـة العبريـة والحسـاب والهندسـة والمقاييس وكتيبات للتعليم الذاتي وبطاقات وأعمال يقوم بهـا الحاسب الآلي، وخلال أربع سنوات من البحـث والتجـارب

درس خلالها (٦٢٠٠) تلميذا، أدرك المربـون أن تـدريس الحواسب الآلية إلى جانب المواد الأخرى قد أسهم في تنميـة التفكير اللوغريتمي والمنهجـي والـذاتي لـدى التلاميـذ، وتطورت لديهم القدرة على تحديد المشكلات وحلها، وقررت وزارة التعليم والثقافة في إسرائيل بناء على ذلـك تـدريس وظيفة الحاسب الآلي كمادة دراسية ضـمن مـواد امتحـان الثانوية العامة.[٥١]

لقد ترتب على "مشروع تمـدا" لعـام ١٩٩٨، إحـداث تغييرات جذرية في كل المناهج الدراسية وتطوير نظم إدارة المدارس والجامعات، وانخفاض نسبة التسرب من المدارس، وتحسين مستوى التحصيل.. كما تم تدريب المعلمين تـدريبا علميا وتكنولوجيا وسد النقص في أعدادهم، ووصلت نسـبة المعلمين في التعليم الثانوي إلى معلم لكل (٧) تلاميذ حسـب إحصاء سنة ١٩٩٢.[٥٢]

٥- ربط التعليم باحتياجات سوق العمل

وقد تم تحقيق ذلك من خـلال مشـروع "أورت لعـام ٢٠٠٥" وقد بدأ تنظيم هذا المشروع في عام ١٩٤٨، ويهدف إلى إيجاد ترابط مستمر بين التعليم وسـوق العمـل وسـد

احتياجاته الدائمة من القوى العاملة المدربة، إن فلسفة الربط بين التعليم وسوق العمل – كما يرى المشروع – تسهم فـي تأصيل فكرة الارتباط بالأرض، ولذلك فإن هـذا المشـروع قائم على أيديولوجية بعث الإحياء من جديد للأمة اليهوديـة في أرض الميعاد، باعتبار أن الإيمان بهذه الأيديولوجية هـو أساس توحد الشعب اليهودي في الدولة لمواجهة ما يعتبرونه خطرا محدقا بهم، وقد تم استثمار هذه الأيديولوجيـة لـدفع حركة هجرة اليهود إلى إسرائيل خاصة أن الكثير منهم يمتلك القدرات العلمية، فكانوا ولا زالوا عاملا في ديناميكية دولـة إسرائيل.(٥٣)

وقد تم تنفيذ المشروع من خلال منظمة متطوعة هـي منظمة "أورت" التي وقع على عاتقها مهمة التدريب المهنـي منذ بداية ١٩٤٨ وحتى عام ٢٠٠٥، وكـان تركيزهـا فـي البداية على التأهيل في المجال الزراعي آنذاك.(٥٤)

وقد قام مشروع أورت لعام (٢٠٠٥) بمعالجة أحـوال ثلاث فئات اجتماعية هي المزارعون الشباب، العاطلون عن العمل، الحرفيون الملمون بالأولويات فقـط للارتقـاء بهـم، بحيث يتم دمج تلك الفئات الثلاث في النظام التعليمي وسوق

العمل ويساند المشروع رجال الصناعة والاقتصاد والتعليم والثقافة والدين والسياسة لتحقيق متطلبات سوق العمل حتى عام ٢٠٠٥.(٥٥)

وإلى جانب الدراسة العملية والمهنية، فإن مشروع "أورت" ينظم دورات دراسية باستمرار من أجل "عبرنة" المجتمع وسوق العمل والاقتصاد الإسرائيلي، وذلك بإلحاق المهاجرين للدولة في مدارس "اليوبالنيم" المتخصصة في تعليم اللغة العبرية وذلك كله بهدف إذابة اللغات المتعددة وتوحيد اللسان اليهودي، بحيث تكون اللغة العبرية هي اللغة الأساسية بينهم، وتضم مدارس "اليوبالنيم" أربعة أنواع من الفصول هي: فصول للمبتدئين، وفصول للتعليم الأساسي، وفصول للتعليم ما بعد الأساسي، وفصول التعليم الممتد أو المستمر.(٥٦)

وقد تم تطبيق مشروع "أورت" على الجامعات الإسرائيلية وبدأ معه التزام الجامعات بربط التعليم بسوق العمل، وتحديد الاحتياجات الفعلية من القوى العاملة متنوعة الاختصاصات لإنعاش سوق العمل، وبمقارنة كفاءة الباحثين الذين تخرجوا قبل عام ١٩٥٠ والذين تخرجوا بعد ذلك، نجد

أن خريجي ما بعد الالتزام بمعايير سوق العمـل، يمتلكـون كفاءة علمية أكبر بسبب تأهيلهم في تخصصات دقيقة لم تكن ضمن برامج التخصص الدراسي قبل عام ١٩٥٠.[٥٧]

كما تم تطبيق المشروع بشكل أساسي فـي التجمعـات التعاونية المتمثلة في "الكيبوتزات"، ومن خلال الكيبـوتزات انطلقت عملية ربط التعليم بسوق العمـل، وربـط الدراسـة النظرية بالدراسة العملية، وإدماج الطلاب في جميع مراحـل التعليم في التدريب بالورش الصناعية، وغرس قيم مثـل "أن المدرسة هي الحياة"، و"الحياة والعمل في خدمة المدرسـة"، وإدخال الحرف كمادة أساسية في المدارس.[٥٨]

وساعد الكيبوتزات على ذلك أنها قامـت منـذ نشـأتها الأولى على تدريب الصـبية والشـباب وتـأهيلهم للعمـل، وأصبحت أكثر صرامة وحزما مع تطبيق مشروع "أورت"، إذ غيرت من أهدافها وبرامجها لتتواكب مع احتياجات سوق العمل، واهتمت بجذب الصغار الذين تسـربوا مـن التعلـيم الإلزامي إلى التعليم المهني، وبذلك أمكـن القضـاء علـى البطالة بين الصغار بعد أن تم تأهيلهم للسـوق الاقتصـادي كعمال مهرة.[٥٩]

وتوازى مع ذلك كله إعادة تدريب وتأهيل المعلمين عبر حلقات دراسية يديرها خبراء وعلماء من أجل إعداد أفضـل للمعلمين في مجال التدريب المهني.

ولمشروع "أورت" موقع على الانترنت لتأهيل الدارسين قليلي الخبرة مهنيا، وتضم شبكة "أورت" طرقا تعليمية مختلفة وبرامج تدريب مهنية متنوعة لمختلف المستويات بما يساعد على ملاحقة كل جديد بدون توقف.(٦٠)

٦- التأهيل المهني بوزارة العمل

وفقا لقانون التنشئة المهنية الذي سبق الإشـارة إليـه، أعدت وزارة العمل الإسرائيلية برامج دراسية متزامنة مـع البرامج والمناهج الدراسية التي تعدها وزارة التعليم والثقافة، وذلك لتأهيل الكبار والشباب العامل في مصانع الإنتاج مهنيا، وقد اعتمدت الوزارة خطة متكاملة منذ عام ١٩٥٦ تشـارك في تنفيذها عدة وزارات تقوم على ضـرورة التوسـع فـي التعليم المهني وتطويره.(٦١)

ومن المهام المتعددة التي قامت بهـا الـوزارة فـي هـذا المجال:-

- تأهيل الشباب العاطل الذين تسربوا من التعليم بمراحله المختلفة بهدف إكسابهم ثقافة تكنولوجية متقدمة، وقد بلغ عدد الحرف المهنية التي تم التأهيل لها نحو (٧١) حرفة.
- تنظيم دورات دراسية لتأهيل الكبار مهنيا بالتعاون بين وزارة العمل ووزارة الشئون الاجتماعية وجيش الدفاع الإسرائيلي، ويحق لمن يجتاز هذه الدورات بتفوق الالتحاق بالمعاهد المهنية ومنها إلى الجامعات.[٦٢]
- تنظيم برامج تدريبية مكثفة خاصة بالمجندين والمجندات في جيش الدفاع الإسرائيلي، وذلك لإكساب الجنود "المعرفة الحرفية" المطلوبة والتي تؤدي بدورها إلى رفع ثقافة الجندي وتعزيز خبرته المعرفية والمهنية، مما يساعده على الوصول إلى القرار السليم في أي قضية.[٦٣]

ويتم تدريب الجنود في "الورش الخمسية"• وتقوم هـذه الورش بدور تربوي أساسي حيـث تعتبـر الوسـيط بـين المؤسسات الإنتاجية إلى جانب كونها في الوقت نفسه مكانـا للتأهيل المهني، ويشجع جيش الدفاع الإسرائيلي دومـا تلـك الورش؛ لأن نجاحها في تخريج الدارسين على مستوى تقني مرتفع من شأنه أن يؤدي إلى خلق "عمالة احتياطية" تكـون في الوقت نفسه على استعداد للالتحاق بالخدمة العسكرية إلى جانب العمل المدني.(٦٤)

- تأهيل المعلمين والمعلمات للتعليم المهني، وذلك من خلال دورات تدريبية على أسـاس تنميـة قدراتهم أولا بـأول، وتعـريفهم بـالتطورات العالمية في هذا المجال، وكذلك تنمية الـوعي لديهم بأهداف التعليم المهني.(٦٥)

إن الدور الذي تضطلع به وزارة العمـل فـي إطـار التأهيل المهني يأتي في سياق مجتمعي متكامل، ويتم بتعاون وزارات أخرى أهمها وزارات الـدفاع والتعلـيم والثقافـة والشئون الاجتماعية، كما أن هذا التأهيل ما كان ليتم بـدون

• سميت الورش الخمسية بهذا الاسم لأن عددها خمس ورش.

مشاركة المؤسسات التربوية والمنشآت الصناعية، مما يخلق حالة من "المسئولية الجماعيـة والمجتمعيـة" تجـاه أهميـة الارتقاء بالمهن وأهمية تطوير القدرات البشـرية باسـتمرار ومواكبة التطورات الصناعية المتسارعة في العالم المتقدم.

ثالثا: إذكاء الحسي اليهـودي بضرورة الهجـرة إلى فلسطين

تمثل الهجرة إلـى فلسـطين كمعتقـد سياسـي لـب الأيديولوجية الصهيونية، حتى أن "بن جوريـون" يـرى "أن الصهيونية تعني الهجرة إلى فلسـطين والاسـتيطان فيهـا، ولا أهمية تذكر لأي من الأبعاد الصهيونية الحقيقية في غياب البعد الخاص بالهجرة.(٦٦) وهو ما يعني عدم اعتراف "بـن جوريون" بصهيونية اليهود الذين يرفضون الهجرة إلى أرض إسرائيل، ويرى صهيونيو الخارج أنه لخطأ فاحش ذلك الذي يرتكبه "بن جوريون" عنـدما يصـر علـى نـزع الصـفة الصهيونية عمن لا يستوطن إسرائيل؛ لأن الجالية اليهوديـة في الولايات المتحدة الأمريكية وربما في غيرها من الـدول، هي ليست من المنفى بقدر ما هي في الشتات، وأن اشـتراط

ذلك التواجد من أجل تحقيق الحياة اليهودية الكاملة أمر فيـه الكثير من التشدد والانغلاق.(٦٧)

إن هجرة اليهود إلى فلسطين تمثل إحدى المرتكـزات الأساسية التي يلعب الفكر التربوي الإسرائيلي على وترهـا لتحقيق الاستيطان فيها، كما أنها تمثل – في زعمهم – وسيلة حمايتهم ووقايتهم من الاضطهاد، فضلا عن أنها تحول دون الإخلال بالواقع السكاني القائم حاليا علـى أرض فلسـطين والمرتكز على نسبة (٨٠%) لليهود، (١٥%) للعـرب، وأن أي تحول في هذه النسبة قد يهدد الطابع اليهودي للدولة.(٦٨)

والهجرة من ناحية أخرى توفر المادة البشرية التي يـتم بواسطتها استيطان المناطق المحتلة قديما وحديثا.

وتقول "جولدا مائير": "جميل جدا أن يعطينا اليهود فـي الغرب تأييدهم وحماسهم، ولكن هذا لا يكفـي، فمـن بعيـد لا يمكن أن تتم زراعة النقب والجليل، وأن ترديد الأغـاني الإسرائيلية في أمريكا يرقص القلب طربا، لكنـه لا يعمـر النقب، إنما تعمرها هذه الأغاني إذا كانت سـتقنع الشـباب اليهودي بالهجرة إلى النقب".(٦٩)

وهو ما يدل على أن هدف الصهيونية من الهجـرة لـم يكن كما كان يطلق باستمرار إنقـاذ اليهـود مـن المـذابح والاضطهاد وإنما كان الهدف استعمار الأرض واستيطانها.

ومن الطبيعي أن تجند التربية وتكرس الجهود التربوية لتسهيل الهجرة.. ذلك أن الهجرة لا تكون عن طريق الضغط والإكراه، وإنما تكون عن طريق الرغبة والإقناع، ولا شـك أن أمورا كهذه لا تستطيعها إلا التربية، أو على الأقل تلعـب التربية الدور الأهم والأكبر.

ويربط الحاخام (مردخاي كير شـيلوم) بـين التربيـة والهجرة أمام المؤتمر الصهيوني السابع والعشـرين قـائلا: "عن مسئولية يومنا هذه تتمثل في كلمتين: "تربية وهجـرة، ولن تتم هجرة الجيل الناشئ إذا لم نفهم أن الهجرة تبدأ بتربية أطفالنا وأبنائنا على أن أرض إسرائيل والهجرة إلـى أرض آبائنا هما ركنا الكيان القومي لشعبنا، ولا مسـتقبل للهجـرة دون تربية يهودية شاملة، ولا تربية حقيقية ذات قيمة إلا إذا كانت أرض إسرائيل أساسا لها".(٧٠)

ويرتكز تخطيط الفكر التربوي الصهيوني على أن يسبق الهجرة إلى إسرائيل مرحلة تمهيدية تثقيفيـة تنطـوي علـى

أمرين: الأول: هو الحفاظ على هوية الفرد اليهودية، والثاني، تأكيد مركزية إسرائيل في الحياة اليهودية.. ومن أجل تحقيق هذه الأهداف تعمل الصهيونية من خلال التربية على تحقير الحياة اليهودية في الخارج، وعلى تلقين الطفل منذ الصغر عدم الرضا بالحياة اليهودية في بيئة غير يهودية حتى في أحسن الظروف، فهي تصف اليهود خارج فلسطين بأنهم منفيون والبلاد التي يعيشون فيها: "بلاد المنفى".[٧١]

وتقوم المراكز الخاصة باليهود في الخارج بدور كبير في جذب اليهود للهجرة إلى فلسطين، وتقوم بنشاط اجتماعي وثقافي واسع في هذا المجال، وقد قامت الحكومة الإسرائيلية بإنشاء مدارس يهودية في "الدياسبورا" (الشتات)، يتلقى فيها الأطفال والشباب اليهودي في الخارج تربية يهودية إيجابية لتقوية القيم الثقافية والمعرفة اليهودية لديهم، وتنتشر هذه المدارس في كافة أنحاء العالم وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، وتعمل هذه المدارس من خلال منهاجها على بلورة المفاهيم الصهيونية بين الشباب اليهودي، وعلى التماسك مع إسرائيل والاستعداد لخوض الحرب من أجلها، مما يبقى على الازدواج الثقافي لديهم، ويحول دون ذوبانهم

في المحيط الذي يعيشون فيه.. وتواجه هذه المدارس انتقـادا من بعض اليهود لأنها تمثل في نظرهم العـودة إلـى حيـاة "الجيتو".(٧٢)

وبالإضافة إلى المدارس تلعب "الكنس" دورا كبيرا فـي برامج التربية اليهودية، حيث يقوم الكهنة والوعـاظ بإفهـام المستمعين معنى الوصايا الدينية في الهجرة إلـى إسـرائيل، وتقوم الكنس بنشر الكتب والنشـرات وتنظـيم المسـابقات الدراسية بهدف تشويق اليهود إلى الهجرة إلى إسرائيل.(٧٣)

ويلعب الإعلام اليهودي دورا كبيرا في هـذا المجـال، حيث أنشأت الحركة الصهيونية إذاعات وصحفا في بعـض بلاد العالم لإذكاء الحس اليهودي بضـرورة الهجـرة إلـى إسرائيل.

وتعمل "دائرة هجرة الشبيبة" التابعة للمنظمة الصهيونية العالمية على تلقين الشباب اليهـودي فـي الخـارج أسـس الصهيونية وتشجيع الهجرة بين الأطفال والشباب اليهـودي الذين هم دون السن القانونية للهجرة إلى إسرائيل عن طريق المنح الدراسية.(٧٤)

ويؤكد أدب الأطفال في كثير من جوانبه علـى أهميـة الهجرة إلى إسرائيل، حيث تركز بعـض القصـص التـي يدرسها الأطفال على أمنيات الأطفال اليهود في الخارج فـي الهجرة إلى إسرائيل والتعبير عن حلمهم وأملهم في الوصول إليها، بهدف استثارة الأطفال اليهود في إسرائيل وإشـعارهم بضرورة الحفاظ على دولتهم والارتباط بها، وتستثمر هـذه القصص حوادث الاضطهاد التي تحدث لأطفالها فيما يطلقون عليه بلاد المنفى وبصفة خاصـة فـي دول شـرق أوربـا ويجعلون حل عقدة القصة هو الهجرة إلى إسرائيل لإنقـاذهم من الاضطهاد وتحقيق الأمن لهم، كما تدور مضامين بعض المناهج التي يدرسها التلاميذ حول ترغيـب يهـود العـالم المنفيين للهجرة إلى إسرائيل التي تتميز بالجو الجميل، وهو ليس جميل فقط من ناحية الطقس ولكنه أيضا طاهر ويتمتـع فيه اليهود بالحرية بعيدا عن الاضطهاد.(٧٥)

وتعتبر إسرائيل فـي الوقـت الحاضـر أن المشـكلة الديموجرافية (النقص السكاني) هي من أخطر المشاكل التي تواجهها وخاصة في ظل انخفاض معـدلات هجـرة يهـود الشتات إلى إسرائيل وتزايد معـدل النمـو السـكاني مـن

الفلسطينيين، وقد تجلى ذلك في المؤتمر الكبير الذي عقد في الأسبوع الأخير من شهر فبراير لسنة ٢٠٠٠ لمناقشة الاتجاهات الاستراتيجية للسياسة العامة للدولة العبرية للخمسين عاما المقبلة والذي شارك فيه (٣٠٠) شخص من أهم القيادات السياسية والعسكرية والأمنية والعلمية والتربوية لدى إسرائيل.[٧٦] ناقش المؤتمر ورقة سرية تناولت التهديد الديموجرافي لإسرائيل اليهودية الذي يمثله عرب إسرائيل مما يهدد بتحويل إسرائيل إلى دولة مزدوجة القومية في حين أن أساس قيامها هو الحفاظ على نقاء الهوية اليهودية، وجاء في الورقة التي تسرب مضمونها أن نسبة الولادة في أوساط عرب إسرائيل (٤,٦) طفل لكل امرأة وهي ضعف النسبة لدى اليهود في إسرائيل (٢,٣%) طفل لكل امرأة، وإذا كان يوجد في الوقت الحالي (عربي) واحد لكل خمسة إسرائيليين فإنه خلال عشرين عاما ستصبح النسبة واحدا إلى ثلاثة، وتقدم المناقشون باقتراحات عنصرية المضمون تدعو بوضوح إلى:-

- السعي من خلال أجهزة الثقافة والتربية والإعلام إلى توعية الإسرائيليين بأهمية الإكثار من الإنجـاب لمواجهـة الزيادة السكانية بين العرب حتى لا تضيع الهوية اليهودية.

- تقديم معونات مالية للعائلات التي تنجب ثلاثة أبنـاء فأكثر.

- توزيع السكان اليهود في المناطق المثيرة للمتاعـب (ديموجرافيا) بخاصة في الجليل ومرج بن عامر والنقب لمنع تواصل غالبية عربية من شأنها أن تبتز إسرائيل.

- تبادل كتل سكانية بين إسرائيل والدولـة الفلسـطينية على أن يتم ضم كتل استيطانية (مقامـة علـى الأراضـي الفلسطينية) إلى إسرائيل مقابل نقل كتل سكانية عربية مقامة على الأراضي الإسرائيلية إلى فلسطين (أجزاء من المثلث – القدس الشرقية، وتجمعات سكانية للبدو في النقب).

- تكثيف جهود الإعلام اليهودي في الخـارج لتكثيـف معدلات هجرة الشتات والوصول بعدد سكان إسرائيل سـنة ٢٠٢٠ إلى (١٠) ملايين نسمة.

- توحيد المهاجرين الجدد بصورة منهجية ومخططـة نحو مشروعات استيطانية ذات أبعاد اقتصـادية واجتماعيـة

وتربوية وثقافية تساعد على دمجهم في المجتمع الإسـرائيلي وبما يساهم في تنفيذ خطط التنمية والدفاع ويعوض الفجـوة البشرية بينها وبين الدول العربية.

- دراسة منح المواطنين العرب في إسرائيل حق الخيار بين الجنسية الإسـرائيلية والجنسـية الفلسـطينية، وبهـدف إضعاف الوزن الانتخابي للمواطنين العرب أوصى مقـدمو التقرير بالسماح للإسـرائيليين المقيمـين خـارج إسـرائيل بالمشاركة في الانتخابات من دون الحاجة إلى المجيء إلـى إسرائيل لممارسة حق الانتخاب.

- السعي إلى إعادة إنشاء حركـة صـهيونية شـعبية تربوية في الخارج تستهدف اسـتعادة المضـامين الروحيـة للحركة الصهيونية التي تآكلت بفعل انغماس يهود الشتات في المجتمعات الأخرى وإعادة ربطهم بـالوطن الأم إسـرائيل بصور مختلفة، وتنشيط مناهج التربية اليهودية بـين يهـود الشتات.

وأوصى المؤتمر في ختامه باتباع حل عنصري يقضي بترحيل الفلسطينيين وفق سياسة (الترانسفير) حيث قال: "إن هناك حاجة إلى إيجاد مخرج من هذه الأزمة إذا لـم يوقـف

الفلسطينيون وتيرة تكاثرهم، والحل في هذه الحالة ليس فـي فلسطين وإنما في الأردن "وفي هذا الصـدد فـإن المـؤتمر أوصى المجتمع الدولي بالربط بين دعم السلطة الفلسـطينية وبين اشتراط تبنيها سياسة تحديد النسل مثلمـا حـدث فـي مصر.

هوامش الفصل الثاني

١- عبد الوهاب المسيري، "الأيديولوجيـة الصـهيونية"، مصدر سابق، ص ١٤٦.

٢- عبد الوهاب المسيري، "أسرار العقل الإسرائيلي، مصدر سابق، ص ١٣.

٣- موسى حنا عنز، "الكيبوتز من الـداخل"، دراسـة سياسية وإداريـة، بيـروت، مؤسسـة الدراسـات الفلسطينية، ١٩٧٠، ص ٣١.

وأنظر أيضا: وليد الجعفري: "المستعمرات الاسـتيطانية الإسرائيلية في الأراضي المحتلـة" (١٩٦٧ – ١٩٨٠)، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ص ١١٣.

٤- أبـو عرفـة، "الاسـتيطان، التطبيـق العملـي الصهيوني"، مؤسسة الدراسات الفلسـطينية، بيروت، ١٩٨٥، ص ١١٣.

٥- باسم سرحان، "التربية والتنشئة في الكيبوتز، فـي الأبعاد التربوية للصراع العربي الإسرائيلي"،

مركز دراسات الوحـدة العربيـة، جامعـة الكويت، ١٩٨٦، ص ٣٨٥.
٦- Melford E- Spiro, "children of the Kibbutz", New York, Chocken Books, ١٩٨٥, p. ١١
٧- Gerson Menachem, "Family Women and Socialization in the Kibbutz", Lexington Books, ١٩٧٢, U. S. A. p. ٤٢.
٨- Erent Krauz, ed "the Sociology of the Kibbutz", London Transaction Books, ١٩٨٣, p. ١٣١.
٩- السيد يسين، "تشريح العقل الإسرائيلي"، مصـدر سابق، ص. ص ٦٦ – ٦٨.
١٠- بدر سمرين، "مفاهيم العمـل والاسـتيطان فـي مناهج التعليم الإسـرائيلية"، دار الـرواد – بيروت، ١٩٩٣ – ص ١٣٢.
١١- نفس المصدر السابق، ص ١٠
١٢- رشاد الشامي، "الشخصية اليهوديـة الإسـرائيلية والروح العدوانية"، سلسلة كتب ثقافية شهرية،

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، الكويت، رقم ١٢، يونيـو ١٩٨٦، ص ١٩١.
١٣- برنشتاين – ر – توماس، "دافيد بـن جوريـون" "ذكريات" كتب مترجمة، المخابرات العامـة، تل أبيب، ص ١٥٠.
١٤- روجيه جارودي، "إسرائيل والصهيونية السياسية"، ترجمة إبراهيم كيلاني، دمشق، ١٩٨٤، ص ٤٩.
١٥- وائل أمين القاضي، التربية العنصرية والتعصـب الصهيوني، رسالة ماجستير غير منشـورة، كلية التربية جامعة عين شمس، ١٩٧٩، ص ٧٦.
١٦- عبد الوهـاب الكيـالي، "الكيبـوتز أو المـزارع الجماعية في إسـرائيل"، مركـز الأبحـاث الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٦، ص ١٣٣.

١٧- أنيس صـايغ (إشـراف): "الفكـرة الصـهيونية والنصوص الأساسية"، مصـدر سـابق، ص ٢٥٥.

١٨- نفس المصدر السابق، ص. ص ٢٥٧-٢٥٩.

١٩- عاموس ايلون، "الإسرائيليون، المؤسسون والأبناء" متـرجم مـن العبريـة، مركـز الأبحـاث الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٠، ص ١٥٩.

٢٠- صابر عبد الرحمن طعيمة، "اليهود بـين الـدين والتاريخ"، مكتبة النهضة، القـاهرة، ١٩٧٢، ص ٣٥.

٢١- السيد يسين، تشريح العقل الإسـرائيلي"، مصـدر سابق، ص ٩٥.

٢٢- نفس المرجع السابق، ص ٩٦.

٢٣- بدر سمرين، مصدر سابق، ص ١٣٦.

٢٤- نفس المصدر السابق، ص ١٣٨.

٢٥- ميشـيل ايفنـاري وآخـرون، "النقـب وتحـدي الصحراء"، كتب مترجمة، هيئة الاستعلامات، ص ١٢.

٢٦- سناء عبد اللطيف حسين، "الاتجاهات الأيديولوجية في أدب الأطفـال العبـري المعاصـر فـي إسرائيل"، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عـين شـمس، ١٩٩٢، ص ١٣٤.
٢٧- راحيل الفوسي، "التعبيـر العبـري فـي دولـة إسرائيل"، الفترة الثانيـة (١٩١٤ – ١٩٢٠)، الجامعة العبرية، القدس، ١٩٩٠، ص ١٣٣، مرجع بالعبرية.
٢٨- نفس المصدر السابق، ص ١٣٣.
٢٩- نفس المصدر السابق، ص ١٣٤.
٣٠- دود تسوكر، "التعليم المهني"، تل أبيب والقـدس، ١٩٨٥، ص ٤٤٧، مرجع بالعبرية".
٣١- شيرابار، "تعليم آخر"، جريدة دافار، الملحق رقـم ٤٥- (٢٩/ ١٠/ ١٩٩٥)، ص ٣.
٣٢- راحيل الفوسي، "التعليم العبري في دولة إسرائيل"، الفترة الأولى (١٨٥٤ – ١٩١٤)، الجامعـة

العبرية، القـدس، وزارة التعلـيم والثقافـة، ١٩٨٦، ص ٥٢، "مرجع بالعبرية".
٣٣- م ليسك، "أسباب التوجه المهني"، نموذج نظـري ومقاييس البحث، القـدس، ١٩٧١، ص ١٤، "مرجع بالعبرية".
٣٤- وولتر وآخرون، "التعليم في المجتمع الإسـرائيلي الحاضر"، تل أبيـب والقـدس، ١٩٨٥، ص ٦٨٦.
٣٥- عبد القادر يوسف، "مسح عام لأوضاع التعليم في الكيان الإسرائيلي"، في "تعلـيم الفلسـطينيين ماضيا وحاضرا ومستقبلا"، مصدر سـابق، ص ٦٨.
٣٦- Elad Peled, "Israele Education, in Comparative Education Systems", Op. Cit, p. ٢١٤.
٣٧- Ibid, p. ٢١٦.
٣٨- هارولد نوح: "إسرائيل: التعليم وسوق العمل"، تل أبيب والقدس، ١٩٨٥، مرجع باللغة العبرية، ص ٨٦٨.

٣٩- م – ليسك، "أسباب التوجه المهني"، مرجع سـابق بالعبرية، ص ٢٥.

٤٠- نفس المرجع السابق، ص٣٠.

٤١- ليسطار، ريكاهاتا، "التأهيـل اجتماعيـا والحالـة المهنية، تأثير التعليم التكنولوجي في إسرائيل على الوضع الاجتمـاعي لمتلقيـه" الجامعـة العبرية، القدس، ١٩٩٧، ص ١٤٣، "مرجـع بالعبرية".

٤٢- دود تسوكر، التعليم المهني، مرجع سابق باللغـة العبرية، ص٤٤.

٤٣- وولتر وآخرون، "التعليم في النظـام الإسـرائيلي الحاضر"، مرجع سابق باللغة العبريـة، ص ٤٥٤.

٤٤- دود تسوكر، "التعلـيم المهنـي"، مرجـع سـابق بالعبرية، ص ٤٦.

٤٥- نفس المصدر السابق، ص ٤٦١.

٤٦- نفس المصدر السابق، ص ٣٦٢.

٤٧- سمير هوانة، "نظام التعليم في الكيان الإسـرائيلي" مصدر سابق، ص ٧٩.
٤٨- دود تسوكر، "التعليم المهني"، مرجع سابق باللغـة العبرية، ص ٤٧.
٤٩- إسرائيل جورلنيخ، "مطلوب تعليم تكنولوجي لكـل تلميذ في إسـرائيل"، مختـارات إسـرائيلية، مركز الدراسـات السياسـية والاسـتراتيجية بالأهرام، يوليو ١٩٩٩، ص ٤١.
٥٠- لبنى موشون، "التكنولوجيا والحاسـبات الآليـة"، جريدة هآرتس، ٢٣/ ٢/ ١٩٩٩.
٥١- سمير جبور، "العلم والتكنولوجيا فـي إسـرائيل"، ترجمات مختارة من مصادر عبرية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢، ص ٥.
٥٢- تقرير عن التنمية في العالم، ١٩٩٨، "المعلمـون والتعليم في عـالم متغيـر"، اليونسـكو، ص ١٢١.

٥٣- هارولد نوح، "إسرائيل: التعليم وسـوق العمـل"، مرجع سابق باللغة العبرية، ص ٨٦٦.
٥٤- نفس المصدر السابق، ص ٨٧٠
٥٥- وولتر وآخرون، "التعليم في المجتمع الإسـرائيلي الحاضر"، مرجع سابق باللغة العبريـة، ص ٨١٨.
٥٦- صفا محمود عبد العال، "التعليم غير النظامي في إسرائيل – فلسفته وأهدافه ومؤسساته"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية جامعـة عين شمس، ١٩٩٣، ص ١٧٦.
٥٧- يوسف بن دود، "الجامعات في إسـرائيل" – تـل أبيب، القـدس، ١٩٨٥، ص ٥٢٧، مرجـع باللغة العبرية، ص ٥٥٨.
٥٨- هارولد نوح، "إسرائيل: التعليم وسـوق العمـل"، مرجع سابق باللغة العبرية، ص ٨٦٩.
٥٩- نفس المصدر السابق، ص ٨٦٩.

٦٠- وولتر وآخرون، "التعليم في المجتمع الإسـرائيلي الحاضر"، مرجع سابق باللغة العبريـة، ص ٨٧٠.

٦١- وزارة العمل، "التغيرات فـي البنـاء المهنـي"، مصادر اقتصادية، متطلبات تخطيط القـوى البشرية، القدس، ١٩٩٥، ص ١٣٤.

٦٢- نفس المصدر السابق، ص ١٦٢.

٦٣- نفس المصدر السابق، ص ٤٥٦.

٦٤- دود تسوكر، "التعليم المهني"، مرجع سابق باللغـة العبرية، ص ٤٦١.

٦٥- وزارة العمل والرفاهية، "الممتحنون فـي شـهادة البـاجروت (الثانويــة العامــة) النظريــة، والمستحقون لنيل شهادة الباجروت الدراسـية وفقا للمهن التي خضعت لاختبـار التصـفية والمتميزين في الامتحان المستمر، إحصـاء ١٩٩٥، ص ٤٦. (مرجع بالعبرية).

٦٦- أسعد عبد الرحمن، "المنظمة الصهيونية العالمية"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعـة الثانية، ١٩٩٠، ص ٣٤.
٦٧- أحمد بهاء الدين، "إسرائيليات"، القـاهرة، ١٩٦٥، ص ٥٦.
٦٨- نفس المصدر السابق، ص ٥٧.
٦٩- نفس المصدر السابق، ص ٥٨.
٧٠- سعيد إسماعيل علي، "التربية اليهودية الصهيونية"، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٤، ص. ص ٦٧-٦٨.
٧١- ألفـرد م – ليلنتـال، "المنـاورات الصـهيونية لاستدراج اليهود للهجرة إلى فلسـطين" فـي "الصهيونية حركة عنصرية"، أبحاث مـؤتمر طرابلس حول الصهيونية والعنصرية"، ٢٤/ ٢٨ يوليو ١٩٧٩، ترجمة عـدنان كيـالي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩، ص ٢٤٧.

٧٢- عارف توفيق عطاري، "دور التربية اليهودية في بناء الفرد اليهودي"، مصدر سابق، ص ٧٢.

٧٣- نفس المصدر السابق، ص ٧٣

٧٤- عبد العظيم محارب، "الهجـرة إلـى إسـرائيل، مشاكلها وكيفية التصدي لها"، مجلـة شـئون فلسطينية، العدد ٨، ١٩٨٢، ص ٥٣.

٧٥- سناء عبد اللطيف حسين، الاتجاهات الأيديولوجية في أدب الأطفـال العبـري المعاصـر فـي إسرائيل، مصـدر سـابق، ص. ص ١٠٣-١٠٥.

٧٦- الاتجاهات الاسـتراتيجية للدولـة العبريـة فـي الخمسين عاما المقبلة، مؤتمر عقد في القدس فيما بين (٢٥-٢٨ فبراير) ٢٠٠١ القـدس، انظر مختارات إسرائيلية، مركز الدراسـات السياسية والاسـتراتيجية بـالأهرام، أبريـل ٢٠٠١ ص ٦٦.

الفصل الثالث

اتجاهات الفكر التربوي الإسرائيلي ذات البعد الديني

تعد العقيدة اليهودية من أهم المصادر الرئيسـية التـي يشتق منها الفكر التربوي الإسرائيلي مضامينه، ولها تـأثير كبير في تحديد اتجاهاته وأبعاده، وتتمثـل اتجاهـات الفكـر التربوي الإسرائيلي ذات البعد الديني فيما يلي:

أولا: ترسـيخ الـوعي الـديني اليهـودي في وجدان أبناء الكيان الإسرائيلي

أدركت الصهيونية أهمية ربـط الـدين بقيـام الدولـة الصهيونية وبناء شخصية الفرد اليهودي، فقد جاء في وثيقـة إعلان الدولة: "أن دولة إسرائيل تقوم على مبـادئ الحريـة والعدالة والسلام كما تصورها أنبياء دولة إسرائيل".

وقد سئل وزير الدفاع الإسرائيلي السابق "موشى ديان"، وهو عالم آثار ومفسر غير متفرغ للتوراة، سئل عما إذا كان الدين له أثره في قيام الكيان الإسرائيلي فأجـاب قـائلا: "إن

التوراة تمثل أحدى العناصر الثلاثة التي تشـكل إسـرائيل، وهي الشعب اليهودي والكتاب المقدس وأرض اليهود، لذا إذا اجتمعت التوراة وأمة التوراة فلابد أن تكـون معهمـا أرض التوراة".[1]

ومن هنا أكدت التربية اليهودية على الدراسات الدينية، وهذا التأكيد عبرت عنه إحدى التوصـيات الصـادرة عـن المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين بقولها: "يجب أن تؤكـد برامج التعليم في مختلف المراحل الدراسـية علـى الثقافـة العبرية الكلاسيكية كما هو معبر عنها فـي التـوراة والأدب العبري القديم والحديث، وهذا هو الحبل المشترك الذي يوحد جميع اليهود ويكون لهم تقاليدهم المشتركة".

ويرى "ماير بار إيلان": " أن روح التـوراة يجـب أن تكون جزءا من دراسة كل يهودي متعلم حتى ولو لـم يكـن سيجعل من حقل الدراسة هذا مجالا للعمل.. كمـا يجـب أن يحفظ كل تلميذ مقاطع معينـة مـن التلمـود وأن يتشـرب روحها".[2]

ومن أجل ذلك كانت الدراسات الدينية محور التعليم في مدارس إسرائيل سواء كانت مدارس مدنية أو دينية، وتعتبر

مادة إجبارية لابد من النجاح فيها، وعلى رأس موضـوعات الدراسات الدينية تأتي دراسة التوراة والتلمـود، إذ يعـدان إطارا لكل الغايات التربوية، وتتراوح الساعات المخصصـة لدراسة التوراة وتراث التلمود في المرحلة الابتدائية ما بـين (٤-٥ ساعات) أسبوعيا، وفي المرحلة الإعدادية والثانويـة تصل إلى (٤ ساعات) أسبوعيا، وهو ما يعنـي أن التربيـة الدينية تحتل مكانا بارزا في المنهج التعليمي.

وقد حدد الفكر التربوي في إسرائيل أهـداف تـدريس التوراة باعتبارها أهم مصادر العقيدة اليهودية فـي مختلـف مراحل الدراسة في إسرائيل كما يلي:

- غرس الإيمان با الخالق المشرع الذي أعطى الكلمة لشعبه في كتابه، وتربية أبناء الكيان الإسرائيلي على القيـام بالواجبات تجاه ا والناس.

- أن يتعرف التلميذ على الأسس التي تقوم عليها مبادئ التوراة وما قدمته للحضارة الإنسانية.

- أن يتعرف التلميذ على آباء الأمة وقادتها وأنبيائهـا وأبطالها، وعلى تاريخ الشعب في بلاده.(٣)

- أن يتعرف التلميذ على أرض إسـرائيل.. طبيعتهـا وآثارها، وأن يقف على الرابطة بين الشعب وبلاده.

ولا تدرس التوراة عن طريق القراءة الجامدة أو التلقين الممل، بل يتم ذلك من خلال الدراسة العلمية عـن طريـق اصطحاب التلاميذ إلى الآثار الدينيـة القديمـة والخرائـب التاريخية التي يرجع عهدها إلى عصر التوراة.(٤)

وهناك بعـض الاخـتلاف بـين المـدارس العلمانيـة والمدارس الدينية في تدريس التوراة، ففي المدارس العلمانية يكون التعليم الديني بلا صلوات، وليس فيها تركيـز خـاص على الأسفار الخمسة، كما أن الوقت المخصص للتوراة أقـل من المدارس الدينية، ورغم ذلك فإن التوارة في هذه المدارس تدرس بشيء من التبجيل والاحترام.

أما المدارس الدينية فيبدأ اليوم الدراسي فيها بالصلوات، كما يطلب من التلاميذ ارتداء ملابس معينة أثنـاء الصـلاة والاحتفاظ بالقلنسوة على الرأس داخـل الصـف، وتوضـح التوراة بشروح تقليدية، وتمنع الشروحات النقديـة الحديثـة، ويؤكد فيها على الأسفار الخمسة التي قد تدرس أحيانا في كل سنة.(٥)

ويتمتع طلاب المدارس الدينية في إسرائيل منـذ عـام ١٩٥٠ بالإعفاء من أداء الخدمة العسكرية الإلزامية، وكانت مبررات هذا الإجراء هو إعداد أجيال جديدة من الحاخامـات تعويضا عن الحاخامات الذين قتلوا في أوربا، كما كان رجال الدين يرون أن طلاب المدارس الدينية مشغولون بتعليم الدين واستيعابه وليس لديهم وقت يتيح لهم المشاركة فـي أنشـطة أخرى بما فيها الخدمة العسكرية، لقد أصبح هـذا الإعفـاء معلما بارزا من المعالم التـي يـدور حولهـا الجـدل بـين العلمانيين والدينيين في إسرائيل، خاصة أن هذا الإعفاء لـم يكن كما كان قبل خمسين عاما يهـدف إلـى التفـرغ إلـى الدراسات الدينية وتكوين أجيال جديدة من الحاخامات، وإنما أصبح يعبر عن وجهة نظر كاملة، ورؤية سياسـية شـاملة يؤمن بها طلاب المعاهد التلمودية ومعهم الحاخامات.(٦)

ووفقا لما يورده "رشاد الشامي" في كتابه (القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة)، فإن هذه الرؤية ترتكز على أربعة عناصر:

١- عدم استعداد المتدينين لتحمـل مخـاطر الحـرب وحرصهم على الحياة؛ لأن مـن معتقـداتهم

الأساسية أن استمرارية الحياة يجب أن توضع فوق كل اعتبـار، "فتعـاليم التـوراة تعنـي استمرارية الحياة لا إطفاءها".

٢- عدم تعاطف المتدينين مـع الفكـرة الصـهيونية، وكذلك عدم تعاطفهم مع الأسـاس العلمـاني الذي تقوم عليه دولة إسرائيل، ومن هنا فـإن هؤلاء لا يؤدون الخدمة العسكرية باسـتثناء حركة تسمى حركة "حبـد الحسـيدية" فهـي تشجع أتباعها على أداء الخدمة العسكرية.

٣- ادعاء المتدينين أنهم يؤدون واجبهم تجاه الـوطن بالمواظبة علـى التعبـد، وإقامـة الصـلاة، ودراسة التوراة والتلمود لاسـتنزال الحمايـة الإلهية على الشعب اليهودي، ولحماية الوجود الروحي والأخلاقي للدولة على أساس أنه إذا كان الجنود يحاربون بالسـلاح فالمتـدينون يحاربون بقوة الدين.

٤- اعتقاد المتدينين بعدم وجود البيئة الأخلاقية النظيفة في الجيش، ومن ثم فإنهم يخشون أن يـؤدي

انخراطهم في الخدمة العسكرية إلى الابتعـاد عن التعاليم الدينية، كما يخشون أن يتعرضوا للانحلال الأخلاقي بسبب وجود فتيات غيـر محتشمات في الجيش الإسرائيلي.(٧)

ويركز الفكر التربوي الإسرائيلي من خلال الدراسـات الدينية على موضوعات معينة تساعد علـى إيقـاظ الحـس الديني لدى الأطفال اليهود منذ الصغر مثل كيفية أداء طقوس الديانة اليهودية على النحو الصحيح، ووصف أمسيات السبت وهو من الأيام المقدسة التي يحرم العمـل فيهـا، وتعريـف التلاميذ ببعض الأعياد الدينية التي لها صلة بالتاريخ اليهودي مثل عيد "الحانوكة" الذي يرمز إلى دخول "يهودا المكـابي" إلى القدس وإعادته للشعائر الدينية اليهوديـة فـي الهيكـل، وكذلك عيد الفصح (٤ أبريل) وهو وقت القيام بـالحج إلـى القدس، كذلك يعتبر اليهود هذا العيد ذكرى خلاصـهم مـن العبودية في مصر ولذلك يطلقون عليه "عيد حريتنا".(٨)

وتركز الأيديولوجية الصهيونية على بعد هام من خلال الاحتفال بالأعياد الدينية اليهودية، وهي أن يهـود الشـتات لا يستطيعون ممارسة الاحتفال بالأعياد اليهودية، أمـا فـي

إسرائيل فيمارس اليهود حياتهم الطبيعية ويحتفلون بالأعيـاد علنا.[٩]

ويحرص الفكر التربوي الإسرائيلي – من خـلال أدب الأطفال – على استحضار الشخصيات اليهودية المسـتوحاة من التوراة لدغدغة النوازع الداخلية للأطفال وإثارة حماسهم لموضوع ما، فالحديث عن الشخصيات الدينية يكون مصدرا يستقي منه الأطفال العظة ليكون قدوة بالنسبة لهم.. ففي قصة (فضل ربي يهودا الناس)، يبرز الكاتب "دافيد كوهين" سـبب ذيوع صيت (ربي يهودا الناس) واعتلائه عـرش الرئاسـة الدينية في إسرائيل لتبحره في التوراة وتعليمه الناس الفضيلة والرحمة، كما أنه استطاع أن يصل إلى قلوب الناس ويخلبهم من خلال تعليمهم التوراة، وأكثر من ذلك أنه استطاع تحويل الشباب من عاص ومستهتر إلى شـباب سـوي.. وتوضـح القصة للأطفال أن ارتفاع مكانة الحاخام في المجتمع اليهودي لا تعتمد على ما يستمده من نفوذ وظيفته، ولكن من خـلال سلوكه الحسن وأعماله الصالحة وأخلاقه الدمثـة وحكمتـه وعلمه الفياض الذي يستطيع بـه أن يـؤثر علـى القلـوب ويستحوذ حب الناس.[١٠]

وفي قصة (فتيان بريوحاي)، يشيد الكاتـب بشخصـية دينية هامة وهي (ربي شمعون) الـذي كـان يعلـم أطفـال إسرائيل الشريعة اليهودية واللغة العبرية، كما يشيد بحـرص اليهود على ممارسة طقوسهم الدينيـة وإخلاصـهم لشـعبهم ولغتهم وشريعتهم.(١١)

وتزخر مناهج الدراسات الدينية بالكثير مـن القصـص التي وردت في العهد القديم، مثل "قصص التناخ مع صـور لونه"، و"مقتطفات من أساطير الحاخامات مبـاركي الـذكر" والتي تناولت مختلف الموضوعات مثل "شعب إسـرائيل – أرض إسرائيل – شريعة إسرائيل – المنفى – الخـلاص – قصة الخلق – إبراهيم أبونا – موسى سيدنا – الملك داود – مفاتن الملك – هليل العجوز – يوحنا بن ركامي".(١٢)

وتؤكد برامج التعليم الإسرائيلية على أن الأوامر الدينية هي بمثابة سيف مسلط على اليهود يجب تنفيذه بالرغم مـن أي ظروف.(١٣)

ويحرص الفكر التربوي في إسرائيل علـى ضـرورة تلقين الطلاب منذ الصغر كل ما يحض على أعمال العنـف والحرب والتوسع واستخدام القوة والقتل ضد الأغيار استنادا

إلى نصوص في التوراة، وتنفيذا لما جاء في سفر "يشـوع" (١٢/٦) بضرورة إبادة الشعوب المقهورة بحد السيف.. وفي ذلك يقول: يوري إيفانوف": "إن دائرة الأفكار التي يسمم بها الصهاينة عقول أطفالهم والتي يرجى أن تستقر في أفهـامهم على نحو يستحيل اقتلاعها تبدأ عادة بالتوراة".[١٤]

وتتعدد الأحزاب والتنظيمات الدينية داخـل إسـرائيل، وهي تشكل المرآة الحقيقية لطبيعة المجتمع الإسرائيلي القائم على التناقضات بتركيباته السكانية وثقافاته المتباينة، وهـي تؤكد جميعـا علـى أن اليهوديـة والصـهيونية صـنوان لا يفترقان.. وبرغم أن زعماء الحركة الصـهيونية أسسـوا دولة إسرائيل على أساس علماني، إلا أنهم استغلوا عنصـر الدين لجذب المهاجرين اليهود من مختلـف أنحـاء العـالم واستقطاب اليهود غير العلمانيين.[١٥]

ومنذ بداية إعلان دولة إسـرائيل عـام ١٩٤٨، كـان عنصر السياسية هو المسيطر والموجـه للدولـة بصـورة حاسمة، مادام الصهيونيون العلمانيون كـانوا هـم الطليعـة المحققة لحلم الصهيونية في الدولة، وقد جاهدت القوى الدينية في إسرائيل على تكييف مقولاتها وفقا لقيم المجتمع العلمانية،

إلا أنه ابتداء من حرب يونيو ١٩٦٧، انقلب هذا السعي نحو التكيف، وبدأ خطاب ديني يعزو هذا الانتصار إلى المعجـزة الإلهية التي ساندت شعب ا المختار، وهكـذا فـإن لغـة الخطاب الديني لم تعد تهدف إلى التكيف مع القيم العلمانيـة، بل إلى إعطاء تنظيم المجتمع أساسا قدسيا يهدف إلى تغييـر القيم داخل المجتمع الإسرائيلي وفقا للشريعة اليهودية.(١٦)

ولكي تحقق الأحزاب الدينية أهدافها، اشتغلت بالسياسة ومحاولة اختراق الكنيست وترسـيخ الـدين فـي المجتمـع الإسرائيلي لتحقيق ما تسعى إليه والتأثير على الواقع السياسي والقرار السياسي، وقد نجحت هذه الأحزاب في إجبار الدولة على تطبيق أوامر الدين علـى قضـايا الطـلاق والـزواج والقضايا الأخرى المرتبطة بالأحوال الشخصية، كما قامـت الدولة بمنح صلاحيات للمجالس الدينية والاهتمـام بـالتعليم الديني، وإقامة شبكة من المدارس الدينية الرسمية، فضلا عن إنشاء وزارة للأديان لها ميزانية للخـدمات الدينيـة، كمـا شرعت الدولة قوانين مستمدة من الشريعة الدينية فيما يتصل بيوم السبت باعتباره يوم راحة، والاحتفال بالأعيـاد الدينيـة وضمان "الكاشير" "الطعام الرسمي" في المطابخ الرسمية.(١٧)

وقد قفزت الصهيوينة الدينية قفزة كبيرة إلـى الأمـام بأفكار "افراهام اسحق كوك" الذي أسس أول مدرسة دينية في إسرائيل عام ١٩٢٤ وهي مدرسة "مركاز هـراف" والتـي تخرج منها الآلاف من دعاة الصهيونية العالمية، وقد كـرس حياته للتوفيق بين الصهيونيين الدينيين واللادينيـين، وكـان يرى أن هناك ثلاثة مبادئ تنظم العلاقة بين التقاليد الدينيـة القومية والقومية اليهودية الحديثة وهي:

- إعطاء معنى ديني حقيقي لمركزية "أرض إسـرائيل" في الحياة اليهودية.

- تنمية الإدراك الحسي للعلاقة بين الـدين اليهـودي ونشاط الصهيونية العلمانية.

- إعطاء أهمية عالمية للنهضة اليهودية من خلال نظام الفلسفة الدينية.[١٨]

وتطبيقا لهذه المبادئ شن "كوك" هجوما عنيفـا علـى التقاليد الدينية التي تبيح للإنسان أن يعيش فـي "الشـتات"، واعتبر أن ارتباط التعاليم اليهودية "بأرض إسرائيل" وآمـال العودة هي التي حفظت اليهودية من الضـياع، وأن شـعب إسرائيل والتوراة وأرض إسرائيل هم مزيج واحد.[١٩]

وتحرص الأحزاب الدينية في إسـرائيل علـى العمـل بالسياسة، فأحزاب "المفدال"، و "اجودات يسرائيل"، و "شاس" التي تعد من أشهر الأحزاب الدينية تحرص على أن يكـون لها مقاعد في "الكنيست"، وهي تساوم الحـزبين الرئيسـيين "العمل والليكود" للائتلاف معها مقابل الحصول على حقائـب وزارية يمكن من خلالها تحقيق أهدافها.

ويعد حزب "المفدال" هو الحـزب الـديني الأول فـي إسرائيل تاريخيا وحجما، ووفقـا لمـا نشـر فـي جريـدة "هاتوسفيه" العبرية بتـاريخ ٦/ ٥/ ١٩٧٧ فـإن الملامـح التربوية لبرنامجه تتمثل في الآتي:-

- يجب أن تكون دولة إسرائيل يهودية في طابعها وفي ثقافتها وفي روحها من خلال الحفاظ على حقوق الفرد.

- منح تربية يهودية أصيلة من خلال الارتبـاط بقـيم اليهودية وتقاليدها من ناحية، وتأمين تعليم ديني للمعنيين بذلك من ناحية أخرى.

- استمرارية الجهود لضمان المجالس الدينية وقـدرتها على العمل كجهاز وحيد لإشباع الحاجات الدينية للجمهـور والفرد.(٢٠)

وتشكل معاهد "اليشيفوت" (المعاهد التلمودية) مركز التربية الأساسي للمؤهلين للخدمات الدينية، وتعد بمثابة حلقة اجتماعية روحانية قائمة بذاتها حيث تعد خريجيها للعمل كحاخامات أو قضاة وما شابه ذلك.(٢١)

ويحظى التعليم الديني في إسرائيل باعتباره تعليما رسميا باستقلال ذاتي، وتقوم الدولة بتمويله وصرف أجور معلميه، وتوجد في وزارة التعليم شعبة خاصة ذات استقلال ذاتي مسئولة عن التعليم الرسمي الديني الذي أصبح مع توسيع صلاحياته مملكة قائمة بذاتها، ويعتبر الإشراف على التعليم الديني من قبل الدولة إشرافا شكليا فقط، ويوجد في وزارة التعليم قسم للثقافة التوراتية الأرثوذكسية، وقسم للعناية بموضوع (الوعي اليهودي) في مدارس التعليم الرسمي.(٢٢)

ولم يعزل التعليم العلماني نفسه عن الأدب التلمودي أو عن الشعر العبري في العصور الوسطى، حيث أصبحت نماذج مختارة من هذه الأنماط جزءا حيويا من مناهج الدراسة في كل مراحل التعليم والثقافة في إسرائيل المعاصرة.(٢٣)

وفي إطار رعاية الدولة للتعليم الـديني، تقـوم وزارة الضمان الاجتماعي في إسرائيل بالمساعدة في إعالـة أبنـاء (اليشيفوت) في إطار القانون، وتبادر وزارة الداخلية بإقامـة (يشيفوت) تحت اسم (حركة نشر التوراة)، كذلك فإن جـيش الدفاع الإسرائيلي يكرس وسـائل هائلـة لتزويـد الجنـود بالخدمات الدينية ويخصص مكانة محترمة للتقاليـد الدينيـة اليهودية في المناخ العسكري، كما أن جزءا مـن ميزانيـة وزارة العدل يخصص لدراسة القانون العبري، كمـا تعنـي وزارة الخارجية بدراسات "الوعي اليهـودي" وتقـوم وزارة الأديان بإعطاء منح لميزانيات التنمية مثـل بنـاء المعابـد ومغاطس التطهر، ويوجد في الوكالة اليهودية قسـم للثقافـة التوراتية في المنفى حيث يقوم بمـد اليهـود فـي المنفـى باحتياجاتهم الدينية.(٢٤)

وتحرص الأحزاب الدينية المتشددة في إسـرائيل مثـل حزب "شاس" وحزب "أجودات يسرائيل" على بـث العقيـدة الدينية إلى حد التطرف.. وإسرائيل التي تعلن قلقها من المد الديني اليهودي الإسلامي، يستهدف الفكـر التربـوي لـدى أحزابها الدينية المتطرفة دعم المد الأصولي اليهودي الـذي

يخرج المتشددين والمتعصبين، وتشجيع إنشاء شبكة واسـعة من المدارس الدينية التي أصبحت تمثل نسبتها فـي الوقـت الحـالي (٢٢%) مـن جملـة المـدارس الموجـودة فـي إسرائيل.[٢٥]

ومن المعروف أن معظم هذه المدارس تتبع أشد حزبين تعصبا في إسرائيل وهما "حزب شاس" و "حـزب أجـودات يسرائيل".

وتخصص الدولة مقعد نائب وزير التعليم منذ سـنوات طويلة لحزب "شاس" الديني المتطرف لكي تحصل المدارس الدينية على دعم مالي ومسـاندة تعطيهـا القـوة والنفـوذ والانتشار حتى زاد الدعم المـالي لهـذه الشـبكات بنسـبة (٣,٥%)، هذا بخلاف الإعانـات التـي تخصصـها وزارة الأديان ووزارة العمل للأسر التي تعلم أبناءها في المـدارس الدينية، وحين رفض رئيس وزراء إسرائيل السابق (إيهـود باراك) زيادة المعونة المالية للمدارس الدينية بنسبة (٢٠%) انسحب هذا الحزب من الائتلاف الحاكم، أي أن الأصـولية والتعصب والتشدد في إسرائيل تزداد عمقا وتتسع دوائرهـا

برعاية الدولة، بينما تدعي إسـرائيل أن الأصـولية الدينيـة الإسلامية هي وحدها مصدر الإرهاب.[٢٦]

وإذا كانت دولة إسرائيل قد قامت على أساس ديني من الناحية الرسمية، وإذا كان هناك اهتمام بالدراسات الدينية في المـدارس والجـيش، وإذا كانـت تصـريحات المسـئولين الإسرائيليين تحفل بالاستنتاجات والاستشهادات من التـوراة، ناهيك عما تقوم به الأحزاب الدينية من دور هام فـي نشـر الأصولية الدينية فهل امتزج الـدين بحيـاة أبنـاء الكيـان الإسرائيلي حقا؟

للإجابة عن هذا التساؤل، نشير إلى إحـدى الدراسـات التي قام بها الباحث الإسرائيلي "يهودا بن مائير"، أستاذ علـم النفس بجامعة "بار إيلان" حيث قام بتطبيق استبيان مؤسـس على مجموعة من الأسـئلة بلغـت (١٥٠) سـؤالا شـملت مجالات مختلفة ومتعددة في الحياة الدينية، منها (٣٢) سؤالا عن الجانب السلوكي والعمل بالأوامر التوراتية، وتسعة أسئلة عن الجانب الأيديولوجي، وقـد عرضـت الأسـئلة علـى (١٦١٠) رجلا وامرأة بالغين في مناطق متعددة في إسرائيل، وقد أوضحت نتائج الاستبيان أن (٢٤%) من أفـراد العينـة

تشكل جماعات دينية متزمتة، وأن السواد الأعظم من أفـراد العينة لا يقيم للتعاليم التوراتية وزنا، وهو ما يشير إلـى أن الدين ليس هو بحال جوهر المجتمع الإسرائيلي.[٢٧]

ترى لماذا هذا التعثر رغم تلك الجهود التي تبذلها الدولة من خلال تنظيماتها ومؤسساتها التربوية لنشر الوعي الديني بين أبنائها.. إن لذلك التعثر كما نرى أسباب عديـدة تتمثـل فيما يلي:

- إن تمسك اليهود الشديد بطقوس الدين في الشتات كان تعبيرا عن الشعور بالتمايز والاختلاف عن الآخـرين مـن مواطني الأوطان الأصلية، أما بعد أن هـاجر اليهـود إلـى فلسطين وأصبح الدين اليهودي هو الدين الرسمي للدولة، فإن التمسك الشديد بطقوس ذلك الدين لم يعد يؤدي نفس الوظيفة، أعني إبراز تمايز اليهود واختلافهم عن غيرهم.

- إن ثمة تعارض حقيقي بين تعاليم وطقـوس الديانـة اليهودية بالغة القدم، وبين ظروف الحياة الفعلية التي تعيشها إسرائيل، ويكفي للتدليل على ذلك أن الدين اليهـودي يـنص على أن الرجال عليهم أن يشكروا ا كل صباح لأنـه لـم

يخلقهم نساء بينما كان على رأس حكومة إسرائيل في إحدى الفترات امرأة "جولدا مائير".

- إن جانبا كبيرا من الدعاية الإسرائيلية يركـز علـى صورة إسرائيل الدولة الحديثة المتحضرة التي تعـد امتـدادا للحضارة الغربية وكل ذلك يتعارض مع القـول بضـرورة التزام الدولة بتعاليم الدين اليهودي.

- وجود انقسام في النظرة إلى الدين اليهـودي نفسـه وخاصة بين "الاشكنازيم" "اليهود الغـربيين" و "السـفارديم" "اليهود الشرقيين" ويتضح هذا الانقسام في وجـود منصـبين لكبار الحاخامات أحدهما لكبير حاخامات اليهود "الاشكنازيم" والثاني لكبير حاخامات "السفارديم".

- تغلغل الاتجاهات العلمانية وانحسار القيم الدينية لدى معظم أفراد جيل "الصابرا" وهو الجيل الذي ولد في إسرائيل، واكتسابه قيما اجتماعيـة تتناسـب مـع نمـوذج المجتمـع الاستهلاكي والذي يتبلور بشكل مطرد في إسرائيل والـذي يجعل الفرد يسعى لمصلحته الخاصة بصرف النظـر عـن الصالح العام للمجتمع.

- اشتراك التنظيمات الدينية في إسرائيل فـي العمـل السياسي ووجود تنافس بينهـا، ممـا أدى برجـل الشـارع الإسرائيلي إلى فقدان احترامه الروحي لها، بل إن "فريدمان" يقرر أن هناك عبارة كثيرا ما كان يسمعها بـين الجـامعيين ورجال الإعلام والموظفين الحكوميين والعمال، وهي عبارة: "إن الدين في بلادنا ليس سوى سياسة".

تلك هي أهم الأسباب الموضوعية التي حالت وتحـول دون أن يكون الدين اليهودي، في حد ذاته هو محور التكوين السيكولوجي للإسرائيليين المعاصرين، وإن كان ذلك لا يمنع من أن العقيدة اليهودية تمثل إحدى الأركان السياسـية التـي ارتكزت عليها إسرائيل في قيامها، وإن المؤسسات الدينية في إسرائيل تبذل جهودا مضاعفة من أجل ترسيخ الوعي الديني بالعقيدة الدينية بين أبناء الكيان الصهيوني.

ثانيا: تدعيم مشاعر الاعتزاز بالرموز المقدسة

يستهدف الفكر التربوي في إسرائيل من خلال الدراسات الدينية تدعيم مشاعر اعتزاز اليهود برموز تمثل أماكن ليس

لها نظير إلا في فلسطين.. فعلى سبيل المثال هنـاك مرتفـع صهيون الذي لا يعدو أن يكون تلا صغيرا في جنوب غرب القدس، صار رمزا دينيا أضفى عليه اليهود هالة من القداسة، لأنه المكان الذي ستأتي منه "كلمة ا " ويحج إليـه اليهـود، ويقال إن الملك داود دفن فيه.(٢٨)

ومن الرموز المكانية التـي يسـعى الفكـر التربـوي الإسرائيلي إلى ربط الأطفال بها وإبراز أهميتها الدينية مدينة القدس، وتشغل مكانة هامة في الوجدان اليهودي، ويقول عنها حاخامات اليهود "هبطت على الدنيا عشرة معـايير للجمـال وكان حظ القدس منها تسعة "ووصـفها النبـي "داود" بأنهـا "كمال الجمال"، ويطلقـون عليهـا "مدينـة ا " و"المدينـة المقدسة"، وهي في نظر "أشعيا" (المدينة الصـادقة) وأنهـا مهبط الصلاح المليئة بالعدل، كما أنها تضم تـابوت العهـد الذي نقله داود إليها، وقد أقام فيها سليمان عليه السلام الهيكل ليكون المأوى الرمزي لإله إسرائيل في قلب أرضه وشعبه، وعندما تم نفي اليهود في القرن السادس (ق.م) أقسموا هـذا القسم: "إن كنت أنساك يا أورشليم، فاجعلي يدي اليمنى تنسى

مهارتها، وإذا لم أذكرك فاجعلي لساني يلتصق بأعلى بـاطن فمي".

وكان اليهود يتذكرون القدس في صلواتهم وخاصة فـي عيد الفصح حيث يرددون الشعار: "نلتقي في العام القادم في أورشليم"، وهكذا أرادت الأيديولوجية الصـهيونية أن تـوهم الناس أن القدس يهودية بالمفهوم السياسي الذي يخلـق مـن رموز غيبياتها دائرة يهودية مغلقة.[٢٩]

ويعتبر حائط المبكى من الرموز المكانية التي يحـرص الفكر التربوي في إسرائيل على ارتباط الأطفال بها وحـبهم لهم، وحائط المبكى أو الحائط الغربي هو جزء من السـور الخارجي الذي بناه "هيرود" حول الهيكل الثاني بعد خـراب الهيكل الأول، ويعتبر من أقدس الأماكن التـي يحـج إليهـا اليهود من كل أنحاء العالم، وقد سمي حائط المبكى – كمـا يزعمون – لأن الصلوات حوله تأخذ شكل عوال ونواح، بل أيضا جاء في الأساطير اليهودية أن الحائط نفسـه يـزرف الدموع من التاسع من "آب" وهو التـاريخ الـذي قـام فيـه "تيتوس" بتخريب الهيكل، كما يقال أن "الشخيناه" أو "الحضرة الإلهية" لا تغادر الحائط بتاتا.[٣٠]، ومن ثم تحرص التربيـة

اليهودية على ترسيخ صورة حائط المبكى في نفوس الأطفال منذ الصغر وارتباطهم به باعتباره من الرموز اليهودية التي تربط اليهود بفلسطين وتعطيهم الحق التاريخي فيها.

ومن الغريب أننا نردد اسم "حائط المبكى" ونسلم بأنه موضع يهودي مقدس، وأصبحنا نساوي بينه وبين المسجد الأقصى عند المسلمين، كما يفعل الكتاب الأجانب الذين يرون أن المسجد الأقصى أثر إسلامي، وحائط المبكى أثر يهودي، بينما تشير حقائق التاريخ القريب والبعيد إلى غير ذلك، فهذا الحائط الذي أصبحنا نردد في أحاديثنا اسمه اليهودي هو في الحقيقة أثر إسلامي مقدس، بل هو أكثر الأماكن قدسية في فلسطين بعد الحرم المقدس نفسه، فهو الحائط الذي حط عليه البراق الذي حمل النبي "محمد صلى ا عليه وسلم" ليلة الإسراء والمعراج إلى السماوات العلى، واستمر هذا الحائط يعرف بحائط البراق عند المسلمين وعند سائر أجناس العالم حتى استولت عليه القوات الإسرائيلية في حرب يونيو ١٩٦٧.

وبالعودة إلى الوثائق البريطانية في فترة الانتداب البريطاني بفلسطين نجد أنها لا تشير إلى الحائط إلا باسمه

المعروف آنذاك "البراق"، وقد حدث خـلال عـام ١٩٢٨ أن حاول بعض اليهود السطو على الحائط بـاحتلال رصـيفه، فتصدى لهم العرب في معركة عنيفـة، وشـكلت السـلطات البريطانية لجنة للتحقيق قدمت في عام ١٩٣٠ تقريرا أيـدت فيه حق المسلمين في ملكية حائط البراق وكان النص الحرفي لما تردد في التقرير: "للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحـائط الغربي ولهم وحدهم الحق العيني فيه لكونه يؤلـف جـزءا لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف التي هـي مـن أمـلاك الوقف، وللمسلمين أيضا تعود ملكية الرصيف الكـائن أمـام الحائط وأمام المنطقة المعروفة بحـارة المغاربـة باعتبـاره موقوفا وفق أحكام الشرع الإسلامي"،[٣١] وحـارة المغاربـة التي ورد ذكرها في تقرير اللجنة البريطانيـة هـي إحـدى المعالم التي محتها إسرائيل من القدس وقامت بفرض الهوية اليهودية عليها.

إن تقديس اليهود للحائط هي قصة حديثة نسبيا، وهي لم تبدأ إلا بعد عشرة قرون من تقديس المسـلمين لـه أي فـي القرن السادس عشر المـيلادي، ومـا إن بـدأت الحركـة الصهيونية في فلسطين وتناسينا نحن المسلمين ذلك وأخـذنا

نتحدث عن حائط المبكى اليهودي غير واعين أن ما نتحدث عنه هو أحد الأماكن الإسلامية.

وقد لعبت الرموز الدينية التي انتقاها اليهود من التوراة دورا هاما في وجدان الأطفال، ومن هذه الرموز "الشمعدان" وكذلك "نجمة داود" التي أصبح لها صفة قومية حيث ترمـز إلى علم إسرائيل، ويعتبر "درع داود" من الرمـوز الدينيـة الهامة حيث يستخدم هذا الدرع شـعارا لمنظمـة الصـليب الأحمر لإسرائيل في الوقت الحاضر.[٣٢]

هوامش الفصل الثالث

١- رشاد الشامي، "جولة في الدين والتقاليد اليهودية"، القاهرة، مكتبة سعيد رأفت، ١٩٧٧، ص ٧٦.

٢- أسعد السحمراني، "من اليهودية إلى الصهيونية، الفكر الديني اليهودي في خدمة المشروع السياسي الصهيوني"، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٣، ص ١٣٩.

انظر أيضا: "المؤتمر الصهيوني السابع والعشرون"، مركز الدراسات الصهيونية بالأهرام، مصدر سابق، ص ٨٨٠.

٣- عارف توفيق عطاري: "دور التربية اليهودية في بناء الفرد اليهودي"، مصدر سابق، ص ٨١.

٤- ديفيد لانداو، "الأصولية اليهودية"، ترجمة مجدي عبد الكريم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٤، ص. ص. ٢٥٩-٢٦٢.

٥- نفس المصدر السابق، ص ١٤٠.

٦- إبراهيم نافع، الأهرام، "حقائق حول التعليم الديني في إسرائيل"، ٧/ ٥/ ٢٠٠٠.

٧- رشاد الشامي، "القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة"، عالم المعرفـة، العـدد ١٨٦، ١٩٩٤، ص ١٥٩.

٨- عبـد الوهـاب المسـيري، "موسـوعة المفـاهيم والمصطلحات الصهيونية، رؤية نقدية"، مصدر سابق، ص.ص ٢١١-٢٢٢.

٩- نفس المصدر السابق، ص ١٢٣.

١٠- سناء عبد اللطيف حسين، "الاتجاهات الأيديولوجيـة في أدب الأطفال العبري المعاصر"، مصـدر سـابق، ص ١٨٥.

١١- نفس المصدر السابق، ص ١٨٦.

١٢- رشاد الشامي، "لمحات من الأدب العبري الحـديث مع نماذج مترجمة"، مكتبة سعيد رأفـت، ١٩٧٩، ص ١٢٣.

١٣- صلاح الـزور، "المتـدينون فـي المجتمـع الإسـرائيلي"، رابطـة الجـامعيين، مركـز الأبحاث، الجليل، ١٩٩٠، ص ٣٢٢.

١٤- يوري إيفانوف، "الصهيونية، حذار" مصدر سـابق، ص ١٣٦.

١٥- رشاد الشامي، "القوى الدينية في إسـرائيل بـين تكفير الدولة ولعبة السياسة" مصدر سابق، ص ١٦٤.

١٦- نفس المصدر السابق، ص. ص ٧-٨.

١٧- نفس المصدر الساق، ص ١٠.

١٨- Avinere Sholomo: "The Making of Modern Zionism and Racial Insight int Israel", Edited by Dr. D Leven, Herbrew University, Israel, ١٩٨٨, p.p ١٨٨-١٨٩.

١٩- Ibid, p. ١٩٠.

٢٠- هاني عبد ا ، "الأحزاب السياسية في إسرائيل"، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٨، ص ٨٥.

٢١- موشيه سميث، "الصراع حول جعل قيم اليهودية في إسرائيل مؤسساتية"، كلية الاقتصـاد والعلـوم الاجتماعية، الجامعـة العبريـة، القـدس، ١٩٧٩، ص٣، (بالعبرية).

٢٢- رشاد الشامي، القوى الدينية في إسـرائيل بـين تكفير الدولة ولعبة السياسة، مصـدر سـابق، ص ٧١.

٢٣- نفس المصدر السابق، ص ٧٢.

٢٤- يعقوب كـتس، "القوميـة اليهوديـة"، المكتبـة الصهيونية التابعة للمنظمة الصـهيونية العالميـة، القدس، ١٩٧٩، ص ٩٣، (بالعبرية).

٢٥- إبراهيم نافع: "حقائق – حول التعليم الديني فـي إسرائيل"، الأهرام، ٧/ ٥/ ٢٠٠٠.

٢٦- نفس المصدر السابق.

٢٧- "الدين – هل يشكل عاملا من الدرجة الأولى في المجتمع الإسرائيلي"؟ السياسة، (الكويت)، ١٨/ ٧/ ١٩٨٩، ص ١٦.

٢٨- كامل سعفان، اليهود، تاريخ وعقيـدة، مصـدر سابق، ص ١٣١.

٢٩- "القدس، أمس.. واليوم.. وغدا"، قصـة مدينـة السلام، هيئة الاستعلامات، ١٩٧٧، ص. ص ١٣-١٤.

انظر أيضا:

Jerusalem "An Arab City", Stat Information, Al Ahram Press, Cairo, ١٩٨١, p. ٥

٣٠- أحمد عثمان، "تـاريخ اليهـود"، دار الشـروق، القاهرة، ١٩٩٤، ص ١٥٢.

٣١- عادل حسن غنـيم، "حـائط البـراق أم حـائط المبكى"، جامعة عين شـمس، ٢٠٠٠، ص. ص ٢٠٦-٢٠٨.

٣٢- سناء عبد اللطيف حسين، مصـدر سـابق، ص ٢٠٥.

الفصل الرابع

اتجاهات الفكر التربوي الإسرائيلي ذات البعد التاريخي والقومي

يمثل التاريخ اليهودي أحد المصادر الأساسية التي يستقي منه الفكر التربوي الإسـرائيلي اتجاهاتـه، ويمكـن إبـراز اتجاهات الفكر التربوي الإسرائيلي ذات البعد التاريخي كمـا يلي:

أولا: تثبيـت الـوعي القـومي بـالحق التـاريخي في فلسطين

يستهدف الفكر التربوي الإسرائيلي في إطار الأيديولوجية الصهيونية تثبيت الوعي القومي لدى التلاميذ والطلاب فـي إسرائيل منذ الصغر بأحقيتهم في فلسطين على أنها إرث لهم منذ قديم الزمان، وأنها أرضهم التاريخية، وذلك مـن أجـل تنمية مشاريعهم وإحساسهم بأهمية تلك الأرض، وهي الورقة

التي لعبت بها الصهيونية للتأثير علـى عقـول وعواطـف اليهود.

ويستند الفكر التربوي الإسرائيلي في إبراز حق إسرائيل التاريخي في فلسطين من خلال المناهج التعليمية إلى مبررين أساسيين: -

أولهما: العهد الذي قطعه الرب لإبراهيم بامتلاك اليهـود لأرض الميعاد وأحقيتهم فيها.

ثانيهما: قدرة اليهود دون غيرهم في تحويل فلسطين إلى أرض منتجة، وهو ما عبر عنه "دافيد بن جوريـون" حـين قال: - "إنني أعتقد أننا نملك حقا واضحا في هذه البلاد، إنـه ليس كحق انتزاعه من الآخرين، فلم يكن هناك آخرون.. إن هذه البلاد كانت تفتح بلا انقطاع ثم تترك بلا انقطاع، إن هذه الأرض لم تكن موطنا لأحد قط، إنها كانت ساحة للمعـارك أو أرضا للغـزو، أو ملتقـى طـرق العـابرين أو أرضـا للمراعي.. إن اليهود فقط هم الذين أحيـوا الأرض لـذاتها، وعملوا فيها وقاموا بتحسينها وجعلوها ملكا لهم مـن خـلال عنايتهم بها، كان هذا هو الحق منذ ألفي سنة، وهو حق بنفس القدر المحتوم اليوم".[١]

ومن الجدير بالذكر أن نشير هنا إلى أن الصهيونيين اتخذوا من شعار "شعب بلا أرض لأرض بلا شعب" ذريعة لهم لكي يثبتوا حقهم التاريخي في أرض فلسطين، وفي ذلك يقول: "حاييم وايزمان" (١٨٧٤-١٨٥٢): "إن هناك بلادا اسمه فلسطين وهو بدون شعب، ومن ناحية أخرى هناك الشعب اليهودي وهو بدون بلاد، إذا من الضروري وضع الجوهرة في الخاتم، أي جمع الشعب في الأرض".[٢]

ويعلل البعض سر تأكيد الفكر التربوي الإسرائيلي على التاريخ اليهودي بزيادة الإحساس بأن الحاضر لا يكفي، وأن هناك شيئا ما ينقصه، ولم يكرس له الاهتمام من قبل، وأن اليهودي يشعر بنقص إرث الماضي الذي يمكن بموجبه صياغة حاضر أكثر استقرار.[٣]

وقد قام عالم النفس الإسرائيلي "سيمون هيرمان" بإجراء دراسة نشرها في كتابه "الإسرائيليون واليهود"، تضمنت تطبيق استمارة على عينة من طلاب المدارس الثانوية الإسرائيلية في القدس وحيفا، تدور أسئلتها حول الامتداد التاريخي للشعب الإسرائيلي وقام بتصنيف أفراد العينة إلى ثلاث فئات: متدينون يحرصون على أداء الشعائر الدينية،

وتقليديون ويعني بهم من يحترمون التقاليد الدينية اليهوديـة، وغير متدينين ويعني بهم من لا يمارسون الشعائر الدينية.

وقد تمثلت أسئلة الاستمارة فيما يلي:-

في رأيك هل نحن في إسرائيل:-

- استمرار للشعب اليهودي وامتداد له؟
- شعب جديد تكون في إسرائيل؟
- شعب جديد سيتكون في إسرائيل؟

وكانت الغالبية من المبحوثين بكـل فئـاتهم، المتـدينون (٩٤%)، والتقليديون (٨٨%)، وغير المتدينين (٨١%) ترى أن الإسرائيليين لهم مسيرتهم المستمرة عبر التاريخ، وأنهـم امتداد للشعب اليهودي، وهو ما يدل على أن الفكر التربـوي الإسرائيلي نجح في غرس هذه المقولة التـي تعـد إحـدى المقولات الأساسية في الأيديولوجية الصهيونية فـي نفـوس النشء منذ الصغر...[٤] ووفقا لذلك فالشعب اليهودي – على حد زعمهم - لم ينقطع تاريخه عبر الزمـان، واسـتطاع أن يحتفظ بنقائه العنصري من خلال محاربتـه الانـدماج فـي المجتمعات المختلفة التي عاش اليهود بين ظهرانيها.

وتعد مادة التاريخ من المواد الأساسية التي تستهدف ربط أبناء إسرائيل منذ الصغر بتاريخ أمـتهم، وتثبيـت الـوعي القومي بحقهم التاريخي في فلسطين.. ويعبر "جولدمان" عن قيمة هذه المادة بقوله: ".. إن الثقافة الضرورية لليهودي، هي في تعليمه للتاريخ اليهودي خلال مئات السنين التـي مـرت وابتدأت منذ أيام التشتت والمهجر، إن من يعرفون التـاريخ اليهودي باللغة العبرية وآدابها يصبحون معدين إعدادا جيـدا أكثر من الآخرين لأن يتحملوا العبء الصعب".(٥)

ويبدأ تدريس مادة التاريخ ابتداء من الصـف الخـامس الابتدائي في مجموعة من الكتب المسلسـلة تسـمى "وقـائع تاريخ إسرائيل"، حيث يدرس التاريخ دراسة تفصيلية لتنميـة الارتباط الفكري والوجداني بـين التلاميـذ وبـين الوجـود اليهودي في فلسطين.

وكما هو الحال بالنسبة للتوراة، فهناك بعض الاخـتلاف في تدريس التاريخ بين المدارس الدينية والمدارس المدنيـة، فبينما يهدف التاريخ في المدارس الدينية إلى غرس الاعتقاد الثابت بالحماية الإلهية لإسرائيل، وتعريف التلاميـذ بأنبيـاء إسرائيل، فإن دراسة التاريخ في المدارس المدنية تهدف إلى

أن يتوصل الطالب إلى اعتبار أن الحضارة الإنسانية ثمـرة للجهود المشتركة لليهود وشعوب العالم أثناء العصـور، وأن يقدروا تقديرا صحيحا ما يساهم به الشـعب اليهـودي ومـا ساهمت به الشعوب الأخرى في تكوين هذه الحضـارة، وأن يفهم التلاميذ أهمية دولة إسرائيل من أجل تـأمين الوجـود البيولوجي لليهود واستمرار وجودهم التاريخي، وأن تنطبـع شخصية التلاميـذ بسـمات الرجـال المشـهورين للأمـة اليهودية.(٦)

ولتحقيق هذه الأهداف يجرى تدريس التاريخ اليهودي في ثلاثة مجالات:-

المجال الأول: هو التاريخ اليهودي القديم، حيث يبحـث فيه عن جذور ثقافية مشتركة لإقناع اليهود المعاصرين أنهم من سلالة الشعب الذي سكن هذه البقعـة مـن الأرض فـي الزمن التوراتي القديم.

والمجال الثاني: هو تاريخ اليهود في "الدياسبور" (خارج فلسطين) بشكل يجعل النشء ينظرون إلى الـوراء معتـزين بدلا من أن ينظروا إليه غاضبين.

المجال الثالث: هو تاريخ إسرائيل الحديث والمعاصر: والتأكيد على الدور الذي قام به الرواد في تأسيس دولة إسرائيل.[٧]

ويلجأ الفكر التربوي الإسرائيلي من خلال مادة التاريخ إلى تزييف حقائق التاريخ بالكثير من المغالطات من أجل التأييد على الارتباط بين أرض إسرائيل والشعب اليهودي، ومن أمثلة هذه المغالطات:

- الادعاء بأن مدينة القدس قد بنيت في عهد داود منذ ثلاثة آلاف سنة لاتخاذها عاصمة لإسرائيل، مع أن الحقيقة التي تتحدث عنها كل مراجع ومصادر التاريخ تثبت أن القدس كانت موجودة قبل ذلك ومنذ أيام اليبوسيين، حيث قام بتأسيسها الملك سالم اليبوسي الكنعاني العربي عام ٣٥٠٠ ق.م، أي أنه مضى على تأسيس مدينة القدس على يد العرب (٥٥٠٠) عاما.
- إبراز أن الاضطهاد الذي تعرض له اليهود قد صقل معدنهم وأبرز تميزهم، وأظهر عبقريتهم، وأنهم لم يكونوا أبدا شهداء سلبيين بالرغم مما

تعرضوا له من أحـداث، كمـا أن الأحـداث التاريخية لم تصنع اليهود، ولكن اليهـود هـم الذين صنعوها، ووضعوا بصماتهم بخلق نـوع جديد من الأيديولوجية التي ميزت الأبطال.

- الادعاء بأن مملكة إسرائيل الموحدة الكبرى قـد امتدت بين وادي النيل حتى نهر الفرات بما في ذلك منطقة خيبر في السعودية، والالتجاء فـي ذلك إلى الخرائط التـي تـزعم أن كـل هـذه الأراضي المذكورة تشكل إسـرائيل الكبـرى أو إسرائيل المستقبل، وأنه لا حق لسكان هـذه الأراضي فيها(٨)، وهنـا ظهـر مبـدأ الأرض والسكان، أي أن الأرض ملك لإسـرائيل، وأن السكان من غير اليهود لا حق لهم في الأرض، وهم يقيمون فيها إقامة بصفة مؤقتة، لذا لم يكن جديدا ولا غريبا عندما اقترح "مناحم بيجـين" على الرئيس الراحل أنور السـادات أن يكـون الحكم الإداري الفلسطيني للمناطق المحتلة دون الأرض.

- الادعاء بأن مملكتي "إسرائيل" و "يهوذا" قد دامتا (٢٦٠) عاما، وكانتا تتبادلان الحروب ضد بعضهما، والحقيقة أن الفترة التاريخية التي عاشتها مملكتا إسرائيل الشمالية والجنوبية لم تتجاوز القرنين.
- الادعاء بأن فلسطين كانت دائما أرضا مقفرة يقطنها الغرباء.
- الادعاء بأن وجود اليهود في القدس تم بموافقة الخليفة عمر بن الخطاب كرمز للاعتراف بجميل اليهود على مساعدتهم العرب في احتلالهم البلاد، حيث سمح الخليفة عمر بن الخطاب لسبعين عائلة يهودية بالإقامة في القدس، والحقيقة أنه لم يسمح لأحد من اليهود بسكنى القدس.
- الادعاء بأن القدس كانت مقدسة عند المسلمين في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، مع أن القدس كانت مقدسة منذ مجيء الرسول صلى ا عليه وسلم، حيث أسري به من

المسجد الأقصى ثم عرج بـه إلـى السـموات العلى.(٩)

- الادعاء بأن بريطانيا كانت تقـف إلـى جانـب العرب في فلسطين في ثوراتهم ضد اليهود.
- الادعاء بان التيه (التشتت) الـذي تعـرض لـه اليهود لم يكن عقابا من الرب وإنما كان محاولة من الرب للقضاء على الضعيف مـن اليهـود، حتى لا يدخل أرض كنعان سـوى الأصـحاء الأقوياء فقط.
- الادعاء بسـعادة الجمـاهير العربيـة بـالهجرة اليهودية إلى فلسطين، حيـث أدى ذلـك إلـى تحسين معيشة العرب في فلسطين.
- التأكيد على استخدام مصطلح "أرض إسـرائيل" وعدم ذكر اسم فلسطين بالمرة.
- اتهام العرب بالتعـاون مـع الأنظمـة الفاشـية والنازية.

- الادعاء بأن الاستيطان اليهودي في فلسطين قد أتى بالبركة للبلاد، فجعل القفار مزدهرة بالنباتات.[١٠]
- الادعاء بأن العرب كانوا يريدون إلقاء اليهود في البحر.
- الادعاء بأن العرب قد هربوا من بيوتهم ومدنهم وقراهم بإرادتهم.
- الادعاء بأن فلسطين كانت بلدا خاليا من السكان وخرابا حتى جاء اليهود وعمروها.[١١]

ومن ناحية أخرى، تؤكد مناهج التاريخ في إسرائيل على الوجود التاريخي لليهود في فلسطين من خلال الادعاء بأن لإسرائيل حفائر أركيولوجية واكتشافات أثرية في فلسطين، وأن لليهود جذورا تتمثل في المخلفات الإسرائيلية التي يدعون العثور عليها في هذه الأرض حتى يؤكدون حقهم التاريخي في أرض فلسطين ويضفون نوعا من الشرعية لدولتهم.[١٢]

والحقيقة أن إسرائيل تتجاهل الآثار التي تبوح بمعلومات تكشف عن حقيقة الوجود الفلسطيني التاريخي على هذه

الأرض، إذ تؤكد التنقيبات الأثرية أن الإنسان الفلسطيني كان يعمر هذه الأرض ويستقر عليها منذ أقـدم العصـور، وقـد أسفرت هذه الكشوف الأثرية بصورة فعلية مؤكدة عن وجود واكتشاف جوانب متعددة من التراث الثقافي والروحي الضخم الذي خلفته الشعوب العربية السامية القديمة، خاصة الشـعب العربي الكنعاني الذي استقر في فلسطين مع مطلع العصـر التاريخي، ولأن السلطات اليهودية تهيمن وتسيطر حاليا على عمليات التنقيب عن الآثار، فإنها تتعمد أن تطمـس وتخفـي معالم الحضارة العربيـة الكنعانيـة القديمـة علـى أرض فلسطين..[١٣] لقد جرد الإسرائيليون الفلسطينيين من أرضهم، ويحاولون تجريدهم من ماضيهم، فبعـد أن اقتلعـوهم مـن الأرض يحاولون اقتلاعهم من التاريخ، وذلـك بالادعـاءات التي تحاول أن تتخفى برداء العلم والبحث الثري لتضخم من الوجود الإسرائيلي في تاريخ فلسطين على الـرغم مـن أن إسرائيل القديمة لم تك إلا خيطا رفيعا جدا في نسيج التـاريخ الفلسطيني الغني.

ويحرص أدب الأطفال الإسرائيلي على إبـراز الحـق التاريخي لليهود في فلسطين، ففـي قصـة "التـائهون فـي

الصحراء" تؤكد الكاتبة "رناهبرن" على الإيمان المطلق بحق اليهود في فلسطين ووجودهم فيها منذ أيام "اسحق وإبـراهيم" عليهما السلام، كما تؤكد "رنا هبرن" على مقولـة "العربـي الغائب تاريخيا"(١٤)

وفي قصة "سكران في صحة الجميع" يبـرز الكاتـب "يفرح حبيب" تعلق اليهود برموز التاريخ اليهودي القديم في فلسطين، فجعل الكاتب التلاميذ في هذه القصة يقومون برحلة ليزورا قلعة (متسادا)، وهي القلعة التي اعتصم بهـا آخـر اليهود بعد تدمير القدس على يـد الرومـانيين لكـي يثبـت للأطفال أن اليهود سكنوا تلك البقعة من الأرض منذ العصر التوراتي.(١٥)

وفي قصة "الحشمونين الصغار" يشير المؤلـف "دافيـد كوهين" أيضا إلى الحق التاريخي لليهود في فلسـطين مـن خلال تناول أحداث تاريخية هامة في التاريخ اليهـودي فـي فلسطين، تتمثل في انتصـار المكـابيين علـى اليونـانيين، واشتراك الكهنة اللاويين ومعهم الكثير من الأطفال والفتيـان في تطهير الهيكل، ويتحدث أيضا عن "القدس" وعـن قريـة

"موديعين" لكي يربط إسرائيل التاريخية ووجود اليهود فيهـا منذ زمن قديم.(١٦)

وقد ظهر في إسرائيل في الوقت الحـالي مـا يعـرف بحركة المؤرخين الجدد، وهـم مجموعـة مـن البـاحثين الإسرائيليين عملوا في جامعات إسرائيل والخارج، وأتيح لهم أن يطلعوا على الملفات السرية للقرارات السياسية لقيـادات الدولة اليهودية منذ إعلان إسرائيل عام ١٩٤٨ والتي كـان محظورا الاطلاع عليها، وحين تكشفت لهم الحقـائق التـي تختلف عما لقن لهم من مقدمات ومسلمات وثوابت، بـدءوا عملية تصحيح التاريخ فيما يتعلق بظروف قيام دولة إسرائيل وحروبها مع العرب، وتعديل التصور القائل بأن النزاع مـع العرب كان ردا من ضحايا فظائع النـازي علـى تهديـدات العرب... ويرى هؤلاء المؤرخـون أن سياسـات الحركـة الصهيونية هي التي غرست بذور المواجهة مع الفلسطينيين، وأن إسرائيل تتحمل بعض المسئولية – على حد وصـفهم – عن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، وأن قادة إسرائيل تعمـدوا تفويت الفرص التي أتيحت للسلام مـع العـرب والهـرب منها.(١٧)

إن هذه الحركة تستهدف تعـديل للحقـائق المغلوطـة، وإتاحة الفرصة للإسرائيليين ليقرءوا التاريخ كما جرى وليس كما لقن لهم، حتى يمكنهم بناء على ذلك استخلاص الدروس من الماضي، ثم صياغة أساس للمستقبل يكون متينا تستطيع إسرائيل أن تستند إليه بدلا مـن الاسـتناد إلـى تصـورات مغلوطة.(١٨)

وقد كشف هؤلاء المؤرخون من خلال اطلاعهم علـى الوثائق الرسمية، أن هدف إسرائيل الاستراتيجي الأساسـي ظل دائما هو إقامة دولة يهودية خالية من أي وجود عربي، ويقولون إن "بن جوريون" الذي كان رئيسا للوكالة اليهوديـة منذ عام ١٩٣٧ ظل يقول: "إن اليهود سيعملون على تنفيـذ عملية الترحيل الجماعي الإجبـاري للسـكان العـرب فـي فلسطين".(١٩)

ويتبنى هؤلاء المؤرخون الجدد الدعوة إلى تأليف مناهج جديدة تعمل على تصحيح المفاهيم التاريخية والعـودة إلـى الحقائق ونبذ الزيف، حيث قاموا بوضع بعض المؤلفات التي تحقق هذا الهدف في المرحلة الثانوية، منها عالم المقايضات تأليف "دان يعقوب"، و "القرن الحادي والعشـرون – عـالم

الغد"، "لايال نافيه"، و "رحلة إلى الماضي" الصادر من مركز التكنولوجيا التربوية، ويحتوي مضمون هذه الكتب المذكورة على كلمات "فلسطين" و"الفلسطينيين" حيـث كـررت كلمـة فلسطين (٧٠) مرة، كما تتضمن الاسم العربي لحرب ١٩٤٨ (النكبة)، وهي تعمل على دمج التاريخ الإسرائيلي واليهودي مع التاريخ العالمي وعدم اعتباره تاريخا منفصلا، كما تشير إلى أن انتصار إسرائيل في حرب ١٩٤٨ ليس هو أسطورة في تصور البعض، وإنما كان بسبب تفوق الأسـلحة التـي استخدمها الجيش الإسرائيلي على أسلحة الجيوش العربيـة، وبرغم أن وزارة التعليم الإسرائيلية أقرت تدريس هذه الكتب لطلاب الثانوية العامة، إلا أنها امتنعت عن جعـل تدريسـها إجباريا بل اختياريا، أي يحـق لمفـتش المنطقـة أو مـدير المدرسة إدخال هذه الكتب إلى المنهج الدراسي أو رفضـها. وتقابل هذه المؤلفات الجديدة بـالرفض؛ لأنهـا فـي زعـم المعارضين تنسف الموروث الثقافي للطالب الإسرائيلي الذي تعلم كثيرا عن "الهولوكست" والاضطهاد، وأن إسرائيل كانت وما زالت معرضة للخطر من جانب الجيران.(٢٠)

ثانيا: تمجيد البطولة اليهودية عبر التاريخ

يستهدف الفكر التربوي المعاصر في إسرائيل، غـرس اتجاه أيديولوجي في نفوس أبناء الكيان الإسـرائيلي يمجـد البطولة اليهودية إلى درجة العبادة، ويؤكد علـى أن اليهـود عاشوا في جو محاصر بالأعداء على امتداد التاريخ الإنساني كله، وأنهم كانوا جماعة مستهدفة للاضطهاد فـي مختلـف العصور، وأن الاضطهاد الذي تعرض له اليهود قـد صـقل معدنهم وأظهر بطولتهم.

ومن الأساليب التـي يؤكـد عليهـا الفكـر التربـوي الإسرائيلي في هذا المجال، استخدام أسلوب القـدوة والمثـل الأعلى، وذلك من خلال سرد حكايات البطولـة والشـجاعة لزعماء اليهود وقادتهم على مر العصور.

ويسعى الفكر التربوي الإسرائيلي من خـلال منـاهج التعليم إلى تقديم ملامح مثاليـة نموذجيـة للعبـري الجديـد متناقضة تماما مع شخصية اليهودي القديم، الأحدب ضعيف الجسم الذي تبدو ملامحه قبيحة، والذي عـاش فـي أحيـاء "الجيتو" القذرة التي تركت بصماتها على سيكلوجيته بصـفة عامة، حيث كان مركب الخـوف هـو المركـب النفسـي

الموروث لديه، وكان موقفه يمثل موقف الذليل الخاضع الذي يتسم بالمازوخية(•)، أما العبري الجديد الذي يسـعى الفكـر التربوي الإسرائيلي – من خلال المناهج التعليميـة – إلـى إبراز صورته أمام التلاميذ، فهو بطل شجاع مقدام لا يخشى المخاطر ويرفض الاستسلام، يقاتل في سبيل المبـدأ، لمـاح عاقل وطني، صاحب موقف فعال، عملي يحتـرم واجبـه، إيجابي واثق من نفسه، قوي يتسم بالعناد، ذو إرادة حديديـة، يؤدي واجبه في وقت الحرب، كذلك في وقت السـلم علـى أحسن وجه[٢١]

ويمكن تفسير هذا الاتجاه الأيديولوجي من خلال التاريخ اليهودي ونظرة اليهود إلى أنفسهم باعتبار أنهم كانوا أقليـة مضطهدة تتسم بالقلق والخوف، ومن هنا فقد تولد الإحسـاس بالدونية لكي يصـبح إحساسـا بـالتفوق والعظمـة لـدى الإسرائيليين.

وتظهر صورة البطل سالفة الذكر في بـرامج التعلـيم الإسرائيلية في نمطين:-

---

• المازوخيـة تعبيـر سـيكولوجي يعنـي أن المـرء يطيـب نفسـا بالعـذاب والإهانة ويسعى إلى طلبهما لا شعوريا.

الأول: نمط يستمد موضوعاته في تمجيد البطولة مـن مراحل التاريخ اليهودي القديم، ومن أمثلتـه التأكيـد علـى عظمة "يهودا المكابي" الذي بعث الروح العسكرية في اليهود، وحولهم من شعب مستسلم إلى شعب من المقاتلين الأبطـال، وأقام دولة يحكمها اليهود في إطار من الاستقلال السياسـي، ومن هنا فإن شعار "المكابي" أصبح من العلامـات البـارزة التي تعبر عن الزهو التاريخي اليهودي، ويسـتخدم كرمـز لأندية الشباب وفرق الكشافة، وتنظيمات الطلائـع والأنديـة الرياضية في إسرائيل.

أما عن النمط الثاني: فيستمد موضوعاته مـن أحـداث التاريخ الحديث والمعاصر، حيث يؤكـد الفكـر التربـوي الإسرائيلي – على حد زعمه – على دور الرواد الأوائل في إقامة دولة إسرائيل، وإبراز ما قاسوه في ظل ظروف طبيعية صعبة وأحوال معيشية سيئة حتى يكونوا قدوة أمام التلاميذ، إلى جانب إبراز بطولة اليهـود أمـام النـازيين والإنجليـز والعرب وخاصة حرب الأيام الستة.[٢٢]

وقد أبرزت إحدى الدراسات التربوية، اختلاف صـورة البطل المقدمة للطفل المصري عن صورة البطـل المقدمـة

للطفل العبري، فقد كانت صـورة البطـل المقدمـة للطفـل المصري – من خلال صحافة الطفل – منـذ نكسـة ١٩٦٧ وحتى حرب أكتـوبر ١٩٧٣، صـورة عربيـة ومصـرية بالدرجة الأولى، أجنبية بالدرجة الثانية، حيـث كـان بطـلا بوليسيا ورياضيا وعلميا بشكل متوازن، وأنه يحمل مضامين دينية وبالتحديد إسلامية، أما بعد مرحلـة السـلام المحـددة بتاريخ توقيع معاهدة السلام، فقد تغيرت فيها صورة البطـل المقدمة للطفل المصري بشكل غريب، حيث أصـبح غيـر محدد الانتماء أو الهوية بصورة قاطعة، فقد تحـول البطـل فجأة ليصبح بطلا أجنبيا في الغالب الأعم، مصريا في المقام الثاني، ثم عربيا بصورة نادرة، ثم هو بطل فكاهي يستهدف إضحاك وتسلية الطفل في المقام الأول، وهو بوليسي رياضي ثانيا، ثم تأتي الصفات الدينية والعلمية والأدبيـة فـي ذيـل القائمة بحيث تبدو باهتة إلى حد كبير.(٢٣)

أما صورة البطل المقدمة للطفل في إسـرائيل – كمـا أبرزته الدراسة – فهي تؤكد على أن تظل البطولـة رسـالة نشطة وحية على الدوام لتمجيد صور البطولة اليهودية عبـر التاريخ، وتصوير الحياة بين الإسرائيلي والعربي على أنهـا

حالة عداء دائم، وأن القوة يجب أن تكون في يـد اليهـودي (الإسرائيلي) وفي نفسه، أما العربي فعلى الرغم مـن أنـه يحمل السلاح في يديه، فإنه يحمل الهزيمة في داخله، وحتى لو انتصر فهو نصر محدود.. ويستند المثل الأعلى للبطولـة المقدمة للطفل الإسرائيلي إلى قصـة "داود" الصـغير التـي جاءت في العهد القديم، حيث يمجدون انتصار داود الصغير أمام (جوليات) وهو هنا (العمـلاق العربـي)(٢٤).. إن داود الذي تعني به صحافة الطفل الإسرائيلي يعطي مثلا لانتصار الذكاء على القوة.

إن هذه الدراسة تدل على أننا لم نستثمر انتصار أكتوبر ١٩٧٣ في إعطاء صورة بطولة مصرية أو عربية، بل حدث العكس تماما، إذ تضاءلت صورة البطولة الحربية المصـرية والعربية بالرغم من أن تلك الحرب كانـت تصـلح كنقطـة انطلاق لتقديم صورة واقعية للبطولة العربيـة والمصـرية، إلا أن القائمين على صحافة الطفل المصري جعلـوا الطفـل يعود إلى الضحك والتسـلية ومتابعـة شخصـيات أجنبيـة مصنوعة في بيئة مخالفة لبيئته ومشاكل بعيدة عن مجتمعه.

وبعد فإن هذه الدراسة تثبت أن المهتمين بصحافة الطفل المصري ليس لديهم صورة واعية عن صورة البطل المقـدم في صحافة الطفل الإسرائيلي... إن المطلوب منـا الـوعي برسالتهم المضادة لنا حتى نرسم سياسـة إعلاميـة واقعيـة لأطفالنا، إن علينا ألا نعتبر مرحلة السلام مرحلة يشيع فيهـا اللهو التافه والسطحية، قد يحتاج السلام إلى جدية واهتمـام وتحد لا يقل عن الحرب.

ثالثا: التأكيد على الهوية اليهودية

أكدت الدولة العبرية منذ بداية تأسيسها على أن اليهودية هوية قومية، وهو ما يعني ارتكاز هذه الهوية علـى مفهـوم ديني، وفي ذلك ينص القانون الإسرائيلي على:"أن اليهـودي هو الشخص المولود من أم يهودية، أو الذي اعتنق اليهوديـة من خلال طقوس دينية". (٢٥)

إن التمسك بخضوع الهوية اليهودية للشـروط الدينيـة يعني افتقار الدولـة العبريـة إلـى المقومـات الجغرافيـة والأيديولوجية والاجتماعية والثقافية والسياسية التـي تشـكل الهوية الأساسية لأي شعب، كما أنه يتنـاقض مـع الهيكـل المؤسسي للدولة الصهيونية والذي يرتكز على أن إسـرائيل

دولة يهودية ذات توجه علماني، وقد أدى هذا التناقض إلى وجود شروخ عديدة سواء على مستوى المجتمع الإسرائيلي حيث التناحر بين العلمانيين والأصوليين المتدينين، أو على مستوى الأوساط اليهودية في العالم لاسيما في أوربا والولايات المتحدة الأمريكية، حيث ينتمي أكثر اليهود إلى التيار الليبرالي أو العلماني.(٢٦)

إن القول بأن اليهودية هوية، أدى إلى الخلاط بين الدين والمجتمع، وأوجد حالة من التخبط والخل داخل المجتمع الإسرائيلي، وجعل البعض يرى أن إسرائيل هي مجتمع بلا هوية، عاجز عن التوصل لمفهوم محدد لهويته القومية التي توحد عناصره.. وقد لخص الكاتب الإسرائيلي "يوري أفنيري" حالة إسرائيل في الذكرى الخمسين لقيامها بقوله: "عندما تبلغ الخمسين لابد أن تكون قد عرفت من أنت، أما دولة إسرائيل فإنها مازالت لا تعرف".(٢٧)

إن اليهودية دين من الأديان السماوية، وليست بهوية أو جنسية، ولكن الأيديولوجية الصهيونية نجحت في التأكيد على أن اليهودية ليست مجرد "ديانة"، بل هي كذلك هوية قومية للشعب الإسرائيلي.

وتشير الدراسات والبحوث النفسية لكل من "مارجريت ميد" و "هرمان" إلى أن تقسيم العالم بين اليهود وغير اليهود مكون أساسا من مكونات الهوية اليهودية، فالشيء الوحيد الذي كان ضروريا تماما لتمييز جماعة من اليهود هو وجود بعض الأغيار، وأن صورة غير اليهودي تحتل وضعا مركزيا في ذهن اليهود، وما زال وضع الحدود بين اليهود وبين عالم غير اليهود له تأثير قوي غلاب في إسرائيل.[٢٨]

والشيء الذي يثير القلق في إسرائيل في الوقت الحالي، أن جيل الصابرا (اليهود الذين ولدوا في إسرائيل) يفتقر إلى مشاعر الاعتزاز بالهوية اليهودية، وهو يتسم من وجهة نظر العديد من الباحثين بسمات نفسيه أهمها:-

- التمركز حول إسرائيل (بالمعنى الزماني والمكاني للكلمة).

- عدم الاهتمام بالتاريخ اليهودي وتاريخ الأجداد الذي يمثل أحد المقومات الهامة للهوية اليهودية والأوساط اليهودية في العالم.

- طموحهم يتركز حول بلوغ مستوى الأمان المادي وتحقيق مستوى مريح من الحياة، وهو ما يتناقض مع

شخصيات الأجيال الأولى من اليهود ممن كان يطلق عليهم الرواد والذين كانوا يؤكدون على هويتهم اليهودية، وهو ما دفع البعض إلى اتهام وزارة التعليم والثقافة بالتقصير في تربية الأجيال الحديثة في إسرائيل على أسس القيم والمثل اليهودية.[٢٩]

ومن أجل ذلك يسعى الفكر التربوي الإسرائيلي من خلال المناهج الدراسية إلى تنمية مشاعر الاعتزاز بالهوية اليهودية وذلك على النحو الآتي:

- التأكيد على أن اليهودي داخل إسرائيل لا يحتاج إلى إخفاء هويته، وأنه يحيا حياة إنسانية كاملة لأنه يهودي مائة في المائة، وأنه من الطبيعي أن يكون المرء في إسرائيل ذا هوية يهودية مثلما هو الحال للفرنسي في فرنسا واليوناني في اليونان وهلم جرا....
- رفض الاندماج التام والنهائي في أي مجتمع من المجتمعات الأجنبية وبالتالي فإنه مهما طالت إقامة اليهودي في الخارج لظروف معينة، فإنه

لابد له من العـودة والعـيش فـي إسـرائيل باعتبارها "الوطن الحقيقي لليهود".

- رفض التخلي عـن الجنسـية اليهوديـة، بـل والاحتفاظ بهذه الجنسية حتى ولو اختار الفـرد الإسرائيلي أن يحصل على جنسية دولة أجنبية، ولهذا فإن هنـاك الآلاف مـن اليهـود الـذين يحتفظون بهويتهم اليهودية إلى جانب جنسياتهم الأمريكية والأوروبية المختلفة.
- الرفض المطلق لأن تصبح إسرائيل في يوم من الأيام وفي ظل أي تسوية للصـراع العربـي الإسرائيلي دولة ثنائية القومية، وهذا الـرفض عبرت عنه كـل الأحـزاب الإسـرائيلية فـي الثلاثينات من هذا القرن عندما طرحت لجنـة "بيل" الملكية البريطانية إمكانية قبول اليهود قيام دولة يهودية عربية فلسطينية.[٣٠]

ويلعب أدب الأطفال الإسرائيلي دورا كبيرا في تنمية مشاعر وأحاسيس الاعتزاز بالهوية اليهودية في نفوس الأطفال منـذ نشأتهم، وقد أوضحت إحدى الدراسات أن أهم القيم السياسية

التي يحرص أدب الأطفال الإسرائيلي على غرسها في نفوس الأطفال والتي تعد من أبرز المقومات الهامة للهوية اليهودية قيمتا "حب الوطن" و "الانتماء" حيث جاء ترتيبهمـا بالنسـبة للقيم الأخرى فـي المركـزين الثـاني (٢١,٨%) والثالـث (١٩,٥%) على التوالي، بينما يأتي ترتيب هاتين القيمتين في أدب الأطفال المصري في المركـزين الحـادي والعشـرين (٢,٢٤%) والثاني والعشرين (١,٨%) وهو ما يؤكد حرص الفكر التربوي الإسرائيلي على اهتمامه بالتنشـئة السياسـية للأطفال، واهتمامه بتأصيل الهوية اليهودية في نفوس أبنـاء الكيان الصهيوني منذ الصغر.(٣١)

هوامش الفصل الرابع

١- توماس – ر – برانشتين: "بن جوريون، ذكريـات، مصدر سابق، ص ٢٨.

٢- أنـيس صـايغ (تحريـر)، "الفكـرة الصـهيونية والنصوص الأساسية" مصدر سابق، ص ٤٤٤.

٣- رشاد الشامي، "عجز النصـر، الأدب الإسـرائيلي وحرب ١٩٦٧ "القـاهرة، دار الفكـر للدراسـات والتوزيع، ١٩٩١، ص ٣١.

٤- Herman, S-N, Israelis and Jews, New Randome House, ١٩٨٣, p.p ١٨١-١٨٦.

٥- مركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية بـالأهرام، "المؤتمر الصهيوني السابع والعشـرون"، مصـدر سابق، ص ٧١٥.

٦- تقرير لجنة خبراء دراسة ومناهج وكتـب التـاريخ المقررة على الطلاب اليهود في فلسطين المحتلـة، ٢٢/ ٥/ ١٩٩١، بيروت، ص ٧١.

٧- Kleinberger, Aharoan F., "Society, Schools and Progress in Israel, London, ١٩٦٩, p. ٣٢٧.

٨- تقرير لجنة خبراء دراسة منـاهج وكتـب التـاريخ المقررة على الطلاب اليهود في فلسطين المحتلـة، مصدر سابق، ص ٧٤.

٩- كامل سعفان، "اليهود تاريخ وعقيدة" مصدر سـابق، ص ١٥٧.

١٠- تقرير لجنة خبراء دراسة مناهج وكتب التـاريخ المقررة على الطلاب اليهود في فلسطين المحتلـة، مصدر سابق، ص ٧٨.

١١- نفس المصدر السابق، ص ٨٢.

١٢-Albright, W-F (١٩٤٩), "the Archaeology of Palestine", Harmondsworth, Penguin Books, p.p ٢١٢-٢١٤.

١٣-Ibid, p. ٢٢٠.

١٤- سـناء عبـد اللطيـف حسـين، "الاتجاهـات الأيديولوجية في أدب الأطفال العبري المعاصـر"، مصدر سابق، ص ٢٠٧.

١٥- نفس المصدر السابق، ص ٢٠٨.

١٦- غسان كنفاني، "في الأدب الصهيوني" سلسلة كتب فلسطينية (٢٢٢)، ط ٢، بيروت، مركز الأبحاث الفلسطيني، سنة ١٩٧٨، ص ٥٤.

١٧- ميخائيل روف، "تغيير التاريخ" مختارات إسرائيلية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ديسمبر ١٩٩٨، ص ٤٧.

١٨- نفس المصدر السابق، ص ٤٨.

١٩- ميخائيل روف، حركة المؤرخين الجدد في إسرائيل مختارات إسرائيلية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، نوفمبر ٢٠٠٠، ص ٣٧.

٢٠- نفس المصدر السابق، ص ٣٨.

٢١- مصطفى زيور، "دراسة في التفسير النفسي للسلوك الإنساني ورحلة اليهودي التائه من الجبن إلى الطغيان" الأهرام، بتاريخ ٩/ ٨/ ١٩٧٣.

٢٢- رشاد الشامي، "الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية" مصدر سابق، ص ١٩١.

٢٣- اعتماد خاف، "صورة البطل المقدم للطفل العبري في مجتمع الحرب والسلام"، رسالة دكتوراه غيـر منشورة، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، ١٩٨٩، ص. ص ١٨٨-١٩٠.

٢٤- نفس المصدر السابق، ص ٣٢٤.

أنظر أيضا: قدري حفنـي، "دراسـة سـيكولوجية فـي الشخصية الإسرائيلية"، مركز بحوث الشـرق الأوسـط، جامعة عين شمس، ١٩٧٥، ص ١٨٠.

٢٥- يشعياهو ليفوفيتش "اليهودية، الشـعب اليهـودي ودولة إسـرائيل" (يهـودت هيهـودى أو مـدنيات إسرائيل"، دار نشر شـوكن، القـدس، ١٩٧٢، ص ١٣٠، "مرجع بالعبرية"

٢٦- موشـيه ليسـيك، "الصـراعات الأيديولوجيـة والاجتماعية في إسرائيل" مجلة "سقيرا جودشـيت"، العرض الشهري، عدد رقم ٩ نـوفمبر ١٩٨٢، ص ٩ "مرجع بالعبرية".

٢٧- يوري أفنيرى، "خمسون عاما مـن قيـام دولـة إسرائيل"، مختارات إسـرائيلية، مركـز الأهـرام

للدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، مـارس ١٩٩٩، ص ١١٠.
٢٨- السيد يسين، "تشريح العقل الإسرائيلي"، مصـدر سابق، ص ٨٣.
٢٩- نفس المصدر السابق، ٨٣.
٣٠- "التربية القومية في المدارس الإسرائيلية"، شئون فلسطينية، العدد (٦)، (أيلول – سبتمبر ١٩٨٦، ص ١٦٠).
٣١- أسماء غريب بيومي، "التربية السياسية فـي أدب الأطفال – دراسة مقارنة بين مصـر وإسـرائيل"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات جامعـة عين شمس، ١٩٩٢، ص ١٣٠.

الفصل الخامس
اتجاهات الفكر التربوي الإسرائيلي ذات البعد الاجتماعي والثقافي

يعد الواقع الاجتماعي والثقافي للمجتمع الإسرائيلي من المصادر الهامة التي يستقي منها الفكر التربوي الإسرائيلي اتجاهاته، ويمكن إبراز أهم اتجاهات الفكر التربوي الإسرائيلي ذات البعد الاجتماعي والثقافي كما يلي:

أولا: التربية من أجل التماسك الاجتماعي

لعل أهم سمة تميز المجتمع الإسرائيلي هو افتقاره إلى التجانس الاجتماعي، ذلك لأن التركيبة السكانية لهذا المجتمع تتكون من أصول وافدة من دول مختلفة وهو ما يسهم في إحداث الصراع والتنافر بين أبناء الكيان الإسرائيلي.

وقد صور الدكتور حامد ربيع صور الصراع داخل إسرائيل في الإطارات التالية:

أ- صراع العربي ضد اليهودي.

ب-صراع اليهودي الشرقي ضد اليهودي الأوروبي.

ج- صراع اليهودي الأوربـي الشـرقي ضـد اليهـودي الأوربي الغربي.

د- صراع اليهودي المتدين ضد اليهودي العلماني.

هـ- صراع اليهودي الذي ولد بإسرائيل وعاش فيها والذي يعبر عنه بجيل (الصابرا) ضد اليهودي المهاجر الجديد الذي أتى إليها في سنوات الفخر والنجاح.[١]

أما الباحث الإسرائيلي "سمحا لنداو" فإنه يحدد عوامـل الصراع في المجتمع الإسرائيلي في الإطارات الآتية:

أ- عوامل سياسية: (اليمين ضد اليسار).

ب- عوامل طائفية: (اليهود الذين من أصل شرقي في مواجهة اليهود الذين من أصل غربي).

ج- عوامل دينية: (المتدينين في مواجهة العلمانيين).

د- عوامل طبقية: (الأثرياء في مواجهة الجوعى).[٢]

وفي مواجهة هذا الواقع الاجتمـاعي والثقـافي، فـإن الاستراتيجية الاجتماعية والتربوية السائدة في إسرائيل يطلق عليها اسم "بوتقة الصهر" ويقصد بها حشـد جهـود الدولـة

والمجتمع في سبيل تذويب الفوارق الحضارية والاقتصـادية بين الجماعات اليهودية المتباينة في المجتمع الإسرائيلي، ذلك أنه من الصعوبة بمكان الحديث عن (شخصية منوالية) فـي إسرائيل، ونعني بهذا المصطلح نمط الشخصية الذي يظهـر أكبر قدر من التكرار بين أنماط الشخصية في مجتمع محـدد مما يحقق وحدة المجتمع وتماسكه، وفي هذا المجـال يؤكـد الفكر التربوي الإسرائيلي على ضرورة التسـاند والتماسـك الاجتماعي لإقامة مجتمع عصري من خلال المساقات الآتية:

المساق الأول: التأكيد على دور المدرسة في التنشئة الاجتماعية

نظرا لأن الدور الذي تقوم به الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية في إسرائيل يعترضه العديد من العقبـات التـي ترجع أساسا إلى اختلاف الأصول النازحة إلى إسرائيل، فإنه لمن المنطقي أن يركز الفكر التربـوي الإسـرائيلي علـى مؤسسات التعليم المدرسية باعتبارها أقرب منالا من حيـث إمكانية توجيهها والإشراف عليها من الأسرة، كما أنها يمكن أن تضم بين جنباتها خليطا من أطفال وشباب تلـك الأسـر

المتنافرة الأصول بحيث يمكن أن تصبح (البوتقة التي ينصهر فيها الجميع)[٣]

وقد أبرز خبراء الفكر التربوي في إسرائيل، أن دور المدرسة ليس دور تلقين المعلومات وإنما دور الخلق الثقافي المرتبط بالطموحات القومية.. يقول "ساشر": "إننا لا ننظر إلى إيجاد مدرسة في فلسطين كمجرد وسيلة لتعليم عدد من الطلاب اليهود، بل إن مهمتها أبعد من ذلك، إنها رمز لإعادة بناء أجيالنا بناء قوميا".[٤]

ورغم أن أكثر الدول وأغلب المربين يؤكدون على ضرورة تخطي المدرسة لدور تلقين المعلومات وضرورة التكامل في عملية التربية، إلا أن الأمر بالنسبة لإسرائيل يبدو أكثر عمقا وإلحاحا، إذ يؤكد الإسرائيليون أن المطلوب من المدرسة الإسرائيلية أكبر مما هو مطلوب من مثيلاتها في الدول الأخرى، فهناك فرق كما يقول هؤلاء المربون بين تربية هي استمرار لثقافة البيت والمجتمع المحيط، وبين تربية لا تستطيع الاعتماد على البيت، بل هي مطالبة بإعادة تربية الأطفال بشكل يناقض عاداتهم وتنشئتهم السابقة بهدف خلق الشعب الواحد بلغة واحدة وقيم واحد.[٥]

المساق الثاني: إصدار التشريعات والقوانين التي تنظم المسار التعليمي في مختلف المراحل الدراسية وبما يحقق وحدة المجتمع وتماسكه

لو ألقينا الضوء على تاريخ النظام التعليمي في إسرائيل، فسوف نجد أنه ظل بعيدا عن التوحد حتى عام ١٩٥٣، بمعنى أنه كان خاضعا للتنظيمات الأساسية التي كانت تشرف على تهجير اليهود، وكانت تلك التنظيمات تنقسم إلى أربع شيع محدودة لكل منها نظامها المدرسي ومدرسوها ومناهجها، وكان الانتماء إلى أي من تلك التنظيمات اختياريا، ومع نمو عملية الهجرة ازداد تنافس تلك الشيع في اجتذاب أطفال المهاجرين، كل للنظام التعليمي التابع له، وقد وصل ذلك التنافس إلى حد تقديم الهدايا والمنح للأطفال ولآبائهم.(٦)

وقد تنبه الفكر التربوي الصهيوني لخطورة مثل ذلك الانقسام، فأصدرت الحكومة الإسرائيلية عام ١٩٥١ قانونا مؤداه: ألا يطبق نظام الشيع المشار إليه، وأن يصبح الإشراف على التعليم مركزا على وجهة واحدة هي وزارة التعليم والثقافة التي كانت قائمة بالفعل منذ عام ١٩٤٩.. وفي

عام ١٩٥٣ صدر قانون الدولة الرسمي وينص على تصـفية الأنظمة التعليمية وسحب الاعتراف من مدارس دينية كثيـرة ومن مدارس الأحزاب الدينية والسياسية، بحيث أصبح نظام التعليم الحكومي يتمثل في نظامين: التعليم العـام الحكـومي والتعليم الديني الحكومي، وتم إعطاء الآباء حريـة إرسـال أبنائهم إلى أي من النوعين، والفرق بين النـوعين هـو أن التعليم الديني يشمل مواضيع دينية أكثر من الأول، كما أنـه يصبغ المواد الأخرى بصبغة دينية، وهو مسـتقل بموجهيـه ومعلميه عن التعليم المدني رغم أنه خاضع لإشراف شـكلي من جانب الوزارة، إلى جانب هذين النوعين من التعليم توجد مدارس "الكيبوتزات" التي تشرف عليها الوزارة كما توجـد المدارس غير الرسمية (الخاصة).(٧)

وقد جعل القانون التعليم إجباريا ابتـداء مـن سـن ٥ سنوات وحتى سن (١٣) عاما، وما لبث أن ارتفع حد الإلزام إلى سن (١٥) عاما "الصف العاشر"، وأصبح تسجيل التلاميذ يتم وفقا لمحال إقامتهم وليس وفقا للشيع التي ينتمون إليها.

والجدير بالذكر أن قانون الدولة التعليمي عـام ١٩٥٣ جعل مرحلة رياض الأطفال تدخل ضمن التعليم الإلزامـي،

وبذلك تصبح إسرائيل من بين الدول الأكثر اهتماما بالطفولة، حيث يبدأ الإلزام بها في سن الخامسة، وقد كان شمول التعليم الإلزامي للروضة ضروريا بسبب الهجرة الكثيفة، حيـث إن عددا من الآباء لم يكن يتقن العبرية من ناحية، ولم يكن على انسجام مع نمط الحياة اليهودية في إسرائيل من ناحية أخرى، فالطفل في هذا الجو لا يتوافر له الوضع المنزلي الذي يكمل دور المدرسة، ولا توجد في مؤسسات رياض الأطفال مناهج أو تدريب شكلي، إنما توجد اتجاهات عامة لأنواع من العمل المرغوب فيه، والهدف منها تربية الطفل جسديا واجتماعيـا وانفعاليا وعقليا، وبناء الثقة والاستقلالية والتعبير الحر عـن النفس والشعور بالانتماء للأرض واللغة والثقافـة الجديـدة وذلك من خلال البرامج المتنوعة التي تشغل اللعـب الحـر والنشاطات الخلاقة والرسم والـدهان والغنـاء والموسـيقى ورواية القصص.(٨)

وفي عام ١٩٧٨ قرر الكنيست جعل التعليم المدرسـي الحكومي إلزاميا ومجانيا حتى الصف الثاني عشـر، بحيـث أصبح السلم التعليمي يتضمن (عاما) لرياض الأطفـال، (٦) سنوات للمرحلة الابتدائية وثلاث سنوات للمرحلة المتوسطة،

وثلاث سنوات للمرحلة الثانوية، ولا شك أن الهدف الأساسي من هذا لإجراء هو تدعيم الوحدة والتماسك الاجتماعي بـين أبناء الكيان الإسرائيلي.[٩]

والقضية التي تشغل بال رجال الفكـر التربـوي فـي إسرائيل في الوقت الحالي هي محاولة الارتفاع بنسـبة مـن يتمون تعليمهم في المدارس الثانوية سـواء فـي المـدارس الأكاديمية أو المهنية، فمن خلال دراسـة أعـدها المكتـب المركزي الإسرائيلي للإحصاء حول مستوى التعليم والثقافـة في إسرائيل مقارنة بمستوى دول الغرب، اتضح أن (٧٥%) فقط من تلاميذ إسرائيل في سن (١٨) يتمون تعلـيمهم فـي المدارس الثانوية بنوعيها الأكاديمي والمهني، بينمـا تصـل النسبة المتوسطة لتلاميذ هذه السن في الدول الغربيـة إلـى (٨٠%) وخاصة الدول الأعضـاء فـي منظمـة التعـاون الاقتصادي.[١٠]

المساق الثالث: الأخذ بمبدأ المركزية في التعليم

إن السمة الأساسية التي تميز التعليم في إسرائيل منذ صدور قانون تعليم الدولة (١٩٥٣) هي المركزية، وكانت الأيديولوجية التي توجه هذا المسار هي تحقيق وحدة المجتمع وتماسكه، وقد شرح وزير التعليم والثقافة الإسرائيلي حينذاك مبررات الأخذ بمبدأ المركزية قائلا: "إن التعليم هو الملاك الذي يقع تحت سلطة ومسئولية الدولة، والدولة لا تستطيع أن تنقل مستقبلها للآخرين.. إن من واجبات الدولة أن تشرف إشرافا مباشرا على تعليم أبناء الأمة اليهودية ليستطيعوا أن يحدثوا أكبر قدر من الإنجاز لبلادهم"[١١]

ورغم أن القانون جعل التعليم الإلزامي مسئولية مشتركة بين الدولة الإسرائيلية وسلطات الحكم المحلي، إلا أن مسئولية هذه السلطات لا تتعدى المحافظة على الأبنية والأثاث واللوازم، أما ما يدور داخل المدرسة فهو تحت إشراف وزارة التعليم والثقافة، فهي التي تضع المناهج وتقرر المواد الدراسية وتوافق على الكتب، وهي التي تقوم بالمبادرات في حقل التجارب التربوية، كما أن المفتشين

والمعلمين يعتبرون موظفين حكوميين يتقاضون رواتبهم من الدولة الإسرائيلية ويحظر عليهم الدعاية الحزبية، وفي ظـل الأخذ بمبدأ المركزية في التعليم الإسرائيلي، لا يسمح للآبـاء بالتدخل في العملية التعليمية، وإن كان القانون أعطـى لهـم الحق في المطالبة بالتأثير في (٢٥%) من المنـاهج، إلا أن هذا الجزء من القانون لم يطبق بعد.[١٢]

ويتم التعبير عن نشاط الآباء في صورة دعـم مـادي للمدارس وأيضا من خلال مجالس الآباء في كل مدرسة.. إن إبعاد الآباء عن المواقع المؤثرة في العمليـة التعليميـة لـه أسباب سياسية وعقائدية، فالآباء يحملـون ثقافـات ولغـات مختلفة، والاعتقاد الصهيوني يتطلب بوتقـة لصـهر هـذه الثقافات وخلق ثقافة إسرائيلية جديدة ومتكاملة، ولهذا ينبغـي على الآباء ألا يؤثروا على تعليم أطفالهم، لأنه ربما يـؤدي تدخلهم إلى إيجاد اختلافـات أكثـر مـن تحقيـق المـزج والوحدة.[١٣]

ومنذ السبعينات ظهر اتجاه يدعو إلى تطبيق اللامركزية في التعليم، وتكييف الجزء الأعظم من السـلطة والمسـئولية عن التعليم للمجتمعات المحلية والآباء داخل نطاق الأهـداف

الوطنية.. وفي هذا الصدد يرى (Azhar) وهو نائب في الكنيست أن يعطي للمعلمين المسئولية الشاملة لتحديد ما ينبغي أن يفعل في المدارس، كما نادى (آلون) وزير التربية والثقافة الإسرائيلي السابق عام (١٩٧٣) "بضرورة التوفيق بين الاتجاهات الفردية والاتجاهات الاجتماعية، وأن تخطيط المنهج يجب أن يعكس الحاجات الاجتماعية والفردية".(١٤)

وقد بدأ الأخذ في الوقت الحالي بتطبيق مبدأ اللامركزية في المرحلة الابتدائية من خلال تنويع المناهج تبعا لاختلاف الظروف البيئية والفروق الفردية بين التلاميذ.(١٥)

المساق الرابع: توجيه أنظار الطلاب منذ الصغر إلى التحديات التي تواجه دولة إسرائيل

وفي هذا الصدد يستهدف الفكر التربوي في إسرائيل من خلال المناهج الدراسية وضع الشباب الإسرائيلي منذ الصغر أمام التحديات التي تواجه دولة إسرائيل ومصيرها، كالتحديات التي تتعلق ببقاء دولة إسرائيل وأمنها، وتوعيتهم بالأساليب اللازمة لمواجهة هذه التحديات، وبذلك لا يشعر الشباب بالفراغ أو يلتفت إلى التناقضات الداخلية.. ويبدو أن إسرائيل قد أصابت قدرا من النجاح في هذا المجال، حيث لم

تشهد إسرائيل اضطرابات طلابية، في الوقت الذي عمت فيه هذه الاضطرابات الطلابية دول العالم، وقد دلت الاستفتاءات التي أجريت بين الطلاب الإسرائيليين على أن القسم الأكبـر منهم يؤيد سياسـة الحكومـة بالنسـبة للقضـايا السياسـية المطروحة، بل إن الطلاب أنفسهم يتولون أحيانا معاقبة القلة التي تعارض سياسة الدولة.[١٦]

المساق الخامس: التأكيد على دور المعلم في تحقيق الوحدة والتماسك الاجتماعي

إذا كانت المدرسة لها الدور الأساسـي فـي التنشـئة الاجتماعية في إسرائيل، كان من الطبيعي أن يحظى المعلـم من وجهة نظر الفكر التربوي الإسرائيلي بالاهتمام متخذا في ذلك المبررات الآتية:

- إن المعلم هو أحد مصادر تعديل الواقع الاجتمـاعي، وبالتالي ينبغي أن يكون هناك تركيز على تدريبه الاجتماعي والتربوي.

- إن عملية صهر التلاميذ الذين ينتمون إلـى ثقافـات متباينة في بوتقة واحدة هي المحور الأساسي الـذي يرتكـز عليه دور المعلم في العملية الاجتماعية.

- أن تحقيق الإلزام ومراعاة حق كل شخص في التعليم لا يتم إلا من خلال كتيبة المعلمين.(١٧)

وقد حقق التزايد الهائل للسكان نتيجة الهجرة إلى إسرائيل حاجة ماسة إلى المعلمين، ويتم إعداد المعلم من خلال كليات التربية وكليات تأهيل المعلمين ومعاهد إعداد المعلمين وفق فلسفة خاصة تؤكد على الدور الاجتماعي الذي ينبغي أن يقوم به المعلم في تحقيق الانسجام والتماسك بين أبناء الكيان الإسرائيلي..

وهناك تركيز على أمور ثلاثة في إعداد المعلم:

١- الحرص على إعداد معلمين ذوي شخصيات تربوية أكثر من كونهم متخصصين أكاديميين.
٢- التعامل مع العملية التعليمية كفن أكثر منها كعلم.
٣- إعداد المعلم القادر على تقويم التلاميذ من جميع الجوانب وليس الجانب التحصيلي فقط.(١٨)

وترتفع نسبة النساء اللاتي يمارسن التدريس في إسرائيل حيث تبلغ في المدارس الابتدائية (٩٠%)، وفي المدارس الثانوية (٥٠%)، ويلعب اتحاد المعلمين دورا هاما في الارتقاء بالمستوى المادي للمعلم الإسرائيلي، حيث إن

مرتب المعلمين في إسرائيل أعلى من مرتبات العاملين فـي الخدمات العامة، ومع ذلك فإن مهنة التعليم فقدت جاذبيتهـا أمام الطلاب الذين ينتمون إلى الطبقات الاجتماعية العليا.[١٩]

وهناك اهتمام بتنظيم البرامج التدريبية التـي تسـتهدف رفع مستوى المعلم الإسرائيلي، وجعل التدريس أكثر جاذبية، وإزالة الرتابة والملل للمعلم وتحسين صـورته عـن نفسـه ومفهومه لذاته، وفي هذا الصدد يرى "لام" أحد خبراء التربية في إسرائيل أن استخدام برامج تدريبية محددة مسبقا لا ترتبط باحتياجات المعلمين لا يشجع المعلم على الإبـداع.. وتـنظم برامج تدريب المعلمين من خلال الجامعات، وكليات تأهيـل المعلمين، والمراكز الخاصة بتدريب المعلمين.. وتبعا لـذلك هناك ثلاثة نماذج من تدريب المعلم:

أولها: يركز على العلاقات والأنشطة الاجتماعية:

وثانيها: يركز على الإبداع والقدرات العقلية وأسـلوب حل المشكلات.

وثالثهـا: يركـز علـى الشـخص ذاتـه وشخصـيته الخاصة.[٢٠]

المساق السادس: تدعيم قيم التضامن بين أبناء الشعب اليهودي

تستهدف الأيديولوجية الصهيونية ربط أتباع الديانة اليهودية في العالم بالمجتمع الإسرائيلي برباط مقدس يتعدى مدلول الرباط الديني، بحيث يشكل يهود العالم ويهود إسرائيل معا الشعب اليهودي واعتباره كيانا قانونيا وسياسيا متكاملا.

ويحرص الفكر التربوي الإسرائيلي على تقوية التضامن اليهودي بصفة خاصة بين اليهود الغربيين (الاشكنازيم)، واليهود الشرقيين (السفارديم) في ضوء استراتيجية تركز بشكل غير مبالغ فيه على ما يجع اليهود جميعا، وفي الوقت نفسه تعطي الفرصة لكل طائفة منهم لكي تعبر عن نفسها بالطريقة التي تميزها.[٢١]

كما تستهدف المناهج التعليمية توفير قدر من الثقافة العامة لدى تلاميذ المدارس منذ الصغر تجعلهم يدركون الظروف المحيطة بهم، وتقدم لهم المعلومات العامة والحقائق المختلفة عن الناس والحياة في المجتمع والبيئات المختلفة، غير أن الأنماط الثقافية التي تقدم للتلاميذ تكون في إطار الجماعة اليهودية وما يتصل بها من علاقات سواء في

إسرائيل أو في بلاد المهجر، وهي لا تتعرض للحديث عـن باقي المجتمعات والبيئات إلا من منظور أنهم أغيار وأجانب وعرب.[٢٢]

ومن الواضح أن التعليم الحالي في إسرائيل في الوقـت الحاضر أخذ في البعد شيئا فشيئا عن القيم والأيـديولوجيات التي تميز بها النظام فـي حقـب الخمسـينات والسـتينات والسبعينات، حيث كان التعليم فـي تلـك الحقـب موجهـا بالأيديولوجيات الصهيونية والقيم الاشتراكية التي ترتكز على التضامن، ولكن منذ بداية الثمانينات حدث تمزق في تلك القيم حيث حلت محلها قيم جديدة تضع الفرد والحقوق الفردية فوق الواجبات والالتزامات الاجتماعية والقومية؛ لـذا تسـتهدف مناهج التربية الوطنية في إسرائيل والتي يتلقاهـا التلاميـذ بمعدل درس واحد في الأسبوع، وبرامج الـوعي اليهـودي تدعيم قيم التضامن وغرس الولاء المطلق في نفـوس أبنـاء الكيان الإسرائيلي، وتقدير الدور الذي تقوم بـه مؤسسـات الدولة كالكنيست والحكومة ورئيس الدولة، وتشجيع اليهـود المقيمين في إسرائيل على تقديم كل مساعدة ممكنة لأخـوتهم من المهاجرين الجدد إلى إسرائيل سواء في مجال الاستيطان

والإقامة أو في مجال توفير فرص العمل والحصـول علـى وظائف.[٢٣]

وتزخر برامج التعليم المدرسية بكثير من الموضوعات التي تسعى إلى غرس قيم التضامن في نفوس النشء كإبراز مفهوم التعاون بين أفراد الشعب اليهودي، وقيمة حب الأسرة اليهودية وربط الطفل اليهودي بها، وجعل محـور تفكيـره يدور حولها، والتأكيد على أهمية الترابط العـائلي، وإبـراز قيمة الأعياد والطقوس اليهودية التي توحد بين اليهـود، وأن الأزمات التي يتعرض لها اليهود تعتبر عاملا هاما يسـاعد على تضامنهم من أجل دفع الخطر عن إسرائيل، وقد نـص البرنامج التربوي للدولة في قانون التعلـيم الحكـومي عـام (١٩٥٣) على "تنمية مشاعر التضامن بين التلاميذ وغـرس المبادئ الصهيونية في نفوسهم بالإضافة إلى تلقيـنهم حـب إسرائيل والولاء للشعب اليهودي".[٢٤]

ولتنظيمات الشباب دور هام في تنمية قيم التضامن بين أبناء الكيان الإسرائيلي، وقد أثبتـت إحـدى الدراسـات أن الطلاب الإسرائيليين الذين يلتحقون بمنظمات شبابية تتفـوق

لديهم قيم التضامن عن أولئك الذين لم يسبق لهـم الالتحـاق بهذه المنظمات حيث تغلب عليهم القيم الفردية.[٢٥]

المساق السابع: تضييق الفجوة الثقافية بين التلاميذ المتميزين والتلاميذ المحرومين

فالتلاميذ المتميزون في مدارس إسرائيل هم في غالبيتهم من أصل غربي بعكس التلاميذ المحرومين الذين هـم فـي غالبيتهم من أصل شرقي، حيث يعانون ثقافيا من بطء التعليم والرسوب وارتفاع نسبة الغياب والتسرب.

وقد أوضحت إحدى الدراسات التي اسـتهدفت تقـويم التلاميذ في المرحلة الابتدائية في إسـرائيل وجـود فجـوة تحصيلية يتراوح مداها بين عام وعامين لصـالح التلاميـذ المتميزين.[٢٦]

أن التحدي الخاص بتعليم المحـرومين يعتبـر قضـية أساسية في التعليم في إسرائيل، وهناك تنبؤات قوية ترى أن التعليم سوف يصبح العامل الوحيد الذي يحكم الدائرة الفاسدة الخاصة بالحرمان والتخلف الـذي يعـاني منـه التلاميـذ المحرومون، وسوف يكون قـادرا علـى تحقيـق الحـراك الاجتماعي وتأسيس مجتمع متساو وعادل.

إن مشكلة الفجوة في الإنجاز الأكاديمي بين التلاميذ الذين ينتمون إلى أصل شرقي والتلاميذ الذين ينتمون إلى أصل غربي جذبت انتباه الكثير من رجال الفكر التربوي وصانعي السياسة التعليمية، ويربط البعض بين الإنجاز الأكاديمي المنخفض للتلاميذ المحرومين ثقافيا وبين العوامل الجينية والعرقية، على أن معظم صناع السياسة التعليمية وخبراء التربية في إسرائيل يرون أن الإنجاز الأكاديمي المنخفض لهؤلاء التلاميذ هو نتاج البيئة المحطمة والمتمثلة في الفقر، وانخفاض المستوى الثقافي والتعليمي لأسر التلاميذ المحرومين، وكثرة عدد أفرادها، وليس نتاج العوامل العرقية والجينية.. وقد أثبتت دراسة (ليوى شين) أن الأطفال ذوي الأصول الأفريقية والآسيوية يمتلكون نفس القدرة على التحصيل مثل الأطفال الذين ينتمون إلى أصل غربي، وأن التأثير السلبي لبيئة المنزل الذي ينتمي إليه هؤلاء الأطفال هو المسئول عن حدوث هذه الفجوة الثقافية.[٢٧]

إن الاستراتيجيات المستخدمة للتعامل مع قضية التلاميذ المحرومين ثقافيا تفرعت منذ بدايتها إلى مداخل ومراحل مختلفة، منها مرحلة الريادة التطوعية قبل عام ١٩٤٨ حيث

كان يقوم الرواد بدور هام تجاه تعليم المحـرومين، وثانيهـا مرحلة المساواة وتوفير تكافؤ الفـرص أمـامهم للالتحـاق بالمدارس الرسمية (١٩٤٨ – ١٩٥٨) وثالثها مرحلة التعليم التعويضي (١٩٥٨ – ١٩٧٨)، حيث كانت تستخدم خـلال تلك الفترة أساليب التدريس العلاجي للأطفال الذين فشلوا في التعليم النظامي مـع تـوفير خـدمات اجتماعيـة للتلاميـذ المتسربين والتوسع فـي التعلـيم المهنـي والتعلـيم غيـر الأكاديمي، وتخصيص موارد إضافية (أموال – قوة بشرية) من أجل الأنشطة التعويضية وإطالة اليوم الدراسـي والعـام الدراسي لمدارس المحرومين.

أما المرحلة الرابعة فهي مرحلة الإصـلاح التنظيمـي والتكامل الاجتماعي من (١٩٧٨ حتى الآن) بحيث يتم الحـد من الانتقاء الرسمي ودمج المحرومين والمميزين في فصـل واحد حيث أثبتت إحـدى الدراسـات أن وضـع الأطفـال المحرومين في فصول المتميزين حقق تقدما دراسيا للتلاميـذ المحرومين أكثر من نظرائهم الذين وضـعوا فـي فصـول متجانسة.

إن سياسة رعاية التلاميذ المحرومين ثقافيا في إسرائيل في الوقت الحاضر ترتكز على ما يلي:

- سد الفجوة الثقافية بين التلاميذ المحرومين ثقافيا وبين التلاميذ المتميزين، ويقصد بسد الفجوة الإقلال من الفرق بين الإنجاز المتوقع من فرد أو مجموعة تحت ظروف ملائمـة وبين الإنجاز المتحقق فعلا.

- التنوع: ويتمثل في إيجاد اختلافات فـي الشخصـية والمهارات الفردية والعادات والأنماط الثقافية لـدى هـؤلاء التلاميذ بما يتوافق مع التنوع في المجتمع القائم.

- إعداد معلم ذي مواصفات خاصة يكون قادرا علـى تحديد أخطاء طلابه ومتمكنا من تعديل طرق تدريسـه بمـا يلائم خصائص التلاميذ المحرومين واحتياجاتهم، وأن يقـوم بالعملية التربوية التي لا تستطيع الأسر وحدها القيام بها.

- تقديم الخدمات الاجتماعية لأسر المحرومين ثقافيا بما يسهم في علاج مشكلاتهم والارتفاع بمسـتواهم الاجتمـاعي والاقتصادي.(٢٨)

المساق الثامن: الاهتمام بتعليم التلاميذ ذوي الاحتياجات الخاصة

ويقصد بالتلاميذ ذوي الاحتياجات الخاصة التلاميذ المعاقين عقليا وجسميا والذين لا يستطيعون الدخول في المدارس العادية ويحتاجون إلى معاملة خاصة بهم من خلال مدارس التربية الخاصة، وتمثل نسبتهم في إسرائيل (٦%) من عدد تلاميذ المدارس الأساسية، ويعاني (٤٠%) من تلاميذ هذه المدارس من التخلف العقلي، بينما يعاني (١٦%) منهم من الاضطرابات العقلية، و (٣٨) من التخلف الدراسي، و(٦%) من الإعاقة الجسدية.[٢٩]

ويهدف التعليم في مدارس التربية الخاصة في إسرائيل إلى مساعدة التلاميذ المعاقين على الاندماج في المجتمع بما يساعد على تحقيق التماسك الاجتماعي وإعدادهم لحياة اجتماعية إيجابية منتجة، وإنماء قدرتهم على إدراك ذواتهم وتكوين علاقات إنسانية.

ويتم تعليم التلاميذ ذوي الاحتياجات الخاصة من خلال فصول تعليمية خاصة في مدارس عادية أو مدارس منفصلة للتربية الخاصة.

والإطار المناسب للتلاميذ ذوي الاحتياجـات الخاصـة سواء داخل المدارس العادية أو من خلال مدارس منفصـلة للتربية الخاصة يبنى على أسس ثلاثة:

أولها: إعداد معلمين مدربين متخرجين من أقسام التربية الخاصة من كليات التربية وكليات إعداد المعلم قادرين على التعامل مع التلاميذ ذوي الاحتياجات الخاصة.

وثانيها: توافر منهج متخصص يستهدف ما يلي:

- حماية الطفل من تفاقم الإعاقة.
- تزويد التلميذ المعاق بأساسيات التعليم.
- إعطاء التلميذ تنظيما جديدا في حياتـه مـن خـلال إدراكه لذاته.
- إكساب التلميـذ المعـوق المهـارات والسـلوكيات والعادات التي تمكنه من التوافق مع المجتمع.
- تحقيق التوازن النفسي بين قدرات التلميـذ المعـاق والعيوب التي به.
- مساعدة التلميذ المعوق في تأسـيس خيـال إيجـابي للشيء وثقة بالنفس.

- تزويده بالمهارات الإنتاجية والاقتصادية التي تساعده على كسب العيش والاعتماد على نفسه.

وثالثها: توفير التسهيلات الفيزيقية من أجهزة تعويضية ومعدات ووسائل تعليمية متطورة تساعد على تعليم المعوقين مع توفير الكوادر المتخصصة في مجال التربية الخاصة بجانب المعلمين كالأطباء النفسيين، والأخصائيين الاجتماعيين و النفسيين، وهيئات التمريض.

وتقسم مراحل التعليم في مدارس التربية الخاصة إلى أربعة أقسام: مرحلة ما قبل سن المدرسة (١-٣) سنوات، ومرحلة القسم فوق المتوسط (٤-٦) سنوات، ومدارس حديثي السن من (٩-٧) سنوات، ومدارس كبار السن من (١٠-١٨) سنة.[٣٠]

المساق التاسع: تعليم الأقليات

تمثل نسبة الأقليات في إسرائيل (٢٠%) من مجموع السكان (١٨,٥%) عرب، (١,٥%) دروز وآخرون، ولقد تسببت الظروف التاريخية والمتمثلة في حقبة الانتداب البريطاني British Mondate في إيجاد فجوة كبيرة بين التعليم اليهودي وبين تعليم الأقليات في كل المجالات،

فالإنجاز الأكاديمي في تعليم الأقليات أقل، ونسبة المتسـربين أكثر ونوعية المعلمين أدنى كفاءة.[٣١]

ومن مؤشرات هذه الفجوة، أن نسبة الـذين يحصـلون على "الباجروت" (نهاية المرحلة الثانوية) بين عرب إسرائيل لا يتجاوز سنويا(٨%) بالنسبة لطلاب إسرائيل، في حين أن عرب إسرائيل يمثلون (١٨,٥%) من سكان إسرائيل.

ويكون التركيز في المدارس الثانوية العربية داخل دولة إسرائيل على الدراسات الإنسانية أكثر من دراسـة العلـوم الطبيعية، كما يوجه الطلاب العرب في التعليم العـالي إلـى الدراسات الإنسانية والعلوم الاجتماعية أكثـر مـن العلـوم الطبيعية والهندسية، ونصف المعلمين في المدارس العربيـة غير مؤهلين.

وتنقسم مناهج المدارس العربية إلى ثلاث أقسام: قسـم مشابه للمنهج اليهودي (علوم طبيعيـة – لغـات أخـرى)، ومناهج عربية فريدة (لغة عربية – تاريخ عربـي – ديـن إسلامي)، ومنهج معدل للمدارس العربية (جغرافيا – تـاريخ عام – لغة عبرية).[٣٢]

إن تعليم الأقليات العربية في إسرائيل يواجه مشـكلات صعبة لعل أهمها ما يتصل بالهوية، وإذا كانت إسرائيل قـد حددت هوية العرب المقيمين داخلها بأنهم "عرب إسـرائيل" إلا أن الصراع العربي الإسرائيلي الدائم والحروب المستمرة جعلهم يعانون صراعا بين ولائهم للعرب وهويتهم كمواطنين في دولة إسرائيل، كما أن التلاميذ العرب الغير متميزين في إسرائيل والذين اقتلعوا من بيئتهم الثقافية، لا يحظون بـنفس الرعاية والاهتمام التي يحظى بها التلاميـذ اليهـود غيـر المتميزين.

وتشهد الأقليات العربية في إسرائيل في الوقت الحاضر نوعا من التحديث والتغير في وظـائف الأسـرة العربيـة، ووضع المرأة العربية بصفة خاصة، الأمر الـذي أدى إلـى وجود نوع من التوتر والصراع بين المحافظين والمجـددين مما يؤثر على التماسك الاجتماعي داخل المجتمع الإسرائيلي، وهو ما جعل صناع السياسة التعليمية ومخططـي المنـاهج التعليمية في إسرائيل ينادون بضرورة وضع حلول مناسـبة لمواجهة هذه التحديات.[٣٣]

إن على إسرائيل أن تنمـي وتطـور البنيـة التحتيـة للمدارس العربية داخل أراضيها، وأن تكيف مناهجها وفقـا للبنية القومية الحقيقية.

المسـاق العاشـر: التأكيـد علـى دور أجهـزة التربية غير النظامية كبوتقة ينصهر فيها اليهود مهما كانت خلفياتهم الثقافية.

ترتكز فلسفة التعليم غير الرسمي في إسـرائيل علـى تحقيق التكامل بينه وبين التعليم الرسمي فـي نظـام بنـائي موحد، فالنشاط غير الرسمي يكمل إلى حـد كبيـر النشـاط الرسمي في المدرسة، كما أن التعليم غير الرسمي فيه مجال لممارسة الأنشطة المتنوعة على أسـاس شخصـي انتقـائي بحيث تتوافر الحرية الشخصية للفـرد للالتحـاق بالأشـكال والهياكل المختلفة أو تركها بدون إجبار، فضلا عن أن التعليم غير الرسمي يتيح الفرصة للشباب للاشتراك المباشـر فـي اتخاذ القرارات الخاصة به وبأنشـطته وممارسـة أسـاليب المحاولة والخطأ المختلفة، يضاف إلى ذلك أن التعليم غيـر النظامي تتوافر في أنظمته المرونة والتحرر مـن السـلطة العليا.[٣٤]

ومن المبررات التي يستند إليها الفكر التربوي في إسرائيل في التأكيد على التربية غير النظامية ما يلي:-

- وجود هجرات يهودية من أنحاء العالم عجزت المدارس اليهودية عن استيعابها.

- التسرب من المرحلة الابتدائية والانقطاع عن الدراسة.

- عدم إجادة الكثير من الكبار اللغة العبرية.

- عدم القدرة على الالتحاق بالتعليم النظامي لأسباب اقتصادية وخاصة بالنسبة لليهود الشرقيين.

- إن الظروف الاجتماعية في إسرائيل تتطلب الكثير من الخيارات اللازمة لتغيير الواقع وتجديد القيم وتحديد المعايير، هذه العملية قد تصبح إيجابية وبناءة لو أنها تمت من خلال أشكال ملائمة من النشاط غير الرسمي، وقد تكون مخاطرة اجتماعية لو أنها منعت بواسطة الأنظمة الصارمة والأشكال المختلفة من التعليم الرسمي.

- إن هناك بعض الأفراد الذين لم يلتحقوا بالتعليم الرسمي، ولا يعملون على الإطلاق، فتكون بعض أنماط

التعليم غير الرسمي هي الاستجابة الوحيدة التـي يمكـن أن تساعدهم على دخول المجتمع مرة أخرى.

ويلعب الجيش وأجهزة الثقافة والإعـلام والمؤسسـات الزراعية والحزبية دورا هاما في صهر العناصر المتباينـة وإعادة تطبيقها وتخليقها.[٣٥]

ويتواجد في إسرائيل الكثير من الأطر المتنوعة غيـر النظامية التي تقوم بدور هام في مجال التعليم غير النظـامي مثل الدوائر الاجتماعية فـي نطـاق المدرسـة الأساسـية، والمؤسسات الداخلية، ومزارع الشبيبة، ومؤسسـات التعلـيم العسكري، وبيوت الشباب، وحركات الشبيبة، وأنديـة العلـم والتكنولوجيا، وبرامج التعليم الديني مـن خـلال التلمـود، وبرامج تعليم اللغة العبرية، وبرامج رفع المسـتوى الفنـي للعمال مهنيا وزراعيا، ومؤسسات تعليم الكبار.[٣٦]

ثانيا: العبرنة

تعد اللغة المشتركة أساس لا غنى عنه وشرطا لابد من توافره للأمة الواحدة، فالأمة وجود معقد لابد لتـوافره مـن شروط، وتمثل اللغة أهم هذه الشروط.

لقد تنبهت الحركة الصهيونية لأهمية اللغـة باعتبارهـا أولى مقومات اليهودية، ومن ثم اتجهت إلـى إحيـاء اللغـة العبرية لتكون أداة لخلق الوحدة داخل المجتمع الإسـرائيلي، وتعميق الانتماء والولاء الوطني للأرض ومن أجل الحفـاظ على التراث اليهودي.

ومن المعروف أن اللغة العبرية كانـت طـوال فتـرة الشتات اليهودي مجرد لغة مقدسة، لغة للصلوات اليهوديـة والأدب الديني، بينما كان اليهـود عـادة يتحـدثون بلغـات الشعوب التي يقيمون فيها.

لقد وفد إلى فلسطين عام (١٨٨٢) عالم لغوي يهـودي من (ليتوانيا) يدعى (اليعـازر برلمـان) (١٨٥٨ – ١٩٢٢) أخذ على عاتقه مهمة إحياء اللغة العبرية وجعلها لغة تخاطب رسمية، وعمل بتفان من أجل هذه الفكرة، وبدأ بنفسه وأهـل بيته، ففي عام ١٨٧٩ قام بعبرنة اسمه وتغييره إلى (اليعازر بن يهودا)، وجعل العبرية هي لغة التخاطب الوحيدة في بيته، ثم بدأ في نشر قاموس عبري في عدة مجلدات، وبحث فـي الأدب الكلاسيكي عن الألفاظ التي تصـلح للاسـتعمال فـي الحياة اليومية، واشترك في تأسيس أكاديمية اللغـة العبريـة

(فعدها لاشون)، وأصبح أول رئيس لها، وأصر على اعتبار اللغة العبرية هي لغة اليهود الوحيدة.(٣٧)

وإذا كان للأسرة دورا هاما في أي مجتمع في إكسـاب الطفل اللغة القومية، فإن هذا الأمر لا ينطبق على إسـرائيل، إذ لو ترك مثل هذا الأمر للأسرة في إسرائيل شـأنها شـان المجتمعات الأخرى لسمح ذلك بنمو العديد من اللهجات التي يحملها اليهود الوافدين إلى إسرائيل من شتى بقـاع العـالم، وهو ما لا يمكن أن يؤدي إلى توحيـد الكيـان السـيكلوجي والثقافي الإسرائيلي، ومن هنا كان الاعتماد على المدرسـة للقيام بهذه المهمة.

ومنذ أواخر القرن التاسع عشر كان هناك صراع بـين خبراء الفكر التربوي الداعين إلى التعليم بالعبرية، وبين دعاة التعليم باللغات الأجنبية، وكانت حجة دعاة التعلـيم باللغـات الأجنبية عدم وجود كتب مقررة باللغـة العبريـة أو لهجـة موحدة، ولكن مـؤتمر المعلمـين اليهـودي المنعقـد عـام (١٨٩١)، قرر استخدام اللغة العبرية بالصـفوف الابتدائيـة الأربعة الأولى، وسمح بتدريس بعض الموضوعات باللغات الأوروبية حتى يأتي اليوم الذي يتوافر فيه المعلمون القادرون

على التدريس بالعبرية، وما أن وضع وعد بلفور موضع التنفيذ، حتى كان هناك جهاز تربوي قادر على التدريس بالعبرية، وأصبحت اللغة العبرية هي لغة التدريس الرسمية قبل قيام إسرائيل عام (١٩٤٨).[٣٨]

وقد أسست وزارة التربية والثقافة الإسرائيلية بالتعاون مع الوكالة اليهودية وسلطات التعليم المحلية واتحاد العمال الإسرائيليين (الهستدروت) مدارس لتعليم اللغة العبرية أطلق عليها اسم "مدارس اليولبانيم Ulpanim"، وهي عبارة عن معاهد نهارية لتعليم اللغة العربية للمهاجرين الجدد إلى إسرائيل، كما كان للصفوف المسائية التي انتشرت في معظم المدن والقرى دورا كبيرا في تعليم اللغة العبرية حيث يستمر مسار تعليم اللغة العبرية في هذه الصفوف لمدة سنتين بمعدل يومين أو ثلاثة أيام كل أسبوع، وكانت نتيجة هذه الجهود ازدياد نسبة المتكلمين بالعبرية، وقد بلغت هذه النسبة عام (١٩٤٨) (٦٩,٥%)، ولكنها هبطت عام (١٩٥٠) إلى (٢٥%)، وذلك بسبب الهجرة الكثيفة، وارتفعت ثانية لتصل إلى (٦٧,٤%) عام ١٩٦١.. ويلاحظ أن هذه النسبة بين الصغار أعلى منها بين الكبار بسبب الإلزام التعليمي الذي

يبدأ من الروضة حيث يتحادث الأطفال ويغنـون بالعبريـة تحت إشراف معلمين متخصصين، وهكذا يتم إعدادهم جيـدا للتكلم والقراءة بالعبرية في المرحلة الابتدائية وما بعدها، وقد انعكس ذلك على البيوت، إذ أن كثيرا مـن الآبـاء تعلمـوا العبرية عن طريق الأبناء.(٣٩)

وتلعب أجهزة الإعلام دورا كبيرا في مجال تعليم اللغة العبرية، حيث تذيع محطات الإذاعة نشرات خاصـة بلغـة سهلة بطيئة ليتمكن المهاجرون من فهمها ومتابعتهـا، كمـا تخصص الصحف أعمدة في صفحاتها تكتب بلغـة سـهلة، وهناك صحف أسبوعية خاصة تكتب بلغـة عبريـة سـهلة منقطة مثل صحيفة "أومر".. كما تسهم الإذاعـة والأغـاني والمسارح رغم ما بينها من خلافات حزبية في خلـق جـو ثقافي موحد بين السكان القدامى والجدد.(٤٠)

إن اللغة العبرية ليست لغة دين فحسب، ولا حتى وسيلة للتخاطب والاتصال، وإنما هي أداة خلق الوحـدة للمجتمـع الإسرائيلي عن طريق اللسان المشترك وأداة تعميق الانتمـاء والولاء للأرض.

وقد حدد الفكر التربوي الإسرائيلي أهداف تدريس اللغة العبرية في مختلف مؤسسات التعليم كما يلي:

- إبراز أهمية اللغة العبرية كلغة قومية تعمل على تحقيق وحدة اليهود وتقريب الهوة الثقافية والحضارية بين الطوائف اليهودية المختلفة في دولة إسرائيل ودمجهم وتكيفهم واستيعابهم في المجتمع الإسرائيلي.
- إكساب الطالب مثل الأمة العليا وأفكارها ومشاريعها أثناء مراحل تطور الأمة اليهودية في فترات مختلفة.
- الكشف عن جهود وإنجازات الرواد في مجالات البعث الحضاري والثقافي والاجتماعي التي شغلت الشعب اليهودي عبر مسيرته التاريخية.
- تقوية الرباط التاريخي الذي لم ينفصل بين الشعب وبلاده وثقافته.
- إعداد الطلاب لاتصال حي مع القضايا والتيارات الفكرية التي ألهبت عالمنا في عصور مختلفة.[٤١]

لقد نجح الفكر التربوي الإسرائيلي في جعل اللغة العبرية هي لغة التدريس في جميع مراحل التعليم، وفي جميع المؤسسات التعليمية الرسمية، وفي الكيبوتز والموشاف، وكذلك في المرحلة الجامعية والدراسات العليا، وفي جميع الفروع...

كما يقوم الجيش عن طريق دائرة التربية التابعة لجيش الدفاع الإسرائيلي بتنظيم دروس للعبرية وغير ذلك من الموضوعات التي تسهل عملية الاندماج في المجتمع.

وتستخدم اللغة العبرية في تدريس المواد العلمية والتكنولوجية في كل الجامعات والمعاهد العليا، وتقوم اللجنة المركزية للمصطلحات التكنولوجية الملحقة بمعهد "التخنيون" بدور هام في تطويع مصطلحات هذه العلوم للغة العبرية.[٤٢]

وتشترط القوانين الإسرائيلية ضرورة إتقان اللغة العبرية على كل من يتولى وظيفة حكومية، وكان هذا القانون مصدرا لمشاكل كثيرة تعرض لها المهاجرون الروس إلى إسرائيل؛ لأن الكثيرين منهم لا يعرفون العبرية، وقد اضطر الجميع بسبب هذا القانون إلى تعلم العبرية والسعي إلى إتقانها.

لقد وصل الحرص على إتقان اللغة العبرية في جميـع المؤسسات والوسائط اليهودية إلى درجة التقديس حتى لقـد وصفها أحد الشعراء بقوله: "لغتنا لغة العجائـب، وكلماتهـا كلمات الأنبياء، إنها ضيقة ولكنها تتسع لنا، وقصيرة ولكنهـا تكفينا جميعا"، وأول من وصفها بالقدسـية هـم حاخامـات اليهود، ويستخلص من كلامهم أن قدسية هذه اللغة ترجع إلى أنها هي اللغة التي كتب بها تراث اليهود الـديني والأدبـي، فهي لغة التوراة وسائر أسفار العهد القديم والمشنا وبعـض التفاسير.[٤٣]

ثالثا: محاولة تقويض أركان الثقافة العربية

تقدم إسرائيل نفسها للعالم على أنها بلد صغير المساحة، عظيم الشأن في دنيا الثقافة، ثقافة ممتدة – كما تزعم – عبر (٤٠٠٠) سنة من اليهودية، ١٠٠٠ سنة من الصهيونية، وما يزيد على خمسين عاما من إنشاء إسرائيل.

وبينما كانت إسرائيل تسعى في بدايـة إنشـائها إلـى انصهار الثقافات المتعددة الوافدة إليها من مواطن الشتات في كيان إسرائيل الموحدة (ما يقرب مـن ٧٠ جماعـة ثقافيـة وعرقية)، فقد انقلب الوضع حاليا حيث تعرض نفسها عبـر

الإنترنت (كموزاييك) من التنوع الثقافي، باقة مـن ثقافـات أصيلة جمعت من البساتين الثقافية لدول الشتات.. ولا يفوتها – بالطبع – أن تؤكد على أن تنوعهـا الثقـافي هـو وليـد الشتات، وهو أيضا أبعد ما يكون عن التشتت، حيث تتنـاغم روافده وتتفاعل في سيمفونية الثقافـة الأم وابنتهـا الثقافـة الصهيونية، مبرزة أن صراعها مع العرب وراء هذا الوئـام الثقافي بما يتطلبه من حشد لجميع قواها الاجتماعيـة، مـن جانب آخر فإن ما يعطي هذا التنـوع الثقـافي الإسـرائيلي مغزى خاصا بالنسبة لنا، هو اشتماله على رافد عربي يمثله العرب سكان إسرائيل، وهو يتيح للمنظر الثقافي الإسـرائيلي معملا هائلا للتجريب الأنثروبولوجي والاجتماعي المفصـل علينا تفصيلا.[٤٤]

ويستهدف الفكر التربوي في إسرائيل مواجهـة الثقافـة العربية بمحاولة طمس معالمها وتشويهها وتجهيلها، ويقابـل ذلك عملية تضخيم الصورة لإسرائيل لتكون الصورة التـي لا بديل لها، وتستخدم إسرائيل جميع الأدوات والوسائل التي تمكنها من ذلك.

إن إسرائيل أنتجت ثقافة خاصة معادية للعرب، والعرب فعلوا مثل ذلك أيضا، ولكن مع وجود فارق وهو أن الثقافـة التي أنتجتها إسرائيل ضد العرب لم تحصـرها فـي دائـرة الشعب الإسرائيلي وحده، بل عممتها على العالم وخاصة مع أوربا والولايات المتحدة الأمريكية، في حين أن الثقافة التـي كونها العرب ضد إسرائيل محصورة في الدائرة العربيـة.. ومن ناحية أخرى فالثقافة التي أنتجتها إسرائيل ضد العـرب ونشرتها في الغرب خاصة هي ثقافة هجومية، بينمـا بقيـت الثقافة التي كونها العرب لنفسهم عن إسـرائيل هـي ثقافـة دفاعية، وهي في مجملها ردود أفعال.

وهذان الجانبان لابد من أخذهما فـي الاعتبـار عنـد الحديث عن التطبيع الثقافي، فعلى إسرائيل أن تسحب الثقافة المعادية للعرب والتي نشرتها في أوربا وأمريكا بنجاح نظرا لتمكن الحركة الصهيونية من التغلغل في وسـائل الإعـلام الدولية مما أدى إلى تشويه صورة العرب، أما العرب فليس هناك ما يسحبونه من العالم كمقابل؛ لأنهم لم يشوهوا صورة إسرائيل في الخارج. إن لدى إسرائيل مقومات أساسية تجعل منها خصما ثقافيا عنيدا نذكر منها:-

- تعدد اللغات داخل الكيان الإسرائيلي، ويلزم التنويه هنا إلى أهمية اللغة الروسية، حيث تعطي لإسرائيل ميزة تنافسية ثقافية ممثلة في إمكان التعامل المباشر مع الجمهوريات الإسلامية التي انفصلت عن الاتحاد السوفيتي السابق، حيث تتكلم هذه الجمهوريات اللغة الروسية كلغة أولى حتى الآن.

- كثرة العلماء اليهود في جامعات أمريكا وأوربا العاملين في مجال علوم الإنسانيات كاللسانيات وعلم الاجتماع ونظرية الأدب وعلم الآثار، وكثير من رواد التنظير الثقافي من اليهود، نذكر منهم على سبيل المثال: "اميل دور كايم" مؤسس علم الاجتماع الحديث، "ونعوم تشومسكي" صاحب أكبر مدرسة في علم اللسانيات الحديث، و "جاك داريدا" رائد الفكر الفلسفي ما بعد البنيوي.(٤٥)

- كثرة علاقات التبادل الثقافي بين إسرائيل ومختلف دول العالم، وتتحرش إسرائيل بالثقافة العربية والإسلامية عبر الانترنت، وقد نجحت في إقامة شبكة ممتدة من التحالف الثقافي والديني الرسمي وغير الرسمي لحشد العداء ضد العرب والمسلمين، وتقوم إسرائيل بتمصير أفلام الجنس

العالمية باستخدام أحدث أساليب المونتاج الالكتروني الرقمي والذي تمكنت بواسطته من إحلال صور أوجه بعض الممثلين المصريين والممثلات المصـريات محـل أوجـه الممثلـين والممثلات الأصليين، وما هي إلا مجرد بداية لهذا التزييـف الرقمي الذي في طريقه لأن يصبح من أمضى أسلحة التشويه الثقافي، ولن يكون التشويه من أجل التشويه فقط بل من أجل التسويق أيضا.[٤٦]

ويتوافر لإسرائيل على شبكات الإنترنت مواقع عديـدة لتعليم أبناء اليهودية في مهاجرهم تربط بين التعليم وترسـيخ روح الثقافة اليهودية لدى الصغار.

وقد أقامت إسرائيل بنية تحتية تقانية قوميـة مـن دور النشر والمكتبات ومراكز التوثيق والمتـاحف والمعـارض الثابتة والمتنقلة والمسارح وغيرها، وتـأتي إسـرائيل فـي المرتبة الثانية بعد الدانمرك في معدل نشر الكتـب بالنسـبة لعدد السكان، وذلك علاوة على حركة ترجمـة هائلـة إلـى العبرية من الإنجليزيـة والروسـية والألمانيـة والفرنسـية والأسبانية والبولندية والعربية بالطبع[٤٧]. ولـدى إسـرائيل (١٢٠) متحفا يتم المساهمة في تمويل بعضها من "متـاحف

صديقة" خارج إسرائيل ومن نيويورك على وجه الخصوص، ولفن الموسيقى موقع متميز في منظومة الثقافة الإسـرائيلية سواء في مجال الموسيقى الأكاديمية أو الشـعبية، ولـديها – أيضا – حركة مسرحية نشطة تشمل المسـرح الكلاسـيكي والمعاصر والتقليدي والتجريبي.(٤٨)

وتسطو إسرائيل على المـأثورات الشـعبية العربيـة وتنسبها لنفسها، وفي ذلك يقول أحمد مرسي: "عندما دخلـت على أرشيف الفولكلور الإسرائيلي على الإنترنت، اكتشـفت أنهم جمعوا (٢١٤٠٠) حكاية شـعبية حتـى عـام ١٩٩٦ ونسبوها لأنفسهم، بينما لا يوجد في أرشيف دولـة عربيـة واحدة (٥٠٠) حكاية تم جمعها وتصنيفها بشـكل علمـي.. الطريف أن هناك حكايات "لجحا" ينسبونها لأنفسهم وهنـاك كتاب نشرته إحدى جامعاتهم يتضمن حكايات شـعبية بهـا نوادر جحا المعروفة ويدعون أنها إسرائيلية"، ويؤكد أحمـد مرسي أنه ليست الحكايات الشعبية وحدها هي التي تسـرق، فالأزياء الشعبية الفلسطينية والأكـلات والحـرف الشـعبية العربية تقدم في المحافل الدولية على أنها إسرائيلية(٤٩)

وقد طرح الأكاديميون والمثقفون العرب عـدة أسـئلة حول احتمالات التأثير الثقافي الإسرائيلي في الثقافة العربيـة في حالة حدوث تطبيع ثقافي، فهناك طرح يتساءل عمـا إذا كانت الثقافة الإسرائيلية بنفس درجة أصالة الثقافـة العربيـة أم لا؟

وهناك طرح آخر يتساءل عـن احتمـالات الاختـراق الفكري اليهودي للمجتمع العربي، ويستبعد الدكتور البحراوي عددا من المخاوف العربية في هذا المجال، فيقرر أن الثقافة العربية تتميز بالأصالة، وأن اللغة العربية هـي اللغـة الأم للغات التركية والفارسـية والعبريـة، وأن الأدب العبـري الوسيط منقول عن الأدب العربي، فشـعرهم مـأخوذ عـن الأوزان العربية، والنحو اليهودي مبني على النحو العربـي، أما عن احتمال أن يتأثر المجتمع العربـي المحمـل بثقافـة تراثية إسلامية ومسيحية بالثقافة اليهودية الوافدة من إسرائيل والتي تتميز برؤيتها الضيقة وانحصارها في قضايا محليـة بحتة، فهو أمر غير وارد في الاحتمالات.[٥٠]

هوامش الفصل الخامس

١- حامد ربيـع، "النمـوذج الإسـرائيلي للممارسـة السياسية"، معهد الدراسـات والبحـوث العربيـة، القاهرة، ١٩٧٥، ص. ص ١١١-١١٢.

٢- رشاد عبد ا الشامي، "القوى الدينية في إسـرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة"، مرجع سابق، ص ١٧٨.

٣- سعيد إسماعيل علي، "خصائص التعليم في الـوطن العربي ودوره في مواجهة التحدي الإسرائيلي"، في "الأبعاد التربوية للصـراع العربـي الإسـرائيلي"، مركز دراسات الوحدة العربي، جامعـة الكويـت، ١٩٨٦، ص ١٠٣.

٤- Sacher, David, "Zoinism and the Jewish", London, ١٩٨٧, ١٧٢.

٥- Bentwich, Joseph, "Education in Israel" London, Rouledge and Kegan Paul, ١٩٦٥, p ٤٢.

٦- قدري حفني، "البحث عن بوتقة" في "الاسـرائيليون من هم"، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٩، ص. ص ٢٢٩-٢٣٠.

٧- نفس المصدر السابق، ص ٢٣٠.

٨- سمير هوانه، "نظام التعلـيم العـام فـي الكيـان الإسرائيلي، التطور الكمي والنوعي في التعليم العام حتى بداية الثمانينات"، في "الأبعاد التربوية للصراع العربي الإسـرائيلي"، مركـز دراسـات الوحـدة العربي، جامعة الكويـت، ١٩٨٦، ص.ص ٢٥٤-٢٥٥.

٩- نفس المصدر السابق، ص ٢٥٧.

١٠- Ormain, C.ed, The Educational Encyclopedia "Ministry of Education, ١٩٩٧, (Hebrew).

١١- Elad Peled, "Israeli Education"Op. Cit, [١٩٦.

١٢- Ibid, p. ١٩٧.

١٣- Ibid, p. ١٩٨.

١٤- Alon, Y "Education in the ١٩٧٠'s A Policy in Implementation", in

"Education in Israel" ed C. Ormain, Jerusalem: ch, Ministry of Education and Culture, ١٩٧٤, Hebrew P. ٢٦٥.

١٥- Ormain, C. ed "The Educational Encyclopedia" Op. cit, p, ٣٠١.

١٦- سلمى حداد، "الطلاب في إسرائيل، بيروت، مركز الأبحاث الفلسطينية (د.ت) ص ١٢٠

١٧- Elad Peled, "Israeli Education", Op. cit, p. ٢٠٣.

١٨- Ibid, p. ٢٠٤

١٩- Ibid, p. ٢٦٦

٢٠- Lam, z "Ideological Tensions – Conflicts about the Objectives of Education" in "Education in Israel", ed C" Ormain, Jerusalem: Ministry of Education and Culture, ١٩٨٦ (Hebrew).

٢١- قدري حفني، "الشباب أم السابرا – صـراع بـين التاريخ والمكان" في "الإسرائيليون من هم؟"، مكتبة مدبولي القاهرة، ١٩٨٩، ص.ص ٣٢٧-٣٢٩.

٢٢- Minkovich, A., Davis, D. Bashi, J. et al, "An Evaluation Study of Israeli Elementary Schools", Jerusalem: The

Hebrew University of Jerusalem, ١٩٨٧, p. ٣٤٥.

٢٣- Elad Peled, "Israeli Education", Op. cit, ٢٠٨

٢٤- سناء عبد اللطيف حسين، "الاتجاهات الأيديولوجية في أدب الأطفال العبـري"، مصـدر سـابق، ص ٢٤٥.

٢٥- Shapira, R and E-Etzioni "Individual and Collective Values of Israeli Students, The Impact of Youth Movement", the Jewish Journal of Sociology, ١٢, ١٩٩٠ p. ١٦٥.

٢٦- Lewy, A and Chen, M "Closing or Widening of the Achievement Gap" in "Studies in Administration and Organization", No-٤ (Fall ١٩٨٩), p. ٤٦٤.

٢٧- Ibid, p.p ٤٦٦-٤٦٨.

٢٨- Elad Peled, "Israeli Education", Op. Cit, p. ٢١٧.

٢٩- Ibid, p. ٢١٩.

٣٠- Ibid, p. ٢١٠.

٣١- Elboim, - Dror, R, "Encyclopedia of Education", Vol ٩ Organization of Education and Culture, ١٩٨٧, p.p ٨٢-١١٤. (Hebrew).

٣٢- Ibid, p. ١١٨.

٣٣- Ibid, p. ١٢٠.

٣٤- Flad Peled, Op. Cit, ٢٢٧.

٣٥- Ibid, p. ٢٢٨.

٣٦- صفا محمود عبد العال، "التعليم غير النظامي في إسرائيل، فلسفته وأهدافه"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية جامعة عين شمس، ١٩٩٣، ص ١٨٧.

٣٧- يوسف كلوزنر، "الموجز في تاريخ الأدب العبري الحديث"، تعريب إسحق شموسن، مكتبة السروجي، عكا، ١٩٨٦، ص ٨٠.

٣٨- علي رءوف سيد مرسي، "حول اللغة العبرية الحديثة ودورها في صهر المجتمع الإسرائيلي الصهيوني"، في (مدخل في تاريخ بني إسرائيل

واللغة العبرية الحديثة) الكويت، جامعة الكويـت، ١٩٨٤، ص ١٨٧.

٣٩- Kleinberger, Aharon, F, Op. cit, p. ١٢٨.

٤٠- علي رءوف سيد مرسي، مرجع سابق، ص ١٨٩.

٤١- مجلة شئون فلسطينية، عدد ٥٣، بيـروت، مركـز الأبحاث الفلسطينية، ١٩٧٥، ص ١٦٤.

٤٢- Sharraga Irmay, "The Development of Scientific" Hebrew, Technion Year book, ١٩٩٠, p. ٣١٤.

٤٣- عثمان سعيد، "المسألة اللغوية في الصراع العربـي الإسرائيلي"، في "الأبعاد التربوية للصراع العربـي الإسرائيلي، مصدر سابق، ص ١٧٥.

٤٤- نبيل علي، "الثقافة العربية وعصـر المعلومـات، رؤية لمستقبل الخطاب الثقـافي العربـي"، عـالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ٢٦٥، يناير ٢٠٠١، ص.ص ٥٦-٥٧.

٤٥- نبيل علي، "الثقافة العربية وعصـر المعلومـات"، مصدر سابق، ص ٥٨.

٤٦- نفس المصدر السابق، ص ٥٨.
٤٧- نشرة إعلامية، "إسـرائيل الآن" مركـز الإعـلام الإسرائيلي، القدس، ١٩٩٥ "بالعبرية".
٤٨- Israel Information Centre, ١٩٩٧, Israel Von Az (in German), Israel Information Centre Jerusalem.
٤٩- أحمد علي مرسي وفاروق محمد جودي، "الفولكور والإسرائيليات"، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٢٧.
٥٠- إبـراهيم البحـراوي، "قضـية اختـراق الثقافـة الإسرائيلية للثقافـة العربيـة"، الأهـرام، ٢٥/ ٧/ ١٩٩٨.

الفصل السادس
اتجاهات الفكر التربوي الإسرائيلي ذات البعد النفسي

كانت الأحداث التي تعرض لها اليهود عبر تاريخهم ذات أثر كبير في تكوينهم النفسي، وهو ما انعكس على الفكر التربوي الإسرائيلي الذي تنطوي الكثير من اتجاهاته على أبعاد سيكولوجية تعتبر من المكونات الهامة في شخصية الشعب اليهودي والتي تتمثل فيما يلي:

أولا: التركيز على المعاناة اليهودية عبر العصور

يولي الفكر التربوي الإسرائيلي في أدبياته هاجس الإبادة أهمية خاصة، ويستهدف تكوين ما يمكن تسميته بالإحساس بالمعاناة في نفس اليهودي منذ الصغر، وذلك بالتركيز على الاضطهاد والمذابح التي تعرض لها اليهود عبر التاريخ، وتضخيم ذلك إلى درجة الأساطير.. وتحاول الأيديولوجية الصهيونية أن تروج لفكرة مؤداها أن هذا الاضطهاد تتوافر فيه ثلاثة أبعاد:

١- بعد الامتداد التاريخي، بمعنى أن الاضطهاد الـذي حاق باليهود، استمر منذ بداية التاريخ اليهودي حتى الوقت الحالي بشكل دائم.

٢- بعد الامتداد الجغرافي، بمعنى أن الاضطهاد شـمل اليهود في كل مكان تواجدوا فيه في دول العالم مهما تباعد موطن استقرارهم.

٣- بعد الفارق الكيفي، بمعنى أن الاضطهاد الذي لقيـه اليهود كان من الضخامة والشراسة، بحيث لا يمكن أن يعادله أي اضطهاد لأي جنس آخر في العالم.(١)

ويربط منظرو الفكر الصهيوني قضية اضطهاد اليهـود بمقولة "العداء للسامية"، وهم يعرفونها بأنها "مـرض نفسـي مستعصي لا سبيل للشفاء منه، يدفع غير اليهود إلى معـاداة اليهود واضطهادهم، والتنكيل والفتك بهم مع أول فرصة".(٢)

إن عبارة "معاداة السـامية"، وهـي ترجمـة لإحـدى العبارات العبرية، تنطوي على مغالطة، حيث إنها تعادل بين اليهود والساميين وتقرن بينهما، مع أن العبـرانيين القـدامى كانوا لا يشكلون سوى خلية حضارية صغيرة تابعة بشـكل يكاد يكون كاملا للتشكيلات السامية الكبـرى، وهـي التـي

ورثها التشكيل العربي الإسلامي.. إن هذه العبارة تنم عـن جهل عربي وعن عنصرية غربية، وعن صـهيونية كامنـة تهدف إلى التخلص من اليهـود والإلقـاء بهـم فـي أرض فلسطين، ونردد نحن هذه العبارة.. "معاداة السامية" مع أنـه كان من الممكن ببساطة شديدة أن نقول "معاداة اليهـود" دون أن نستورد هذا المصطلح المتحيز ضدنا في حد ذاته.

وقد حول اليهود ما تعرضوا له من تعذيب علـى يـد النازيين خلال الحرب العالمية الثانية إلى ذكريـات، حيـث يصفون حملات التعذيب التـي راح ضـحيتها (٦) ملايـين يهودي – كما يزعمون – بأنها أكبر عملية إبادة في التاريخ، وأصبح الشعار الأساسي عندهم بعدها "لن ننسى ولن نغفر".

ويستخدم اليهود لفظ "هولوكست" للتعبيـر عـن هـذا الاضطهاد مع العلم بأن هذه الكلمة تعني "القربان"، ولكن آلة الدعاية الصهيونية ظلت تستخدم هذه الكلمة بمعنـى مغـاير طوال عقود من الزمن حتى ثبتتها في الذهن العـام بمعنـى مغاير وهو "ضحايا النازي من اليهود".[٣]

ومما لا شك فيه أن بلاء النازية لم يكن مجرد مذبحـة لليهود، وإنما كان بلاء عاما منيت به البشرية كلها، ويكفـي

أن نعلم أن الحرب العالمية الثانية التي أوقد نارهـا "هتلـر"، أسفرت عن مقتل (٥٠) مليونا من البشر، منهم (١٧) مليونا من مواطني الاتحاد السوفيتي (سابقا)، وتسعة ملايـين مـن الألمان، وتكبدت بولنده وغيرها من دول أوربا التي احتلهـا النازي ملايين القتلى، ولم تكن الهجمة النازية مجرد مذبحـة تستهدف اليهود في المقام الأول بل كانت بـالأحرى كارثـة إنسانية.(٤)

والواقع أن اليهود يضخمون رقم الإبادة إلى الحد الـذي جعل مفكرا فرنسيا مثل "روجيه جارودي" يرى أن هذا الرقم مبالغ فيه، وأنه لا توجد وثائق يقينية تفيد بأنه تمت إبادة ستة ملايين يهودي في معسكرات الإبادة أيام حكم النـازيين فـي ألمانيا.(٥)

نحن لا ننكر أن اليهود ذاقوا مرارة الاضطهاد كثيـرا وفي عصور متأخرة من تاريخهم، ولكن الذي يحوم حولـه الشك هو كون هذا الاضطهاد بلا جريمة من قبل اليهـود، إذ لا تكاد توجد ظاهرة في مجتمع ما دون علة أو سبب، فـإذا كانت جماعة من الناس تجعل التمييـز العنصـري أسـاس لفكرها منذ البداية، ثم لا تفكر على مر العصور إلا في تقوية

هذا التمييز العنصري، فهي جماعة مقضي عليها بالكراهية، فإذا كانت إلى جانب ذلك قليلة العدد هشة تحولت الكراهيـة بسرعة إلى اضطهاد.

وقد صدر أخيرا في أمريكا كتـاب بعنـوان (صـناعة الهولوكوست) بقلم "نورمان فنكلشتاين" وهو كاتب يهـودي، وفي هذا الكتاب يتهم "فنكلشتاين" اليهـود الـذين يسـتغلون الهولوكوست بأنهم يكذبون، وأنهم يتسترون من خلاله علـى الأعمال الوحشية ضد الفلسطينيين، واتهمهم بالجشع الواضح، ويعطي نماذج لذلك بالتعويضات الضخمة التي حصلوا عليها من ألمانيا والتي اعتبرها ابتزازا صريحا حيـث يقـول: "إن تحويل الهولوكوست إلى صناعة أثار حفيظة الجماهير، وأدى إلى معاداة السامية فـي كـل أوربـا والولايـات المتحـدة الأمريكية".[٦]

ويرى المؤلف أن اليهود يدعون أن الهولوكوست كـان عملا فريدا في نوعه، وأنه خارج التاريخ، ولا يمكن مقارنته بأي حادث آخر، ونتيجة لذلك أصـبحت أمريكـا مزدحمـة بمتاحف ونصب من الهولوكوست بينما لا يوجـد أي شـيء لضحايا الشيوعية أو ممن قتل من الغجر في أوربا وهم أعلى

نسبة من الذين قضى عليهم هتلر من اليهود، أو الملايين من الهنود الحمر الذين أبيدوا في أمريكا، أو نظائرهم من الأفارقة الذين ماتوا بسبب تجارة الرقيق.[٧]

ويعتبر المؤلف أن الهولوكوست لا يمكن أن يكون شيئا فريدا في نوعه، فهناك كثير من الشعوب التي تعرضت للإبادة والقتل، ومشكلة الهولوكوست ليست فيه وإنما في الصناعة التي تمت حوله، كما يؤكد على أن الهولوكوست أصبح بالنسبة لإسرائيل جائزة مبررة تسمح لها بمطالبة الدول الأخرى بتقديم كل ما يتطلب استمرارها وبقاءها، فهي تستغل الهولوكوست في تبرير ضرورة أن يكون لليهود وطن قومي، وهي تلجأ إلى الهولوكوست لتفسير العداء الموجه ضد إسرائيل، وهي تلوح بالهولوكوست كلما وجه إليها انتقاد بشأن امتلاكها للسلاح النووي، وفي نفس الوقت أعطت هذه العقيدة الرخصة لإسرائيل لأن تدافع عن نفسها بالطريقة التي تحلو لها حتى ولو كان عن طريق الهجوم المسلح والتعذيب.[٨]

وقد أحدث هذا المؤلف ضجة كبيرة إذ لو كان مؤلفه غير يهودي لاتهم بمعاداة السامية.

يوظف الفكر التربوي في إسرائيل "الهولوكوست" في تذكير أبناء الكيان الإسرائيلي منذ الصغر بمرارة الاضطهاد التي عاناها اليهود في تاريخهم بهدف تعميق الإحساس بالخطر لديهم وأنهم معرضون دائما للإبادة، وهناك هدف آخر من إشباع نفسية الأطفال بحس هذه الكوارث، وهو خلق دافع الانتقام في نفوسهم لا من قاتلي شعوبهم، وإنما من ضحية أخرى هي الشعب الفلسطيني.

وقد أسهم "بن جوريون" مؤسس دولة إسرائيل في وضع برنامج تربوي مخيف استهدف تنمية الإرهاب في نفوس أبناء "الصابرا"، وهم اليهود الذين ولدوا في فلسطين ولم يعيشوا حياة "الجيتو"، ويشهدوا مأساة اليهود في بلدان العالم الأخرى، ويدور محور هذا البرنامج حول تنشيط الذاكرة اليهودية بما حدث للآباء والأجداد في الشتات لتظل الروح اليهودية في حالة استنفار دائم ضد الغير.[٩]

وقد تم إنشاء هيئة في القدس لتخليد ذكرى اليهود بمقتضى قانون أصدره الكنيست عام ١٩٥٤ يطلق عليها اسم "يد فاشيم" ومهمة هذه الهيئة بصورة أساسية هي العمل على

تخليد ذكرى اليهود الذين تعرضوا للإبادة على يد كـل مـن النازيين والعرب كما يزعمون.[١٠]

ويخصص لضحايا النكبة النازية يوم حداد خاص هـو السابع والعشرون من شهر أبريل كل عام فيما يسمى بذكرى "شواه"، حيث تطلق صفارات الإنذار التي تدوي فـي الـبلاد لمدة دقيقتين كاملتين، فتتوقف الحركة تماما، ويقف المارة في أماكنهم، وتغلق أماكن الترفيـه والمسـارح ودور السـينما والبارات والنوادي الليلية، وتصدر كبريات الصحف ملاحق خاصة، ويعقد الكنيست جلسـة خاصـة، وتبـث الإذاعـة والتليفزيون برامج خاصة مع الكبار الذين نجوا من "محارق هتلر" ومع الصغار الذين قدموا أبحاثا حول هـذه المـذابح، يستعاد من خلالها شريط الذكريات حول اضطهاد اليهود في كل أنحاء الدنيا لأنهم أعظم من الأغيار، ولأن الأغيار شعوبا منحطة.. ويردد على التلاميذ مـا حـدث فـي "اشفسـتي" و"تريبلنكا" وغيرها من معسكرات التعـذيب والإبـادة فـي ألمانيا، ويعمد اليهود في هذه المناسبة إلى أن يركزوا علـى وصف الأهوال والفظائع اللاإنسانية التي تعرض لها اليهـود وصفا يجعل الصورة ترتبط في الذهن بشكل يصعب محـوه

بسهولة، ومن ذلك تنظيمهم لعرض منظر يثير الرعب أمـام المشاهدين من كبار وصغار، وهو عبارة عن كتلة ذهبية غير منتظمة الشكل قد تزن حوالي أربعة أو خمسة أرطال صيغت من حشوات ذهبية كثيرة يقال إنها مـأخوذة مـن ضـروس اليهود الذين قتلهم النازيون، وتعتبر هـذه الكتلـة تصـويرا صارخا لوحشية النازيين.[١١]

كما يشتمل مبنى مؤسسة "يد فاشيم" على متحف يوجـد به نموذجا كاملا لمعسكر المـوت فـي "تريبلنكـا" وصـالة تذكارية ومعبدا يهوديا، بالإضافة إلى مكتبة كبيـرة تشـتمل على وثائق يبلغ عدد صفحاتها مليونين ونصف مليون صفحة عن الحياة اليهودية التي دمرت[١٢].... وبهـذا يـتم شـحن المجتمع الإسرائيلي كله من صغيره إلى كبيره بكـل أنـواع الحقد والكراهية، وبهذه الوسائل تبدأ تنمية الروح الإرهابيـة لدى الإسرائيلي.

أما اليوم الثاني الـذي يحتفـل فيـه اليهـود بـذكرى اضطهادهم، فهو يوم الخامس عشر من مايو المسمى بعيـد الاستقلال، فهم يوهمون أبناء الكيان الصهيوني كما أوهمـوا الكثيرين في الغرب أن قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ لم يكن

إنشاء لدولة ليس لها وجود في المنطقة، وإنما كان حصـول إحدى الدول على استقلالها كغيرها من الدول التـي كانـت مستعمرة في النصف الأول من هذا القرن، وفي هذا اليـوم يعلن الحداد على الذين سقطوا في حـرب ١٩٤٨ أو حـرب التحرير كما يطلقون عليها.(١٣)

وتتضمن مناهج التعليم في إسرائيل ما يسمى بمادة أدب المقاومة أو "أدب الجيتو"، ويتم من خلالها وصف الأهـوال التي عاشها اليهود في "الجيتو"، وهي تحتوي على الكثير من القصائد الشعرية التي تنسب لشعراء إسرائيليين مشـهورين مثل "حايم نحمـان بيـالي" و "حـاييم هـزار" و "شـاؤول تشرنحوفسكي"، وتؤكد هذه القصائد على المذابح التي تعرض لها اليهود، وتطالب بالثأر من البشرية كلها.

ويخرج التلميذ من حصـة "اللغـة العبريـة" أو "الأدب العبري" وهو يريد أن يحطم شعوب العالم لما فعلون بأجداده، بل وتتكون لديه أفكار لا تقل خطورة عن تلك الأفكار التـي جاءت في "بروتوكولات حكماء صهيون".(١٤)

وتعتبر إسـرائيل أن إحيـاء مشـروعها الصـهيوني والاستيطاني مرتبط دائما بإبقاء قصة "الهولوكوست" حية في كل الأذهان، أذهان البشر جميعا والغربيين بوجه أخص.

لقد قامت الدنيا ولم تقعد في السويد عـام ١٩٩٨ حـين أسفر استطلاع للرأي العام في السويد عن أن أكثر من نصف طلاب المرحلتين الثانوية والجامعية لا يعرفون شـيئا عـن قصة "الهولوكوست" واعتبر هذا الأمر الذي وقع في أقصـى شمال أوربا وليس في إسرائيل، كارثة تسـتوجب التـدارك السريع، ولعلاج ذلك الموقف بادر رئـيس وزراء السـويد آنذاك "يوران بيرتسون" بإرسـال خطـاب حمـل توقيعـه الشخصي إلى جميع أرباب العائلات والمواطنين، ذكر فيه أن قصة "الهولوكوست" أخذت تتعرض لتهديد النسيان في بعض الأوساط السويدية، واعتبر ذلك خطأ جسيما قد يمهد الطريق لإعادة تكرار التجربة المشينة مرة أخرى، ودعت الرسـالة جميع المواطنين إلى ضرورة المسارعة إلى اقتنـاء كتـاب وضعه بعض خبراء وزارة الخارجية روى قصة ما جـرى على أيدي النازيين في سعي رسمي للإبقاء على الموضـوع حيا في كل الأذهان، وصدر الكتاب الذي يحتوي على (٨٠)

صفحة في عشر لغات، وقررت حكومة السويد إدخال ذكرى المحرقة كمادة رئيسية في مناهج التربية والتعليم[١٥] (هل يمكن أن تقرر الحكومات العربية تدريس قصة اغتصاب فلسطين والمذابح التي تعرض لها أهلها وخرائطها العمرانية التي محيت ضمن المناهج التي تدرس بالمدارس)، كذلك أصدرت الحكومة السويدية قرارا بعقد مؤتمر دولي شهدته العاصمة السويدية (ستوكهلم) في شهر يناير الماضي (٢٠٠٠)، وشاركت فيه أربعون دولة، وقد اتفق على عقده دوريا كل سنة لاستمرار تذكير العالم الغربي بمعاناة اليهود، لأن إسرائيل ترفض أن ينسى البشر ما جرى لأبنائها قبل نصف قرن على أيدي النازيين.[١٦]

أما ما جرى ولا يزال يجري في فلسطين من استنساخ إسرائيل للتجربة النازية ومذابح بشعة بلغ عددها منذ قيام إسرائيل حتى الآن نحو ٣٥ مذبحة أشهرها مذبحة دير ياسين والتي أبيد فيها مئات الأطفال والشيوخ والنساء والتي قال فيها مناحم بيجين "بدون دير ياسين لما ولدت دولة إسرائيل". فمطلوب غض النظر عنها ويفضل نسيانها وطي صفحاتها

لأسباب مفهومة، ويبدو أننا لم نقصر في الاستجابة لتلك الرغبة.

وتعطي إحدى الدراسات من خلال تحليلها لمضمون مناهج المطالعة والتاريخ والتربية الوطنية في مختلف صفوف المرحلة الابتدائية في إسرائيل بعض الأمثلة الدالة على ما تعرض له اليهود من معاناة واضطهاد على مر العصور منها على سبيل المثال:

- اضطهاد اليهود في مصر على يد الفراعنة، وكيف كان الفراعنة يخطفون أبناء العبرانيين ليرمون بهم في النيل.

- قصة خروج اليهود من مصر وكيف أن خروجهم أصبح عيدا للحرية، وكيف قادهم النبي (موسى) ليعيدهم إلى أرض الميعاد.

- عرض المآسي التي تعرض لها اليهود بشكل درامي مأسوي منذ عهد "نبوخذ نصر" البابلي وحتى الرومان وغيرهم من الشعوب التي احتلت المنطقة.

- الوضع السيئ الذي عانى منه اليهود بعد اعتناق أوربا للديانة المسيحية، حيث شدد القساوسة على إبعاد اليهود

من كافة الوظائف وحاولوا إجبارهم علـى تغييـر ديـانتهم، وتعرضهم للذبح والاضطهاد نتيجة رفضهم.

- اضطهاد اليهود أيام الرسول (محمد) صلى ا   عليه وسلم، بعد أن أحس بأنه من الصعب عليه استمالة اليهود إلى دينه الجديد – كما يزعمون – فشرع فـي إهـانتهم وإهانـة معتقداتهم وتدبير المؤامرات ضدهم ثم محاربته لهم.

- اضطهاد اليهود خلال الحرب العالمية الثانية على يد النازيين في معسكرات الإبادة.

- اضطهاد اليهود من العرب خاصة في سوريا ومصر والعراق واليمن.(١٧)

وتخصص حصص للتلاميذ والطلاب لدراسة اضـطهاد اليهود، حيث يطلب المعلم أو المعلمة أثناءها مـن التلاميـذ ترديد هذه المآسي بصوت مسرحي للتأثير علـى زملائهـم، ويترسب في لا شعور هـؤلاء التلاميـذ إحسـاس عنيـف بالحصار، وبضرورة الدفاع عن النفس بكل الوسـائل، ممـا يولد لديهم تبريرا لممارسة القوة والعنف تجاه العرب.(١٨)

لقد أثار تدريس هذه الموضوعات بعض أفراد حركـة التنوير الإسرائيلية وطالبوا بعدم تدريسها في المدارس لأنها

تخلق الشباب الجاحد الذي يميل إلى الانتقام من البشر، إلا أن حكومة إسرائيل رفضت ذلك وأصرت على تدريسها.(١٩)

وقد قررت اللجنة التعليمية التابعة للكنيست الإسـرائيلي مؤخرا منع تدريس كتاب تاريخ مقرر في الصـف التاسـع بعنوان "عالم الصور" لعدم إشارته إلى أحداث النازيـة ومـا تعرض له اليهود من اضطهاد، فهو بذلك قد تجاهل أجـزاء مهمة من تاريخهم.(٢٠)

ويعلق كاتب يهودي معاصر يدعى (يشياهو ليبـوتس) على مبالغة المناهج الدراسية في طـرح قضـايا المعانـاة والاضطهاد قائلا: "أسهل شيء هو أن نفسر موقفنا في ضوء ما فعله بنا الآخرون، فإننا نتناءى بهذا سؤال أنفسـنا عمـا نريد، فنعتبر أن هذه البشاعات ترفع عنا المسئولية، ويمكننـا بالتالي أن نطلق الرصاص على العـرب فـي معسـكرات اللاجئين ونحن مرتاحو الضمير".(٢١)

ثانيا: ترسيخ مقولة تمايز اليهود العنصري على غيرهم من البشر

من الاتجاهات الأيديولوجية التي يسعى الفكر التربـوي الإسرائيلي إلى ترسيخها في وجدان اليهود منذ الصغر مقولة

نقاء الجنس اليهودي وتميزه، وتفوق الشخصية اليهودية على ما عداها.. وقد استقى الفكر التربوي اليهودي هذا الاتجاه من الكتب الدينية اليهودية وخاصة التلمود الذي نجح في ضرب العزلة الوجدانية والعقلية على اليهود.[٢٢]

ويستند اليهود إلى نصوص دينية تؤكد أنهم شـعب ا المختار فقد جاء في سـفر اللاويـين (٤٠/ ٢٤-٢٦): "أنـا الرب إلهكم الذي ميزكم عن الشعوب لتكونوا لي"، كما أنهـم يفسرون هذا الاختيار الإلهي بأنه تفضيل للأقوى والأصـلح، ويردونه إلى ليلة المصارعة العجيبة التي أدى فيهـا جـدهم يعقوب (إسرائيل) امتحان القوة والصبر على المكاره بنجـاح باهر.[٢٣]

ولا يوجد طفل في إسرائيل لا يحفظ عن ظهـر قلـب: لأنك شعب مقدس للرب إلهك، ولقد اختارك الرب لتكون لـه شعبا خاصا فوق جميع الشعوب الأخرى على وجه الأرض".

ويدخل المعلم الفصل يحمد الرب لأنه اختاره لكي يكون يهوديا حتى يكون من الشعب المختار، ثم يبدأ في ترسيخ هذا الوهم في أذهان الصغار بحيث يؤمن جيل الشباب الإسرائيلي إيمانا عميقا بأنه ينتمي إلى الشـعب الإسـرائيلي المقـدس

المتفوق على كل شعوب العالم وأن بقية شعوب الدنيا منحطة وأن العرب حيوانات.[٢٤]

وقد أدى الترويج لمقولة التمايز إلى أن أصبح من خصائص التكوين النفسي لليهود.. وما دام اليهودي يؤمن بأنه أفضل خلق ا جنسيا وروحيا وعقليا، فلابد أن ينظر إلى غيره نظرة دونية تجعله يضع شعوب العالم في قوالب نمطية سلبية جامدة، وتصل هذه الأفكار إلى أقصى درجات التطرف والتعصب لدرجة تجعل اليهود يؤمنون بأنه من "ليس يهوديا ليس إنسانا" ويمكن تسميته "غريبا أو "أجنبيا" أو "عدوا"، ويصل الأمر إلى وصف غير اليهودي بكلمة (جوي)، وهذه الكلمة استخدمها العبرانيون في العصور القديمة بمعنى الحشرات، ثم توسع أحبار اليهود في مدلولها فأضافوا إلى الكلمة معنى القذارة المادية والروحية والكفر، ثم خصصته العنصرية الصهيونية للإشارة إلى كل من هو ليس يهوديا.[٢٥]

وتشير إحدى الدراسات من خلال تحليلها لمضمون كتب المطالعة والدراسات الاجتماعية في مختلف المراحل الدراسية في إسرائيل إلى أن مقولة تمايز اليهود على غيرهم

من البشر في هذه المؤلفات تنطوي على المفاهيم الأساسـية الآتية:

- إن التاريخ اليهودي فريد من نوعـه، وأن الشـعب الإسرائيلي حظي منذ القدم بآباء امتـازوا بالنفسـية النبيلـة والمثل العليا وتلك المثل التي غرسوها في أبنائهم هي التـي سار عليها الأبناء عبر تاريخهم.

- إن شعب إسرائيل يتميز بالعراقة، وبأنه كـافح مـدة طويلة حتى دخل فجر المدنية حيث أعطى للعالم أفضل القيم وأعرقها.

- إن جميع الشعوب تقف ضد الشعب الإسرائيلي لأنـه أشرف الشعوب وأنبلها وأكثرها قدسية وأنه شعب مكرم من قبل ا .

- إن شعب إسرائيل هو شـعب ا المختـار، وهـو يستحق أن يحصل على حق العودة إلى أرضه وبنائها مـن جديد.

- توجيه الطالب وتعريفه بكنوز الحكمة والمعرفة التي صنعها حكماء إسرائيل.

- إن في أرض إسرائيل يعيش شعب امتدت صـورته الروحانية والدينية والنفسانية وأورث العالم كلـه كتـاب ا الأبدي.

- إن اليهود مع أنهم موجودون منذ زمن قديم في البلاد العربية إلا أنهم لم يختلطوا بجيرانهم، بل أقـاموا لأنفسـهم مستوطنات خاصة عاشوا فيها حسب تقاليدهم، وتقاليد آبائهم أسيادا لأنفسهم.

- إن الشخصية اليهودية أذكى عقليا وأقوى بدنيا من أي شخصية أخرى، وأن الأحداث التي مـرت بـاليهود عبـر التاريخ خلقت منهم أمة ممتازة وأدت – على حد زعمهـم – إلى ظهور اليهودي "السوبر مان".(٢٦)

- أن التيه والشتات الذي تعرض له اليهود لـم يكـن عقابا لليهود من الرب، وإنما كان محاولة من الرب للقضـاء على الضعيف من اليهود حتى لا يدخل أرض كنعان سـوى أصحاء اليهود فقط.

- إن المحارب اليهودي يتميز عن المحـارب العربـي بالشجاعة والإقدام، وأن البطولة اليهودية لا يوجد في التاريخ ما يمكن مقارنتها بها، وأن العرب ليس لديهم استعداد للقتال،

فهم يلوذون بالفرار على الفور، وليس لـديهم رغبـة فـي التضحية بأنفسهم.

- الإيمان بأن إسرائيل هي نموذج لمجتمـع عصـري متقدم ومستنير للحضارة الغربية وهي قلعة الديمقراطية فـي شرق أوسطي تحكمه نظم شمولية مستبدة.(٢٧)

إن فكرة التمايز العنصري ونقاء الأجناس فكرة رجعية ولا تقوم على أساس علمي، وسبق لبحوث الأنثروبولوجيا أن رفضتها منذ زمن بعيد، ويكفي في هذا الصدد أن نعود إلـى المرجع الأساسي الذي صدر في بداية هـذا القـرن لمؤلفـه "ريبلى" وعنوانه "أجناس أوربا" وفيه نفي كامل لمقولة "نقـاء الجنس اليهودي".(٢٨)

كما أن الخرائط الجينية التي أعلنت حديثا أظهـرت أن الاختلاف بين الأجناس (الأبيض – الأسود – الأصفر.. إلخ) هي (٠,٠٠١)، أي أنه لا توجد اختلافات عرقية في التركيب الوراثي (كلكم لآدم وآدم مـن تـراب) (الحـديث)، وهـذه الاختلافات التي تمثل (٠,٠٠١) هي التي تميز الإنسان عـن أخيه الإنسان، أي لا يوجد جنس معين ذو تركيـب مختلـف عن الجنس الآخر إلا في حدود الاختلافـات الطفيفـة التـي

قدرها ا   بين البشر" ومن آياته خلـق السـماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم"(الروم:٢٢) وبذلك تهدم نظريـة الجنس السامي أو غير ذلك مما يدعيه البعض مـن اليهـود وغيرهم، فليس هناك شعب مختار، وا   سبحانه وتعالى قال: "ولقد كرمنا بني آدم وحملناه في البر والبحر"(الإسـراء:٧٠) فالتكريم هنا يشمل الإنسان على إطلاقه وليس لجنس محدود دون الآخر.(٢٩)

لقد أدى التأكيد على مقولة تمايز اليهود على غيرهم من البشر إلى وجود تربية إسرائيلية ذات طابع عنصري أسهمت في غرس مشاعر التعصب في نفوس أبناء الكيان الإسرائيلي منذ الصغر.

وأكثر صور التعصب تطرفا والتي هي نتاج تلك التربية العنصرية هي صورة إباحة الإبادة الكاملة للجماعة المعادية، ويمكن أن نتبين ذلك من نتائج إحدى الدراسات التي قام بهـا عالم النفس "تامارين"، وتتلخص هذه الدراسة في أن الباحـث قام بتوزيع (١٠٦٦) بطاقة اسـتطلاع رأي ذات مضـمون موحد على (٥٠٣) فتاة، (٥٦٣) فتى من تلاميذ عدة مدارس إسرائيلية من الصف الرابع إلى الصف الثـامن، وتتضـمن

البطاقة عرضا لإحدى قصص التوراة التي تم اختيارها لأهميتها في البرنامج الدراسي الإسرائيلي، ويدور محور العرض حول دخول "يشوع بن نون" بجيشه قرية "أريحا" وقضاءه على كل من فيها من كائن يتنفس، وطلب من التلاميذ الإجابة عن تساؤلين موجودين في البطاقة: يتعلق الأول بمدى صواب أو خطأ يشوع بن نون، ويتعلق الثاني بمدى جواز أن يفعل الإسرائيليون أثناء الحرب بسكان قرية عربية مثلما فعله "يشوع بن نون"، وكانت الإجابات الدالة على صواب تصرف "يشوع بن نون" والمؤيدة لأن يفعل الإسرائيليون بسكان قرية عربية خلال الحرب نفس ما فعله "يشوع بن نون" ما بين (٦٦%)، (٩٥%) حسب تفاوت المدارس والمستعمرات أو المدن.[٣٠]

والحقيقة أن هذه النتائج التي تحصلت من بحث نفسي اجتماعي ميداني تتضمن في حد ذاتها كما يقرر "تامارين" بحق إدانة كاملة للنظام التعليمي الإسرائيلي الذي يعمل بتنسيق مع أجهزة التنشئة الاجتماعية الإسرائيلية الأخرى لزرع الاتجاهات العنصرية والتعصبية في وجدان وأذهان الشباب الإسرائيلي، وقد أحدثت نتائج هذا البحث عند نشرها

ضجة كبرى في إسرائيل لسبب بسيط، هـو أنهـا كشـفت بطريقـة علميـة وموضـوعية عـن عنصـرية المجتمـع الإسرائيلي.. وقد دفع عالم النفس الإسرائيلي (تامارين) ثمن شجاعته الأدبية في كشف الوجه الحقيقي لمجتمعه، ففصل من عمله كأستاذ في جامعة تل أبيب بعد أن اشـتهرت قضـيته وأصبح يشار إليها بقضية "تامارين"، وهكـذا يمكـن تقـدير الآثار المـدمرة التـي أدت إليهـا الاسـتراتيجية التربويـة العنصرية التي تتبعها الصفوة الحاكمة في إسرائيل.[٣١]

ويعلق "إيفانوف" على ذلك قائلا: "وتلـك هـي بعـض الثمار الملموسة لسياسة التعليم الصهيوني، وهذه الثمار لـم تنضج من تلقاء نفسـها وإنمـا علـى ثمـرة الأيديولوجيـة الصهيونية".[٣٢]

ولا يزال المتطرفون اليهـود حتـى الوقـت الحـالي يواصلون تصريحاتهم العدوانية والعنصرية ضـد العـرب، حيث ألقى الحاخام المتطـرف "عوفاديـا يوسـف" الـزعيم الروحي لحزب شاس موعظة عيد الفصح (٢٠٠١) قـائلا: "إن العرب أشرار ومحظور علينا الرحمة تجاههم، ويجـب ضربهم بالصواريخ وتدميرهم لأنهـم مجرمـون ملاعـين،

ننتظر من ا أن يمحو اسم العرب وذكرهم ويشوش تفكيرهم، وينتقم منهم في رؤوسهم ويبيد نسلهم ويحطمهم". (٣٣)

وإذا كانت إسرائيل قد اتخذت من التمايز العنصري أساسا لفكرها من البداية، ولم تفكر على مر العصور إلا في تقوية هذا التمايز، فهي جماعة مقضي عليها بالكراهية التي تتحول بسرعة إلى اضطهاد.

إن هذا الشعور بالتمايز الإسرائيلي ليست له علاقة بالحرب والسلام، فهو شعور ثابت لا يخضع للمتغيرات، ولذلك نقول: "إن إسرائيل لن تتغير بعد السلام فيما يتعلق بهذا الاعتقاد في التمايز، بل إنها ستوظف هذا الشعور لخدمة مصالحها".

ثالثا: تشويه صورة العرب وبث مشاعر الحقد والكراهية والعداء تجاههم

تحتوي المجتمعات العربية بصفة عامة على ثلاثة أنماط رئيسية من البشر، كل منها يتميز بخصائص اجتماعية ونفسية واقتصادية معينة رغم وجود بعض التداخل بينها: كثرة غالبة تقطن في الريف وتشتغل بالزراعة، وقلة قوية

متزايدة في العدد والنسبة تسكن المدن وفيها يتركـز معظـم النشاط السياسي والاقتصادي والثقافي، وهـي الفئـة التـي تتعرض أكثر من غيرها لمؤثرات في الخارج، ثم قلة أخرى متناقصة في العدد والنسبة من البدو الرحل الـذين يتنقلـون وراء المطر للرعي، وتحكمهم معايير القبيلة وتقاليدها أكثـر مما تحكمهم القوانين المكتوبة، ولذلك فإن تناول الشخصـية العربية في أي مجتمع عربي يجـب أن يشـمل الشخصـية الريفية، والشخصية الحضرية، والشخصية البدوية، ولكننـا سنلاحظ ونحن بصدد استعراض صورة الشخصية العربيـة الفلسطينية في الفكر الصهيونية أنها اقتصرت علـى تنـاول شخصيتي الفلاح والبدوي مع تجاهل الشخصيات الحضـرية في المجتمع الفلسطيني بهدف تحقير وتغييب هذه الشخصـية على الرغم من أنها تمثل أكثر من ثلث عرب فلسطين.

بالنسبة للمفهوم الإسرائيلي عن الشخصية العربية، فإنه لا يوجد مفهوم واحد، ولكن هناك ثلاثـة مفـاهيم رئيسـية: تصور الصفوة الإسرائيلية (التقليدية والمعاصـرة) للعـرب، وتصور العلمـاء الإسـرائيليون، وتصـور الـرأي العـام الإسرائيلي.

أما عن تصور الصفوة الإسرائيلية فإنه ينطـوي علـى اتجاهين: اتجاه تقليدي واتجاه معاصر، أما الاتجاه التقليـدي فإن تصوره للشخصية العربية ينقسم إلى ثلاث صور:

١- البوبرية: نسبة إلى "مارتن بوبر"، وتعرف بالنظرة المعتدلة للعرب على أساس أنها تعترف بالظلم التاريخي الذي وقع عليهم، ولذلك فالحل هو دولة ثنائية، وقد انتهـى هـذا الاتجاه، وهو لا يعبر إلا عن لحظة تاريخية مـن لحظـات الوعي اليهودي.

٢- البنجوريونية: نسبة إلى "بن جوريون" وتركز على أن العرب لا يعرفون سوى لغة القوة والردع، وتعكس هـذه الصورة عدوانية المشروع الصهيوني والأسـاس الإرهـابي التوسعي الذي يقوم عليه.

٣- الوايزمانية: وهي لا تقل في اتجاها العـدواني إزاء العرب عن صورة "البنجوريونية" وتزمتها تجاه الشخصـية العربية.

وبالنسبة للصفوة الإسرائيلية المعاصرة، فهي تـرى أن الشخصية العربية تتسم بعدوانية أصـيلة وتأييـد الصـراع والحرب، وترجع هذه العدوانية إلى الإسلام الذي نادى بسمو

المسلمين على غيرهم، بالإضافة – على حد زعمهم – إلى أنه دين ذو نزعة حربية، كما ترى هذه الصفوة أن الشخصية العربية تتسم بالانفعالية التي ترد إلى الضعف الحضاري، أي أنها ترى عقلانية الإسرائيلي مقابل انفعالية العربي، وتقدم الإسرائيلي مقابل تخلف العربي، وواقعية الإسرائيلي مقابل الأوهام التي يعيش فيها العربي.(٣٤)

ويعد "بنيامين نيتنياهو" أحد رموز الصفوة المعاصرة في إسرائيل، فهو من خلال كتابه "محاربة الإرهاب" يقدم نظرة متكاملة لمحاربة ما يسمى بالإرهاب الإسلامي، ويحذر من أن هذا الإرهاب هو الخطر الأكبر الذي يواجه الغرب بعد انهيار الشيوعية، وهو يعتبر كل الأنظمة العربية إرهابية بدءا بالعراق وسوريا والسودان وليبيا وانتهاء بالسلطة الفلسطينية، وهو يرى: "أن الكثيرين يعتقدون أن عداء العرب للغرب بسبب تأييد الغرب للدولة اليهودية، وأن هذا العداء سيزول مع تحقيق السلام بين العرب وإسرائيل، ولكن هذا الفهم بعيد عن الحقيقية، لأن جذور العداء للغرب راسخة منذ مئات السنين لدى العرب والمسلمين، وهذه الجذور ستنمو حتى لو لم تظهر إسرائيل، فهي موجودة منذ هزيمة المسلمين في

جنوب فرنسا على يد (شارل مارتل) فـي موقعـة بواتيـه (٧٣٤م) والتي لولاها لكان من المحتمل أن تكون أوربا قارة مسلمة، كما أن تقسيم الدولة العثمانية بين الدول الأوربية أدى إلى شعور العرب بـالمرارة والانكسـار وكراهيـة العـالم الغربي". [٣٥]

وهكذا يكشف "نيتنياهو" عن تكوينه العقلـي والعقائـدي المعادي للعرب عداء لا يمكن التنازل عنه.

أما عن تصور العلماء الإسرائيليين للشخصية العربيـة فهم يرون أنها تتسم بالجمود والتصلب وليست قـادرة علـى تجاوز سلبياتها العديدة نتيجة سمات غريزية تتسم بها.

وفيما يتعلق بمفهوم الـرأي العـام الإسـرائيلي عـن الشخصية العربية، فإن العرب يتسمون فـي نظـر الغالبيـة العظمى من الإسرائيليين بأنهم كسالى وذكـاؤهم مـنخفض، وتملؤهم مشاعر الحقد.

وقد حدد معهد "لويس هاريس" لقياس الرأي العام فـي إسرائيل الأفكار النمطية للرأي العام الإسرائيلي إزاء العرب بالاستفتاء الآتي: [٣٦]

هل توافق على العبارة الآتية	نعم	لا
- العرب أكثر كسلا من الإسرائيليين	٥٣	١٦

- العرب أقل ذكاء من الإسرائيليين	٧٤	١٩
- العرب أشد قسوة من الإسرائيليين	٧٥	١٧
- يشعر العربي بحقد أعمى تجاه إسرائيل	٦٨	٢٦
- العرب ليسوا في شجاعة الإسرائيليين	٨٠	١٢
- العرب أقل أمانة من الإسرائيليين	٦٦	٢٠
- العرب أدنى من الإسرائيليين	٦٧	٢٣

وفي ذلك دلالة على النظرة الدونية للإسرائيليين تجـاه العرب.

ويؤكد كثير من الباحثين الذين فسروا اتجاهات الحقـد والكراهية لدى اليهود تجاه العرب إلى أنه يرجع إلى الفردية وانعدام الاتصال كعنصرين أساسيين، وقـد أشـار الباحـث "ريتر" إلى أن هناك شعورا غامضا وإحساسا بالخوف عنـد كل يهودي من كل ما هو غريب، وهذا هو أساس الشـعور السلبي الذي ينتج عنه الشعور بالعـداء والكراهيـة بشـكل تلقائي.(٣٧)

وتجدر الإشارة إلى أن الرؤية الصهيونية للعرب مـن خلال الأطر سابقة الذكر إنما تخضع لما يسـمى فـي علـم النفس بالتأثير الهلالي، وهو ميل إلى التحيـز فـي تقـدير

أو تقييم فرد بالنسبة لخصائص معينة تجاه انطباعات غيـر حقيقية عنه.[٣٨]

وتزداد في إسرائيل نزعة العداء للعرب يوما بعد يـوم، وتغذيها الحكومة الإسرائيلية، وتظهر هذه النزعـة لكراهيـة العرب بشكل واضح في أجهزة الإعلام والثقافة في إسرائيل، وفي كل هذه المجالات محاولات متعددة للربط بين الإرهاب والعرب، وغرس فكرة أن كل عربي إرهابي.

وفي إطار صـورة الشخصـية العربيـة فـي الفكـر الصهيوني، يؤكد الفكر التربوي الإسـرائيلي علـى تشـويه صورة العربي، متخذا من الرؤى التي تضرب بجذورها في التلمود وأفكاره العنصرية، ومن مقولة "العرب مثل الأغيار" ركائز أساسية لتبرير هذه الأيديولوجية.

ويلخص "محمود صميدة" هذه النظرة المشوهة في الفكر التربوي الإسرائيلي تجاه العرب قائلا: "إن صورة العربـي الفلسطيني في أدبيات التربية الإسرائيلية منذ بداية هذا القرن هي صورة البدوي والهمجمي الجاهـل، إنـه أقـرب إلـى المتسول من أي شيء آخر، ومتخاف تلتصق به كـل صـفة سيئة ودميمة، وبعد إقامة دولة إسرائيل وصـف الفلسـطيني

المقاتل من أجل حقوقه الشـرعية بأنـه "إرهـابي وجبـان ومتوحش ومثير للرعب"(٣٩)

وتبدو الاتجاهات التي يحاول الفكر التربوي الإسرائيلي من خلالها تشويه صورة العرب في كثيـر مـن مضـامين المناهج والكتب المدرسية الإسرائيلية على النحو الآتي:-

١- وصف خروج اليهود من مصر بأنه خـروج من أرض الاستعباد إلى أرض الميعاد.

٢- الحقد الأسود على الإسلام وتشويه صـورته ووصف الرسول (صلى ا عليـه وسـلم) بالغارق في أحلام اليقظـة والمبتـدع للـدين الإسلامي، وأن الإسلام انتشر بالسيف.

٣- إن الطفل العربي الفلسطيني – كما يصورونه – لن يكون عندما يكبر إلا حية سامة، ولذلك فإنه لا يستحق العطف والرحمة، وهـو مـا يفسر كثرة عـدد الضـحايا مـن الأطفـال الفلسطينيين في الانتفاضة الأخيرة.

٤- إن الشخصية العربية الفلسطينية إما شخصية بدوية أو ريفية.

٥- إن الشخصية العربية تحمل في طياتها قدرا هائلا من الرغبة في الانتقام والوحشية والتعطش للدماء.

٦- إن العرب لا يتمتعون بالرعاية الصحية، فوجوههم شاحبة، وعيونهم متعبة ومتقلصة وترف في عصبية، وأسنانهم سوداء لعدم العناية بنظافتها.

٧- إن ورح التدين والرجوع إلى ا لدى العرب ترجع إلى عجزهم في مواجهة المواقف المختلفة.

٨- إن العرب لا يصلحون إلا لممارسة الأعمال التافهة كقطف الثمار من المزارع وتعبئتها وشحنها، وقيادة البهائم والعمل في المجاري وأعمال البناء، وفي ذلك تجسيدا للمفهوم الإسرائيلي السائد لدى الإسرائيليين بأن العربي كسول ولا يمكن إسناد أي عمل صعب إليه.

٩- إظهار العربي الفلسطيني في صورة المتسلل واللص ورجل العصابات، وذلك مـن أجـل تبرير مطاردته ومعاملتـه بقسـوة وعنـف وطرده من أرضه، يقول "أمنون حبار" فـي أحد الكتب الدراسية المقررة علـى المرحلـة الثانوية: "تقاليد سرقة الأملاك اليهودية علـى يد العرب كانت تقاليد تناقلتها الأجيال حتـى أيامنا الحالية، والعرب مثل المسـيحيين لـم يسرقوا الأماكن المقدسة لليهود فحسب، وإنما حولوها من خلال تغيير أسـمائها وتزويـر تقاليدها إلـى أمـاكن مقدسـة للمسـيحيين والمسلمين".

١٠- إن بيوت العرب حقيرة في بنائها، فهي مباني من الطوب اللبن أو من الأحجار الأسـمنتية التي ليست في حاجة إلى تبيـيض، وإذا زرع ساكنوها بالقرب منها فإنهم يزرعون بلا إتقان ولا تطبيق علمي لأصول الزراعة.

١١- وصف المرأة العربية بأنها مساوية الحق، تجلس في المنزل بعيدة عن الأعين، محجبة بحجاب أسود، ولا توجد لها أي حقوق مدنية، وعملها الوحيد خدمة زوجها، وعدد النساء اللائي يعرفن القراءة والكتابة قليل جدا.

١٢- وصف العرب بالمخربين أو المشاكسين والمعتدين الذين ينظرون إلى المستعمرات الإسرائيلية نظرة عدوانية ويمدون أيديهم دائما للخراب والقتل والنهب.

١٣- تصوير العرب الفلسطينيين على أنهم لا قضية لهم، وغالبا فهم مأجورون من قبل قوة خارجية، وفي أحسن الأحوال من قبل السيطرة الإقطاعية، وهم متخلفون ذهنيا.

١٤- تصوير الدول العربية بأنها دول متخلفة اجتماعيا واقتصاديا يسودها الفقر وينخفض فيها مستوى المعيشة.

١٥- إن العرب هم الذين أرادوا الحرب مع إسرائيل، وأن إسرائيل حققت الانتصار عليهم

في حرب ١٩٤٨ وحرب ١٩٦٧ وحـررت أراضيها واستعادت القدس، وأن المستعمرات التي أقامها اليهود فـي الجـولان والضـفة الغربية هي بمثابة حزام أمني لصد غـارات المخربين العرب في الوقت الذي تتجاهل فيه هذه المناهج انتصار العرب في أكتوبر.[٤١]

ومن خلال تحليل نصوص (١٢) كتابا دراسـيا باللغـة العربية تدرس بالمرحلة الإعدادية في المدارس الإسـرائيلية، قام الدكتور "مزاي بوروش" رئيس معهد تأهيـل المعلمـين باللغة العربية بجامعة تل أبيب ١٩٩٧، ذكـر "أن شخصـية العربي التي تدرس في هذه الكتب لم تتغير حتى بعد عمليـة السلام، وهي تبدو كشخصية أحادية الجانـب وتكراريـة"... وعلى حد قول "بورش" يظهر الوصف المجرد النـابع مـن الآراء والمعتقدات المسبقة للعرب على أنهم دونيون في كـل النواحي، وهو من شأنه انتزاع كل رغبة من التلاميذ للتعرف على العرب وثقافتهم.[٤٢].

ويستغل أدب الأطفال الإسرائيلي في غـرس مشـاعر الكراهية في نفوس الأطفال الإسرائيليين تجاه العرب، فهـذا

على سبيل المثال الشاعر "مائير وايز لتاير" يعلم الأطفال في إسرائيل كيف تكون الكراهية للعرب فيقول:

أيهـ ـ ـا الأطفـ ـ ـال تعلمـ ـ ـوا
تعلمـ ـوا كيـ ـف يكـ ـون الكـ ـره
نعلم نحن أن زراعـة هـذا الكـره
فـ ـي القلـ ـب مـ ـن الأطفـ ـال
يأخـ ـ ـ ـذ وقتـ ـ ـا جمـ ـ ـ ـا
يغـ ـ ـدو عمـ ـ ـلا صـ ـ ـعبا
لكنا نعـود نقـول فـي أذن الطفـل
تعلـ ـم كيـ ـف الكـ ـره يكـ ـون

ومن أبرز المظاهر التي تثير الألم والاستياء في مجـال أدب الأطفال في إسرائيل ما نراه في سلسلة كتـب الأطفـال التي تصدر تباعا والتي تنطوي على شحن عقـول الأطفـال بمادة تحريض سيئة ضد العرب، وتكون هذه المادة مصحوبة عادة بالكاريكاتير الذي يمثل العنصرية.

وفي الفترة الأخيرة، بدأ بعض أولياء الأمـور يتحـدثون بصراحة عن محتوى هذه الكتب، تقول أم عمـا يدرسـونه

لطفلتها البالغة ثمانية أعوام وفق ما نشرته صحيفة هـاآرتس العبرية:

"لقد انتابتني الدهشة عندما اطلعت على ما يقرأه الأطفال، إنني لم أقرأ في حياتي أسوأ من هذا الكلام ولكن كيف السبيل إلى منع الأطفال في إسرائيل من قراءة هذه السخافات".

ويقول أب إسرائيلي آخر:

"إنه مما يثير الدهشة في نفسه، أن يرى الأطفال يقبلـون على قراءة هذه الكتب الحافلة بالتحريض ضد العرب والتـي تحتوي على وصف لأعمال وحشية سادية وتفاصيل لعمليات التمثيل بالجثث، وتتضمن أيضا رسومات كاريكاتورية تبـرز العرب في وضع مهين".(٤٣) وقد ازدادت هذه الكتب انتشـارا خلال السنوات التي أعقبت حرب ١٩٧٣.

لقد نجح الفكر التربوي الإسرائيلي في تشـويه صـورة العرب أمام أبناء الكيان الإسرائيلي، وبـث مشـاعر الحقـد والكراهية في نفوسهم تجاه العرب، ويؤكد هذه الحقيقة ذلـك الاستبيان الذي أجراه "أدير كوهين" أحد المحاضرين في كلية التربية بجامعة "حيفا" بين تلاميذ الصفوف النهائية بالمرحلـة

الابتدائية في مدارس حيفا بهدف الوقوف على نظرتهم تجـاه العرب، وقد تمثلت نتائج هذا الاستبيان فيما يلي:

- مستوى الخوف من العرب مرتفع بشكل مذهل، حيث أجمع (٧٥%) من أفراد العينة على ترافق شخصية العربـي مع خاطف الأولاد والقاتل والمجرم وما إلى ذلك.

يرى (٨٠%) من التلاميذ أن العربي شـخص متخلـف يعيش في الصحراء، ويرتدي الكوفية ويرعى الأغنام، ولـه وجه مخيف وقذر وله ندوب في وجهه.

أظهر الاستطلاع أن هناك رفضا تاما لحقوق العرب في البلاد أو التعايش المبني على المساواة معهم في الحياة معا.

- عبر (٤٥%) من التلاميذ عن رغبتهم في السلام مـع العرب، وأعرب (٣٢%) فقط عن قناعتهم بإمكانيـة تحقيـق مثل هذا السلام، وقال معظم الراغبين في السلام: "إن السلام في نظرهم يتمثل في تسليم العرب بالوجود اليهودي في البلاد والمستوطنات اليهودية في الضفة الغربية وتحقيـق السـيادة اليهودية على كافة أرجاء البلاد".(٤٤)

ولا يكتفي الفكر التربوي الإسـرائيلي بتشـويه صـورة العرب أمام أبنـاء الكيـان الإسـرائيلي داخـل المـدارس

الإسرائيلية، بل إنه يسعى إلى تحقيق نفس الهدف لدى أبنـاء العرب المقيمين داخل حدود دولة إسـرائيل والـذين يطلـق عليهم اسم "عرب إسرائيل" وهم يمثلون (١٨%) من سـكان إسرائيل، وأن المرء ليشعر بالمرارة كلمـا قـرأ مصـطلح "العربي الإسرائيلي"، ذلك أن هذا المصطلح يعتبر مسـكونا بجريمتين اثنتين: أولاهما أنه يطمـس الانتمـاء الفلسـطيني ويلغيه من حيث أنه لا يذكره، ومن ناحية ثانية فإنـه يلحـق العرب الفلسطينيين بالدولة الإسرائيلية التي انتزعت أرضهم وقتلت وشردت أهلهم، وفي ذلك ذل ما بعده ذل.

وإذا ما ألقينا الضوء على واقع حياة "عـرب إسـرائيل" فسوف نجد أنه واقع سيئ مهين، فنسبة من هم تحـت خـط الفقر منهم (٥٥%) والخدمات الصحية المقدمة لهم منحطـة، حيث إن نسبة وفيات الأطفال بينهم تمثل ثلاثة أضعاف نسبة وفيات الأطفال الإسرائيليين، ولا توجد جامعات خاصة بهم، ونسبة الملتحقين من أبنائهم بالجامعات الإسرائيلية تمثل ٥% من عدد الطلاب اليهود، ويقتصـر قبـولهم علـى الكليـات النظرية فقط بعد اجتياز اختبار قبـول صـعب فـي اللغـة العبري، ويرفع على مدارس عرب إسرائيل العلم الإسرائيلي

وهو علم يرمز إلى القومية اليهودية ويمثـل إهانـة للهويـة الفلسطينية وبينما يبلغ متوسط عدد تلاميذ الفصل في مدارس عرب إسرائيل (٥٠) تلميذا، يبلغ عدد تلاميذ الفصـل فـي المدارس الإسرائيلية (٢٥) تلميذا، فضلا عن توافر أجهـزة التكييف داخل فصولها.

ولا تتعدى نسبة تشغيل أبنـاء عـرب إسـرائيل داخـل الحكومة الإسـرائيلية (١,٧%)، (٩٠%) مـنهم مـرتبطين بالاقتصاد الإسرائيلي حيث يمارسـون الأعمـال الخدميـة والعضلية، كما أن معظمهم يعيشون في قرى منفصـلة فـي المجتمع اليهـودي، ويحـرم علـيهم الاخـتلاط بـالمجتمع الإسرائيلي حتى لا يؤثروا على أفراده، وإذا كانت إسـرائيل تدعي أنها مجتمع ديمقراطي فهي لا تطبـق فـي معـاملتهم أساليب الديمقراطية حيث تعاملهم كمـواطنين مـن الدرجـة الثانية.(٤٥)

وكل من يلقي نظرة على الكتب المدرسية فـي مـدارس (عرب إسرائيل)، يجد نهجا واضحا يؤكد على أمرين: الأول التعتيم على العرب، والثاني تشـويه منجـزاتهم الحضـارية والتقليل من شأن دورهم الحضاري، وهذه الكتب تتحدث عن

العرب بأسلوب ينم عن التجزئة والتشتت ولا يبدي أي ملمح من ملامح التكامل.. ويسعى مؤلفو هذه الكتب إلى تعريـف الطلاب العرب بالشعب اليهودي والشعوب الغربية بدلا مـن الأمة العربية والشعوب الإسلامية، ويتجلى هذا فـي كتـب الجغرافيا التي لم تحظ الأقطار العربية منها إلا بالنذر اليسير وفي منأى عن كونها وحدة جغرافية واقتصـادية، ويشـمل الإهمال الدول الإسلامية، ولم يسـتثن مـن هـذه القاعـدة إلا تركيا، وحين تتناول كتب التاريخ الحضارات القديمة فهي تعطي نصيب الأسد للعبرانيين واليونان، وفي الوقت الـذي تبدي فيه اهتماما بتاريخ أوربا والحروب الصليبية، لا تعطي تاريخ العرب والإسلام إلا النذر القليل.(٤٦)

وقلما تتحدث الكتب المدرسـية فـي مـدارس (عـرب إسرائيل) عن منجزات العرب فـي ميـادين العلـم والأدب والفلسفة والعمران، فالعرب مقلدون ومقتبسـون، تعـوزهم الأصالة والإبداع، ونظامهم الاجتماعي طبقي ازدهرت فـي ظله تجارة الرقيق.

ولم يكتف الفكر التربوي الإسـرائيلي بحملـة التشـويه والتحوير في مناهج طلاب (عرب إسـرائيل) وفـي إبـراز

نواحي النقص لدى العرب عبر العصور، وإنما تعدى ذلـك إلى إبراز عظمة اليهود في مختلف ميادين الحياة، والهـدف من ذلك غسل دماغ طلاب عرب إسرائيل لكي يوقنـون أن أمتهم لا قبل لها بالتصدي لإسرائيل أو التنافس معها فـي أي ميدان حضاري.[٤٧]

هوامش الفصل السادس

١- قدري حفني "تجسيد الوهم، دراسة سـيكولوجية للشخصية الإسرائيلية"، الأهرام القاهرة، ١٩٧١، ص٩٩.

٢- عبد الوهاب المسيري، "أسرار العقل الصهيوني" مصدر سابق، ص ١٦.

٣- نفس المصدر السابق، ص ٥٧.

٤- روجيه جارودى، "الأساطير المؤسسة للسياسـة الإسرائيلية"، دار الغد العربي، القاهرة، ١٩٩٦، ص ١٣٣.

٥- نفس المرجع السابق، ص ١٣٤.

٦- Norman G. Finkelstien. "Th Holocaust Industry", New York, ٢٠٠٠, p. ١١٣.

٧- Ibid, P. ١١٨.

٨- Ibid, p. ١٢٣.

٩- توماس برانشتين، "دافيد بن جوريون، ذكريات"، كتب مترجمة، نشر إدارة الوكالة اليهودية، ١٩٥٨ ص ١٢١.
١٠- الأرشيف في إسرائيل، شئون فلسطينية، العـدد ١٢، أغسطس ١٩٧٢، ص ٢٣٦.
١١- رشاد الشامي، "الشخصـية اليهوديـة الإسـرائيلية والروح العدوانية"، مصدر سـابق، ص.ص ١٩١ – ١٩٢.
١٢- نفس المصدر السابق، ص ١٩٣.
١٣- مجلة شئون فلسطينية، عدد ٥٣، بيـروت، مركـز الأبحاث الفلسطينية، ١٩٧٥، ١٧٤.
١٤- علي رءوف، "إطلالـة علـى أدب الكراهيـة فـي إسرائيل"، الهدف، الكويت، كانون الثـاني/ينـاير ١٩٨٩، ص ٤.
١٥- فهمي هويدي، "دفاع عـن الـذاكرة والانتفاضـة"، الأهرام، ١٧ أبريل ٢٠٠١.
١٦- نفس المصدر السابق.

١٧- محمد سليمان مازن، "المرتكـزات النفسـية لتعلـيم الأطفال في إسرائيل"، منظمة التحرير الفلسطينية، دائرة التربية والتعليم العالي، دار الجليـل للنشـر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، ١٩٩١، ص.ص ٦٥-٦٦.
١٨- نفس المصدر السابق، ص ٦٧.
١٩- نفس المصدر السابق، ص ٦٨.
٢٠- الكنيست، "قرار لجنة التعلـيم التابعـة للكنيسـت"، صحيفة هاآرتس في ٢٠/ ١٠/ ٢٠٠٠، مختارات إسرائيلية فبراير، ٢٠٠١.
٢١- يشاياهو ليبوتس، "معاداة السامية"، صحيفة يـديعوت أحرونوت في ٧/ ٦/ ١٩٩٦، مختارات إسرائيلية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، الأهرام يناير، ١٩٩٧.
٢٢- إبراهيم خليل أحمد، "إسـرائيل والتلمـود"، دراسـة تحليلية، مكتبة الوعي العربي، القـاهرة، ١٩٦٧، ص ٥٧.

٢٣- حسن ظاظا، "الشخصية الإسرائيلية" عـالم الفكـر، الكويت، وزارة الإعلام الكويتية، ١٩٨٠، المجلد العاشر، العدد الرابع، ص ٤٥.
٢٤- مـاذا يعـرف صـغارنا عـن الصـراع العربـي الإسـرائيلي، الأخبـار عـدد ١٥٤١، ٧/ ١١/ ٢٠٠٠.
٢٥- عبد الوهاب المسيري، "الأيديولوجيـة الصـهيونية، مرجع سابق، ص ١٧٩.
٢٦- اليونسكو، "مذكرة ممثل منظمة التحرير الفلسـطينية لدى اليونسكو إلى مدير اليونسكو بشـأن ملامـح التربية العنصرية في المدارس الإسرائيلية"، رقـم ١٦، ١٩٩١.
٢٧- نفس المرجع السابق.
٢٨-Ripley, W., "The Races of Europe, a Sociological Study", London, Kegan Paul, ١٨٩٩, p. ٤٠٠
٢٩- عبد الباسط سيد أحمد "الجينوم والدين وجها لوجـه"، مجلة نصف الدنيا ١/ ١٠/ ٢٠٠٠.
٣٠- Tamarin, G, "The Israeli Dilemma", Essays on A Warfare State, Rotterdam

University, Press, ١٩٧٣, p. p, ١٢٧-١٣٥.

٣١- السيد يسين، "تشريح العقل الإسـرائيلي"، مصـدر سابق، ص ٣١.

٣٢- يوري إيفانوف، "الصهيونية حذار"، مصدر سـابق، ص ٧٣.

٣٣- مختارات إسرائيلية، مركـز الدراسـات السياسـية والاستراتيجية، الأهرام، مايو ٢٠٠١.

٣٤- السيد يسين، "تشريح العقـل الإسـرائيلي"، مصـدر سابق، ص.ص ٢١١-٢١٢.

٣٥- بنيامين نيتنياهو، "محاربة الإرهاب"، القدس، ١٩٩٩، ص.ص ٧٧-٧٩.

٣٦- السيد يسين، "الشخصـية العربيـة بـين المفهـوم الإسرائيلي والمفهوم العربي"، مركز الدراسـات السياسـية والاسـتراتيجية، الأهـرام، القـاهرة، ١٩٧٣، ص ١٤٣.

٣٧- معتز سيد عبد ا : "الاتجاهـات التعصـبية"، عـالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٩، ص ١٣٩.

٣٨- محمود علي صميدة "الشخصية العربية الفلسـطينية في القصة القصـيرة"، رسـالة دكتـوراه غيـر منشورة، كلية الآداب جامعة عين شمس، ١٩٨٦، ص ٢٦٣.

٣٩- نفس المصدر السابق، ص ٢٥٥.

٤٠- "تقرير لجنة خبراء دراسة مناهج وكتـب التـاريخ المقررة على الطلاب اليهود في فلسطين المحتلة"، مصدر سابق.

٤١- نفس المصدر السابق.

٤٢- مزاي بوروش، "كتب تدريس العبرية تتعمـد إهانـة الشخصية العربية"، مجلة اللغات الأجنبية، جامعة تل أبيـب، ترجمـة مصـطفى طـايع، ١٩٧٧، ص.ص ٧٧-٧٩.

٤٣- علي رءوف، "إطلالة أدب الكراهية في إسـرائيل"، مصدر سابق، ص ٦.

٤٤- أدير كوهين، "وجه قبيح في المرآة، انعكاس النـزاع العربي اليهودي على الأدب العبـري للأطفـال"، ترجمـة غـازي السـعيد، دار الجليـل للنشـر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، ١٩٨٨.

٤٥- أثر الاحتلال الإسرائيلي على الأوضـاع السياسـية والاقتصادية فـي المنـاطق المحتلـة، الأرض، نوفمبر ١٩٩١، ص ١٦.

٤٦- طلال ناجي، "اتجاهات تعليم العرب في إسـرائيل"، مركز الأبحاث، الخليـل، ١٩٩٣، ص.ص ٥٥-٥٨.

٤٧- نفس المرجع السابق، ص ٦٠.

الفصل السابع
اتجاهات الفكر التربوي الإسرائيلي
ذات البعد العسكري

المجتمع الإسرائيلي في طبيعته مجتمع محارب يعتمـد في وجوده وتأمين كيانه على المؤسسة العسكرية، فلا عجب أن تكون اتجاهات الفكر التربوي في هذا المجتمع ذات أبعاد عسكرية تستهدف بناء دولة قوية وسط المحيط العربي بحيث تتفوق قدرة إسرائيل العسكرية على القدرات العسكرية للدول العربية مجتمعة، ويمكن إبراز أهم اتجاهات الفكر التربـوي الإسرائيلي ذات البعد العسكري والتي يحرص الفكر التربوي في إسرائيل على غرسها في نفوس النشء منذ الصغر كمـا يلي:

أولا: التربية من أجل تحقيق الأمن القومي

تركز الأيديولوجية العسكرية الإسرائيلية على ما يسمى بنظرية الأمن الإسرائيلي، وهذه النظرية هي نتاج الإحساس بفقدان الأمن لدى الإسرائيليين منذ نشأة الدولة وحتـى الآن

رغم تملكها لآلة عسكرية قوية، فالمستوطن اليهودي يلازمه خوف دائم من صاحب الأرض الذي لا يزال حيـا وعلـى مقربة منه في البلدان المجاورة، كمـا أن رفـض المحـيط العربي لهؤلاء الغزاة من شأنه تعميق الافتقاد للأمن لديهم.

ومن أبرز مفاهيم نظرية الأمـن الإسـرائيلية مفهـوم الحدود الآمنة، وهو اصطلاح ابتدعته إسرائيل يتحدث عـن طبيعة الحدود وأنسبها من وجهة نظر إسرائيل التي تفسـرها بأنها الحدود الطبيعية التي يمكن الدفاع عنها بغـض النظـر عن موقع هذه الحدود، وهل هي حـدود شـرعية أم حـدود مغتصبة تخفي خلفها أهداف التوسع الإقليمي، وتغطـي فـي الوقت نفسه الحدود الجيواستراتيجية المطلوب تحقيقها، ومن مفاهيم هذه النظرية توفير عمق استراتيجي كبير يحمي قلب إسرائيل، ومـن المصـطلحات التـي ابتكرتهـا النظريـة الإسرائيلية وتعتبر من الدعامات الأساسية لأمـن إسـرائيل اصطلاح "الذراع الطويلة"، وهو اصطلاح عدواني يقصد به قدرة قواتها الجوية على الوصول إلى الأهداف فـي عمـق الدولة العربية المجاورة بحجة سبقها وردعها من أي عدوان تتصوره إسرائيل ضـدها.[1]... ومـن الواضـح أن كـل

مصطلحات نظرية الأمن الإسرائيلية مستمدة من مفاهيم عسكرية موجهة ضد أصحاب الأرض لإجبارهم على قبول الأمر الواقع والرضوخ للمخططات الصهيونية.

ومن أجل تحقيق نظرية الأمن الإسرائيلية، يسعى الفكر التربوي في إسرائيل إلى غرس الإحساس بافتقاد الأمن داخل الإسرائيليين منذ الصغر من خلال المناهج التعليمية وبرامج أجهزة الإعلام والثقافة التي توهم أبناء الكيان الإسرائيلي بأن ما تريده وتسعى إليه إسرائيل "الصغيرة" هو العيش في أمان وسط الكثرة العربية التي تريد افتراسها وإلقاءها في البحر، والهدف من ذلك هو جعل أبناء الكيان الإسرائيلي دائما في حالة استنفار عسكري.

لقد نجحت إسرائيل بفضل أجهزة الدعاية القوية التي تقوم بتوجيهها في الخارج سواء كانت تربوية أو ثقافية أو إعلامية في كسب عطف الكثير من الدول الأجنبية تجاه نظرية الأمن التي تروج لها، حيث أصبحت هذه الدول تنظر إلى إسرائيل على أنها كيان صغير مهدد بالابتلاع من الشعوب العربية المحيطة بها، وأن من حقها العيش في أمان، وهي نظرة غير منصفة، ذلك أن سياسة إسرائيل تقوم على

التوسع وأن امتدادها في الوقت الحالي قد تعـدى حـدودها المعترف بها دوليا حيث تضم أراضي في الضـفة الغربيـة للأردن، وهضبة الجولان في سوريا، وهو ما يثبـت زيـف نظرية الأمن الإسرائيلية.

إن الحاجة إلى الأمن في النظرية الإسـرائيلية حاجـة نفسية سيكولوجية وليس حاجة سياسية عسكرية، كمـا أنهـا حاجة متخيلة أكثر منها حاجة واقعية حقيقية.

ثانيـا: التربيـة مـن أجـل الاسـتعداد الـدائم للحرب.

فحيال خطر الإبادة الذي تزعمه إسرائيل، وفي مواجهة محيط كبير من العرب، يؤكد الفكر التربوي الإسرائيلي مـن خلال المناهج الدراسية وحصـص التـدريبات العسـكرية والتركيز على مواضيع القتال الواردة في التوراة وخاصة في سفر "يشوع" على تهيئة أبناء الكيان الإسـرائيلي للاسـتعداد الدائم للحرب متخذا في ذلك المبررات الآتية:

- الإيمان بأن المجتمع الإسرائيلي لا يمكنه أن يكـون مجتمعا مدنيا مثل غيره من المجتمعات الأخرى، بـل هـو "مجتمع عسكري" بالمعنى الكامل للكلمة، بل إن الخدمة فـي

المؤسسات المدنية تعتبر خدمة مؤقتة؛ لأن على الفرد أن يبقى تحت تصرف الخدمة العسكرية وطلبها للدفاع عن أمن إسرائيل وبقائها، وبهذا المعنى هناك شعور على أوسع نطاق بين أوساط الإسرائيليين، وهو أن المجتمع الإسرائيلي مجتمع محارب.

- الإيمان بأن صراع إسرائيل مع العرب – كما يرى نيتنياهو – صراع وجود لا صراع حدود، وهو ما يعني إنهاء الوجود الفلسطيني في فلسطين سواء بالطرد أو التهجير أو القتل والإبادة انطلاقا من النظرة الصهيونية التقليدية من أن فلسطين "أرض بلا شعب".

- ممارسة نظرية الضربة الوقائية باستخدام الخيار الأسود لإجهاد أي تطور عسكري أو تنموي ترى فيه تهديدا لمصالحها، وليست عملية ضرب المفاعل النووي العراقي (أوزابك) عام ١٩٨١ إلا بروفة تكشف عن جوهر الفكر العسكري الإسرائيلي الذي يستهدف احتكار الأسلحة النووية في المنطقة.

- إن الدفاع عن أمن إسرائيل وبقائهـا هـو مسـئولية الإسرائيليين دون غيرهم، لذا فإن على إسرائيل ألا تقبـل أي ضمانات أو تعهدات دولية لأمنها.

- إن على إسرائيل أن لا تدخر وسـعا فـي السـعي للاعتماد على النفس في مجال إنتاج الأسلحة والتسـلح؛ لأن تبعيتها للدول الأجنبية وحتى الصديقة والحليفة منها في هـذا المضمار قد تحد من حريـة حركتهـا السياسـية، وتجلـب الضغوط الدوليـة عليهـا وتضـطرها للمسـاومة وتقـديم التنازلات.

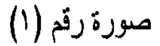
- الإيمان الراسخ بضرورة أن تظـل إسـرائيل قويـة متفوقة؛ لأن غير ذلك يعد المقدمة الطبيعية لتدمير الوجـود المادي والمعنوي لليهود.

الإيمان بأن إسرائيل يجب أن تكون البادئـة فـي كـل هجوم بالضربات الإجهاضية.

- الإيمان بأن العرب قد يتحملون خسارة أكثـر مـن حرب بينما إسرائيل لا يمكنهـا أن تخسـر حربـا واحـدة، ولا يمكنها إلا أن تنتصر في كل حرب وإلا تعرضت لخطر الإبادة.

- التأكيد على وجود اليهود في جو محاصر بالأعداء لكي تؤكد في نفوس أبناء الكيان الإسرائيلي المقولة الصهيونية (لا خيار إلا القتال) وبذلك يتهيئون نفسيا لتقبل فكرة التجنيد الإلزامي.(٢)

وتحرص وسائل الإعلام الإسرائيلية على تهيئة نفوس أبناء الكيان الصهيوني للاستعداد للحرب القادمة، فقد خصصت صحيفة "معاريف" الإسرائيلية مؤخرا صفحة للأطفال تحتوي على رسوم كاريكاتورية، وصورا تستهدف تهيئة نفوسهم للحرب القادمة، ونعرض فيما يلي بعض الصور التي عرضتها هذه الصحيفة بتاريخ ١٧/ ٥/ ١٩٩٨ والتعليقات المكتوبة عليها باللغة العبرية وترجمتها إلى اللغة العربية.



صورة رقم (١)



שלום בטוח

ברית שלום בטוח עם חבריך לשחק, ושמור את הכלים לסיבוב נוסף.

صورة رقم (٢)





מלחמה הגיעה

صورة رقم (٣)



ה שוב שלנו

صورة رقم (٤)

בומבה בדמשק

صورة رقم (٥)

האיראנים חוטפים

صورة رقم (٦)



טורקיה מצטרפת

الصورة الأولى: تمثل يدان متصافحتان وعنوانها: "السلام الآمن" ويقول التعليق عليها "كنا نصنع سلاما آمنا مع العرب ونحتفظ بقوتنا للجولة التالية".

- الصورة الثانية: لجندي وطائرات وميدان قتال والجندي يهال: "أيها الرفاق: استولينا على الأهرامات، والأهرامات في أيدينا الآن".
- الصورة الثالثة: أكثر وقاحة لعجوز عربي مكتوب عليها: "وغزة في أيدينا مرة أخرى، كبار المسئولين في السلطة الفلسطينية يهربون والشيخ ياسين لم يستطع الهرب فتهود".
- الصورة الرابعة: رسم لجنود ودبابات والتعليق يقول: "دخلنا لبنان، صدمة من حزب ا ، لنقفز مباشرة إلى دمشق".
- الصورة الخامسة: لشاكوش يدق وتحته مكتوب: "الإيرانيون لم ينجو، معجزة!! ا يتدخل في المعركة ويدك طهران".

- الصورة السادسة: رسم لحصان يركبه تركـي والتعليق يقول: "الفرسـان الأتـراك يحتلـون العراق – لنقفز خطوتين إلى الأمام".(٣)

وبعد هل يمكن أن يتحقق السلام مـع دولـة تحـرص مؤسساتها التربوية وأجهزتها الإعلامية على تهيئـة نفـوس أبنائها لحرب قادمة.

ثالثـا: التأكيـد علـى العسـكرة والشـوفينية في المناهج الدراسية

من خلال الدراسات والتجارب التي قـام بهـا خبـراء التربية في إسرائيل على النظام التعليمي والمناهج الدراسية، توصلوا إلى نتيجة مفادها أن النظـام التعليمـي والمنـاهج الدراسية الإسرائيلية تحتوي على قيم وطنية شديدة التطرف، تم تصميمها بحيـث تظهـر للطفـل المتلقـي أن الحـرب والمواجهات المسلحة ليست سوى "أمور طبيعيـة" لا يمكـن تجنبها بل هي مفضلة في بعض الأحيان!!.

وقد أكدت "ريلا مازالي" إحدى الباحثات الإسـرائيليات أن النظام التعليمي في إسرائيل يلعب دورا رئيسيا في ديمومة السيطرة العسكرية على المجتمـع المـدني، فبعـد أبحـاث

استغرقت (٤) سنوات بشأن التغلغل العسكري في المنـاهج والنظم التعليمية. توصلت الباحثة إلى عدد من النتائج منها:

- تعرض المدارس لوحات أخبار تحتـوي علـى ملصقات ضخمة ومتعددة جذابة تبـرز مزايـا الوحدات العسكرية المختلفة.
- تكثيف تنظيم رحلات مدرسية وإقامة معسكرات للطلبة يتم خلالهـا زيـارة مواقـع المعـارك العسكرية.
- حصول الطلاب على يوم دراسي أقصر وأكثر راحة بشكل دوري عند الزيـارات الإجباريـة التي يقوم بها فريق من العسكريين الإسرائيليين إلى المدرسة للاندماج مع الطلبة والطالبات في حديث عن الجيش ومستقبلهم العسكري.
- محاولة تقريب الأطفال من الحياة العسكرية من خلال المناهج الدراسية، ففي كتـاب الحسـاب الخاص بالصف الخامس الذي أجازتـه وزارة التعليم توجد أسئلة مثل: "مـن بـين (٦) آلاف مجند طلـب اثنـان مـنهم الالتحـاق بقـوات

المظلات، وطلب ألف منهم الالتحـاق بوحـدة القوات الخاصة (الكوماندوز) فكـم بقـى مـن المجندين؟"[٤]

ولم يكن ما توصلت إليه الباحثة إلا جزء من مجهودات كثيرة تبذل في هذا المضمار داخل إسرائيل، حيث نظمـت أخيـرا الإدارات التعليمية والاجتماعية والأنثروبولوجيـة بالجامعـة العبرية مؤتمرا بعنوان "العسكرة في التعلـيم الإسـرائيلي"، وخلص المشاركون في المؤتمر إلى أن النظام التعليمي فـي إسرائيل هو نظام تمت عسكرته وغير نـاجح فـي مجـال الارتقاء بالقيم الديمقراطية والمدنية أو تعليم السلام.[٥]

وللتدليل على صدق تلك النتيجة التي خلصت إليها صفوة العقول المفكرة في إسرائيل، أشار الخبراء إلى أن احتفـالات إسرائيل بـاليوم الـوطني لا تشـمل احتفـالات بالمسـاواة أو بالديمقراطية أو بالتضامن، فالجميع يحتفلون بالعسـكرية والجيش، حيث تفتح القواعد العسكرية أبوابها للجمهور الذي يكون أغلبه من الأطفال الذين يعتقدون أن الدبابات والمـدافع ما هي إلا وسائل للتسلية مماثلة لتلك التي يستخدمونها فـي الحدائق العامة.[٦]

وقد أعربت الباحثة "مازالي" عن عدم ارتياحها لبرنـامج إعادة تأهيل القادة العسكريين للتدريس في المدارس المدنيـة فور حصولهم على الاستغناء من الجيش؟[٧]

وقد انتقد عدد من خبراء التربية الإسـرائيليين الرسـائل التي توصلها الاحتفالات في إسرائيل والتي يدور أغلبها حول الحرب والصراع، فهناك احتفال يتعلم فيه الأطفال الكثير عن انتصارات المكـابيين علـى الإغريـق، وآخـر للاحتفـال بالانتصار على الفرس، وثالث للانتصار علـى المصـريين ورابع للانتصار على الرومان، وقد علقت "لياه شكيدال" من إدارة التعليم بجامعة "بن جوريون" على ذلـك بقولهـا: "إن تكون يهوديا لا يعني بالقطع أن تكون عسكريا، فاليهودية قد أُفسدت لإعلاء العسكرية وثقافة الحرب والصراع العنيف من أجل أرض إسرائيل الكبرى، إلا أن تلك الأشياء ليست جوهر رسالة اليهودية".

وأكد "يهوديا عامير" المحاضـر بالجامعـة العبريـة أن السؤال يكمن في الرسالة التي يريد الإسرائيليون الحصـول عليها من المصادر "فهل يتم التركيز على أنشودة "ديبـورا"

التي تمجد الحرب وإراقة الدماء، أم يكـون التركيـز علـى رسائل العدل والسلام الموجودة في التوراة؟"[٨]

وتقول "تامير آل عور" أستاذة الأنثروبولوجيا بالجامعـة العبرية "لو كان المجتمع الإسرائيلي قد تعلم التفكير السـلمي الخلاق بدلا من التفكير العسكري لكنا قد تمكنا مـن تجنـب الموقف الراهن "الانتفاضة"، فلو كنا قد تعلمنا تقليص ثقتنـا بالقوة وقللنا من حجم الموارد الموجهة للجيش، وأكثرنا مـن تلك الموجهة للقضايا الاقتصادية والاجتماعية التي يواجههـا الفلسطينيون والإسرائيليون، لكان بإمكاننا أن نوجد السلام".[٩]

إن المدارس تحتوي على عدد من التلاميذ يقدر بخمـس سكان إسرائيل تقريبا، وهو ما يعني أن عدم التخفيـف مـن النزعة العسكرية في محتوى التعليم بإسرائيل يـؤدي إلـى استمرار العقلية السلبية الإسـرائيلية فـي منطقـة الشـرق الأوسط، تلك العقلية التي تتخذ القرارات بالتوسع في إقامـة المستعمرات وتطبيق العقوبات الجماعية ضد العرب، وإنزال العقاب بالمـدنيين، وتقنـين عمليـات التصـفية الجسـدية والاختطاف لأغراض سياسية، واستبدال مسميات الأعمـال

والتوجهات المتدنية بأخرى أكثر تحضرا دون الالتفات إلى الجوهر.

إن وجود تضارب هائل بين القول والفعل لدى المسئولين الإسرائيليين يزيد من شعور الفلسطينيين والشعوب المحيطة بإسرائيل بالإحباط (الذي يستفحل ليتحول في بعض الأحيان إلى هجمات فدائية).. إن السلام الحقيقي القائم على أسس منطقية يستلزم وجود الشعب الذي تتوافر لدى أفراده الرغبة الحقيقية في التعايش السلمي بمفهومه الحقيقي مع الشعوب المحيطة ونبذ العنف والتوسع والعدوان.

إن إصلاح المناهج الدراسية في إسرائيل لتتجه نحو السلام أمر يطالب به الإسرائيليون قبل العرب، وهو أمر يمكن مناقشته بتحضر، وهدوء في ظل انعكاس محتوى النظم التعليمية لدى الدول على التوجهات المستقبلية لشعوبها، فمن المؤكد أنه ودون أي تغيير إيجابي في نظام التعليم الإسرائيلي الحالي، لن يتوافر العدد الكافي من الإسرائيليين القادرين على قبول أغصان الزيتون.

رابعـــا: اعتبـــار الخدمـــة في جـــيش الـــدفاع الإسرائيلي واجب مقدس

تعتبر الخدمة العسكرية في جيش الدفاع الإسرائيلي بمثابة واجب مقدس يؤكد عليه الفكر التربوي في إسرائيل من خلال برامج ومناهج التعليم، ومن خلال أجهزة الثقافـة والإعـلام والأحزاب، وهذا عائد بالدرجة الأولى إلى قناعة راسخة بأن بقاء أمن إسرائيل واستمراره وتفوقها في محيط من العـداء العربي يمثل مسألة حياة أو موت بالنسبة لها، ومن المعروف أن إسرائيل كدولة قامت على أكتاف المحاربين الاستيطانيين ممن ينتمون إلى عدد من المنظمات الإرهابيـة الصـهيونية (الهاجاناه) التي شكلت نواة الجيش الإسرائيلي و "البالمـاخ" (الجناح الانتحاري للهاجاناه) و "شتيرن" و"زفـى ليئـومي"، وهي المنظمات التي قامت بحملات تجنيـد إجباريـة بـين الشباب اليهود المسرحين من الخدمة في الجيوش الأوربيـة بعد الحرب العالمية الثانية، وقامت بإرسال عشـرات الآلاف منهم إلى فلسطين للاستيطان وللقتال ضـد العـرب، وبعـد إعلان قيام دولة إسرائيل، أصدر (دافيد بن جوريـون) أول رئيس لوزراء إسرائيل أمرا دفاعيا بحل جميع هذه التنظيمات

الإرهابية الصهيونية ودمجها في إطار جيش الدفاع الإسرائيلي.[١٠]

والخدمة العسكرية إلزامية في إسرائيل، وهي تشمل الشباب من الجنسين الذكور والإناث ممن بلغوا الثامنة عشر، ومدتها ست وثلاثون شهرا للذكور وعشرون شهرا للإناث، ولا يحق للشباب متابعة دراستهم الجامعية أو العليا إلا بعد أن ينهوا مدة سنتين من الخدمة العسكرية الإلزامية، ولا يعفى منها إلا طلاب أكاديميات التلمود والفتيات المتدينات، ويبدو أن هناك اتجاها متزايدا لإزالة هذا الاستثناء، وبعد انتهاء الخدمة يصبح الفرد عضوا في الاحتياطي العسكري، فيجري استدعاؤه في أحوال الطوارئ كلما لزم الأمر، أما في الأحوال العادية فيجري استعداؤه يوما كل شهر، وثلاثة أيام كل ثلاثة أشهر، وشهرا في السنة، ولذا نجد أن إسرائيل هي دولة تأخذ معظم الأنشطة فيها صفة مدنية عسكرية، وحيث إن معظم جيشها من قوات الاحتياط، يصبح من الصعب التمييز بين المدنيين والعسكريين.[١١]

ولا تقتصر الخدمة العسكرية على مجرد التدريبات العسكرية، بل وتشمل كذلك على برامج تدريب ثقافية تتضمن

تعليم اللغة العبرية حتى الإتقان، التوراة والتاريخ الإسرائيلي القديم والحديث والتاريخ العام وجغرافية إسرائيل والجغرافيا العامة والحساب.. ويسمح لعدد من الجنود كل عام بالالتحاق بالجامعات لإجراء دراسات تخصصية فنية، ويطلق على من يتخرج منهم بنجاح اسم "الاحتياطي الأكاديمي".(١٢)

وقد تحدث "بن جوريون" عن المهام التربويـة للجـيش قائلا: "لم تكن حماية الدولة هي المهمة الوحيدة للجيش، بـل كان عليه أن يكون مركز تعليم وريادة للشباب الإسـرائيلي، وأن يخلق من القبائل المبعثرة في إسرائيل جيلا واحدا يحقق المهام التاريخية لدولة إسرائيل من خلال تحقيق الذات، إنـه المدرسة التي يتعلم فيها المهـاجر كيـف يكـون مواطنـا، والمسألة هنا لا تتعلق بعملية التلقين العقائدي فحسـب، بـل تتعداها إلى محو الأمية وتعلـيم المهـن، وإعـداد الكـوادر الإدارية لمختلف المؤسسات".(١٣)

ويقوم جيش الدفاع الإسرائيلي بدور رائد في نشر التعليم المهني أو ما يعرف "بتمهين الدولة"، ذلك أن النظام التعليمي يخضع في النهاية لسيطرة جيش الدفاع الإسـرائيلي الـذي يلعب دورا رئيسيا في تحديد نفقات التعليم وخاصة المهنـي

والتكنولوجي، واحتياجات الدولة الاقتصـادية والاجتماعيـة والثقافية، كذلك احتياجاتها مـن الأيـدي العاملـة المدربـة والتخصصات المختلفة.. ويشجع الجيش الإسرائيلي ويؤازر على الدوام المدارس المهنية؛ لأن نجاح التعلـيم بالمـدارس المهنية من شأنه خلق عمالة احتياطية تكون في الوقت نفسـه على استعداد للالتحاق بالخدمة العسكرية.

لقد وضعت نظرية الأمن الإسرائيلي الجيش دائما وأبـدا في مركز القلب في الدولة، فهو يمثـل المدرسـة والحقـل والمصنع والعلم والثقافة، وله دور كبير يتمثل فـي التجنيـد العسكري، والتعليم والدمج الاجتماعي، وفي صـنع القـرار السياسي، وتبلغ نسبة الإنفاق العسكري من النـاتج القـومي الإجمالي ١٣% وهي من أعلى النسب في العالم.(١٤)

وقد استطاعت إسرائيل أن تسخر قاعدتها العلمية لخدمـة الجيش في مجالات عديدة منها: إنتاج القنبلة النووية، ومـن المعروف أن إسرائيل تملك قوة ردع نووية يقدرها الخبـراء بـ (٢٠٠) رأسا نوويا أنتجها مفاعل ديمونة بمساعدة فرنسية في البداية، ثم مفاعلات أخرى بمساعدة أمريكيـة، وتمتلـك إسرائيل أنظمة مواصلات آلية متقدمة ذات أهميـة مناسـبة

للحرب الليلية، فضلا عن تمتعها بقدرة على استعمال وسائل الحرب الكيماوية والتكنولوجية واستعمال الأشـعة الضـوئية المركزة في اكتشاف الأهـداف وتحديـد مـداها، وتطـوير الصناعات العسكرية والعمل على الوصول نحـو الاكتفـاء الذاتي.[١٥]

وإلى جانب الجيش توجد بعض المنظمات التي تستهدف بعث الروح العسكرية في الشباب كمنظمة "الجدناع" ومعناها كتائب الشباب والأحداث، وهي منظمة شبه عسكرية أنشأتها "الهاجاناه" قبل عام ١٩٤٨ لتساعدها فـي القيـام بالأعمـال المدنية وشبه العسكرية وبعض عمليات القتال، ثم أصـبحت منظمة شبه رسمية مرتبطة برئاسة الأركان منذ عام ١٩٥٤.

وللجدناع صلة بالمؤسسات المدنية كوزارة التعليم والثقافة ووزارة الزراعة، ومن مهامها تدريب الشباب والفتيات داخل المؤسسات التعليمية عسكريا وعقائديا قبـل وصـولهم سـن الخدمة الإلزامية، وتوعيتهم بالقضايا المرتبطة بأمن إسرائيل ودعم صفات القيادة والتثقيف بالعمل الجمـاعي، ومسـاعدة الشباب على اختيار السلاح الملائم قبل الدخول فـي سـلك الخدمة العسكرية، وفي حالات الطوارئ يساعد أفرادها فـي

أعمال الحراسة وتوزيع أوامر التعبئـة ومكافحـة الحرائـق والعمل التطوعي في التشكيلات وفرز الرسائل في مكاتـب البريد، كما تستهدف منظمة "الجدناع" صهر الشباب في بوتقة واحدة واختيار النخبة منهم كضباط في الجيش.

ويعتبر الاشتراك في برنامج الجدناع إجباريـا بالنسـبة لطلاب المرحلة الثانوية من سن (١٤-١٨) واختياريا لمـن هم دون السن، وتشكل برامجها جزءا من المنهج الدراسـي، وهناك وحدة جدناع في كل مدرسة تشرف على هذا البرنامج الذي يتضمن التمارين الجسـدية والمخيمـات والـرحلات والتـدريب علـى الإسـعافات الأوليـة والتـدريب شـبه العسكري.[١٦]

إن السلام لن يؤدي أبدا إلى اضـمحلال دور المؤسسـة العسكرية في إسرائيل، فعملية تطوير القوة العسـكرية فـي عصر السلام لن تتوقف، حيث تهتم إسرائيل بتعزيـز القـوة المستقبلية للجيش الإسرائيلي حتى تواكب النظريات العسكرية في القرن المقبل وذلك من خلال مشروع عسـكري طويـل الأجل الهدف منه تطور الجيش الإسرائيلي في كل أسـلحته برا وبحرا وجوا، وتطوير عقلية الجنود الحربية، والاهتمـام

بزيادة الصفقات العسكرية خلال الفترة القادمة لشراء الأسلحة والطائرات والمدرعات الحديثة، والاعتماد علـى منظومـة أقمار صناعية تجسسية واتصـالاتية جميعهـا مـن طـراز "الأوفيك" ستمدهم بالمعلومات الاستخبارية والصور الدقيقـة عن الدول المحيطة بهم، وهذا المشروع أطلق عليه اسم جنة (٢٠١٠) واسم الجنة نابع من تصور يعتقدون به أن الجـيش الإسرائيلي سيكون في أزهى حالاته.[١٧]

هوامش الفصل السابع

١- طه المجدوب، "إسرائيل والمشروع الاستراتيجي الجديد للأمن والدفاع"، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، يناير ٢٠٠٠، ص ١٦.

٢- للمزيد من التفاصيل في هذا الصدد، أنظر:

- المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ومركـز العـالم الثالث للدراسات والنشر، "إسرائيل – العقيدة العسـكرية وشئون التسلح"، بيروت، المؤسسـة، لنـدن، المركـز، ١٩٨٢، ص.ص ٨٣-٩٦.

- عمر الخطيب، "أثر المؤسسات السياسية فـي تربيـة الفرد في الكيان الإسـرائيلي"، فـي "الأبعـاد التربويـة للصراع العربي الإسرائيلي"، مركز دراسـات الوحـدة العربية، جامعة الكويت، ١٩٨٦، ص.ص ٤٣٩-٤٤٣.

٣- صحيفة معاريف الإسرائيلية بتاريخ ١٧/ ٥/ ١٩٩٨.

٤- ريلا مازالي، "التغلغل العسكري في المناهج والنظم التعليمية في المدارس الإسـرائيلية"، مركـز الأبحـاث،

وزارة التعليم والثقافة، القدس، ٢٠٠٠ (بالعبريـة)، ص ٣٧.

٥- "مؤتمر العسكرة في التعليم الإسـرائيلي – النتـائج والتوصيات"، مؤتمر قامت بتنظيمه الإدارات التعليميـة والاجتماعية والأنثروبولوجية في الجامعة العبريـة فـي القدس في الأسبوع الأخير من يناير ٢٠٠١، (بالعبرية).

٦- نفس المصدر السابق.

٧- ريلا مازالى، مصدر سابق، ص ٣٩.

٨- طارق الشيخ، "التعليم في مدارس إسرائيل – عسكرة وشوفينية"، مركز الدراسات السياسـية والاسـتراتيجية بالأهرام، يوليو ٢٠٠١، ص ٧.

٩- نفس المصدر السابق، ص ٧.

١٠- "المذهب العسكري الإسـرائيلي"، سلسـلة كتـب فلسطينية (١٩) بيروت، مركـز الأبحـاث الفلسـطينية، ١٩٨٢، ص ٧٢.

١١- هيثم العسكري، "دراسة في العسكرية الإسرائيلية"، القاهرة، مطبوعات، معهد البحوث والدراسات العربيـة، ١٩٨٧، ص ١٣٤.

١٢- نفس المصدر السابق، ص ١٣٥.

١٣- عاموس بيرلموتر، "العسكريون والسياسـية فـي إسرائيل"، ترجمة مؤسسة الأرض والدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٥، ص٨٣.

١٤- إسلام كمال، "إسرائيل ونظرية الأمـن القـومي"، مركز الدراسات السياسـية والاسـتراتيجية، الأهـرام، ١٩٩٧، ص ٩٥.

١٥- أمين هويدي، "الأمن الإسـرائيلي بـين التطـور التكنولوجي والجمود السياسي"، الأهـرام، بتـاريخ ١٦ يونيو ١٩٩٨.

١٦- هيثم الكيلاني، مصدر سابق، ص ١٣٥.

١٧- إسلام كمال، مصدر سابق، ص ٩٦.

الفصل الثامن

اتجاهات الفكر التربوي الإسرائيلي ذات البعد العلمي والتكنولوجي

إذا كان العلم يمثل القواعد والنظريات التي تفسر ظواهر الطبيعة، فإن التكنولوجيا هي تطبيق منهجي لنظريات العلم وقوانينه من أجل الحصول على منتجات وأجهزة.. والبحث العلمي يتيح تحقيق تقدم مستمر وتطور متزايد للتكنولوجيا، أما التكنولوجيا من جانبها فتضع أمام العلم تحديات جديدة من حين لآخر وتحفز على إيجاد حلول في مجالات لم تجر عليها أبحاث كافية.

أدركت إسرائيل وهي دولة صغيرة المساحة، قليلة العدد، فقيرة في الإمكانيات الطبيعية أن استثمار الطاقة البشرية وجودة إعدادها عن طريق أساليب التربية الفعالة هو ضمان تقدمها العلمي والتكنولوجي.

لقد آمن اليهود قبل تأسيس إسرائيل بقيمة العلم في بناء دولتهم وتحقيق أهدافهم.. فمنذ عام ١٨٨٢ نشر "هيرمان

شابيرا" أستاذ الرياضيات بجامعة "هايـدلبرج" الألمانيـة مقالا حول ضرورة إقامة مركز تعليمي كبير في وسـط المستعمرات التي تم إنشاؤها في ذلـك العـام – داخـل فلسطين – تشع منه المعرفة والحكمة لتعم جميـع بنـي إسرائيل.(١)

وأكد "تيودور هرتزل" أثناء المؤتمر الصهيوني الأول في عام ١٨٩٨ بأن "هذا البلد – يعني إسرائيل – لابـد وأن يكون مركزا روحيا وعلميا إضافة لكونه مركزا بشريا".

ومنذ عام ١٩٠١ كلفـت الحركـة الصـهيونية "حـاييم وايزمان" بوضع المخططات والدراسات الكفيلة بتحقيـق هذه الأفكار.

كما طرح "د. باؤول ناثان" ١٩٠٣ وهـو مـن زعمـاء حركة "عزرا" فكرة المساعدة في إقامة مؤسسة تعليميـة تقنية في أرض فلسطين.(٢)

وقد لا يدرك كثير من العرب أن "وعـد بلفـور" الـذي أصدرته بريطانيا العظمى في نـوفمبر/ تشـرين ١٩١٧ ووعدت فيه الحركة الصهيونية بوطن قومي في فلسطين، كان حقيقة مقابل حصول بريطانيا على اكتشاف علمـي

يتضمن الكشف عـن أسـرار مـادة (الأسـيتون) ذات الاستخدامات العديدة في صناعة المفرقعات قام به عـالم يهودي هو "حاييم وايزمان" الذي أصبح بعد ذلك بثلاثين عاما رئيس للدولة اليهودية.

والإشارة إلى قصة (الأسيتون) في مقابل وعد بلفور هي للتدليل على المكانة الاستراتيجية الهامة التي أولاها الفكر الصهيوني للعلم والتكنولوجيا.[٣]

ومن المؤسسات العلمية التي قام اليهود بإنشـائها قبـل إعلان دولتهم عام ١٩٤٨، إقامة أول مركـز للبحـوث الزراعية التجريبية في فلسطين ١٩٠٠، ثم تأسيس المعهد الزراعي الجامعي القومي ١٩٢٠، وأعقب ذلـك إنشـاء محطة البحوث الزراعية في تل أبيب ١٩٢١، والجمعية العلمية السياسية الإسرائيلية في نفس العام.

وتم افتتاح معهد "التخنيون" وهـو المعهـد التكنولـوجي العالي الإسرائيلي في حيفا ١٩٢٤ وفي نفس العـام تـم افتتاح معهد الصحة العبري والمعهد الميكروبيولـوجي، وافتتحت الجامعة العبرية رسـميا ١٩٢٥، وتـم إنشـاء مركز "هداسا" الطبي عام ١٩٢٦.

وفي عام ١٩٣٤، تم تأسيس معهد "وايزمان" في "رحبوت"، كما شارك رجال العلم من المهندسين والكيماويين والفيزيائيين والزراعيين في قيادة حركة "الهاجاناه"• في الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين.

لقد أسهم النشاط العلمي لليهود في فلسطين بدرجة فعالة في وضع أساس دولتهم قبل إعلانها، بإعلان دولة إسرائيل ١٩٤٨، تأسست أول قاعدة علمية مركزية في مزرعة "فاجنر" العلمية بالقرب من تل أبيب تحت إشراف البروفيسور "أراتنر" والتي لعبت دورا هاما في حرب ١٩٤٨، وصاحب ذلك إنشاء المعهد الجيولوجي في نفس العام.(٥)

وأعطى "دافيد بن جوريون" أول رئيس لحكومة إسرائيل أهمية قصوى لموضوع البحث العلمي والتطوير

• الهاجاناه مصطلح يطلق على قوات الدفاع السرية للمجتمع اليهودي في فلسطين خلال فترة الانتداب البريطاني، وكانت تعمل تحت إشراف اللجنة التنفيذية الصهيونية بغرض توفير ما يشبه الحماية البوليسية للمستعمرات اليهودية المختلفة.

التكنولوجي، وترأس بنفسه المجلس العلمي الذي أقيم عام ١٩٤٩ لرسم السياسة العلمية في البلاد.

وتم تأسيس معمل الفيزياء الوطني عام ١٩٥٠، وأعقـب ذلك إنشاء هيئة الطاقة النووية ١٩٥٢، ثم تصـميم أول حاسب إلكتروني في معهد "وايزمان" ١٩٥٥، وفي نفس العام تم افتتاح جامعة "بار ايلان"، وهي تجمع بين العلوم الدينية والعلوم الليبرالية الحديثة، ثم افتتحت جامعة تـل أبيب ١٩٥٦، وأعقب ذلك تأسيس "معهد النقب لبحـوث المناطق الصحراوية" عام ١٩٥٨، ثم أكاديميـة العلـوم الوطنية ١٩٦١، وجامعة "حيفا" ١٩٦٣، وجامعـة "بـن جوريون" ١٩٦٧ في بير سـبع، ومركـزي الأبحـاث الصناعية وأبحاث البحار والبحيرات ١٩٧٠.[٦]

وفي عام ١٩٧٤ تم تأسيس اللجنة الوزارة العليا للعلـوم والتكنولوجيا التي كانت تعتبر أعلى سلطة علميـة فـي الدولة تقوم بتخطيط السياسات والاستراتيجيات العلميـة وتتولى الإشراف على تنفيذها.

وفي عام ١٩٧٧ استحدثت وزارة الطاقة لإعداد الكوادر البشرية في هذا المجال، فشكل ذلك دفعة قوية في أبحاث الطاقة في إسرائيل.

وشهد عام ١٩٨٢ تحول اللجنة الوزارية العليا للعلـوم والتكنولوجيا إلى وزارة للعلوم والتكنولوجيا، حيـث تـولى تأسيسها الفيزيائي (يوفال نيومان) الذي يعتبر القوة المحركة لبرامج بحوث الفضاء الإسرائيلية، وهو الذي وضع اللبنـات الأولى لخلق وكالة الفضاء الإسرائيلية.

وتخـــتص وزارة العلـــوم والتكنولوجيـــا بوضـــع الاستراتيجات والسياسات العلمية والتكنولوجية للدولـة مـع إعطاء الأولوية للبحوث المرتبطة بتقدم الوطن.... وتمارس هذه الوزارة عملها من خلال عدة لجان مثل لجنة التخطـيط القومي طويل المدى لاستيعاب العلماء المهاجرين، واللجنـة القومية للتكنولوجيا الحيوية، واللجنة العليا لتطوير البحـوث العلمية والتكنولوجية، ولجنة منتدى العلماء وقسـم بحـوث المنح.(٨)

ويرتبط التنظيم القومي لقطاع العلم والتكنولوجيا بأعلى مستويات السلطة التنفيذية في الدولـة ممثلـة فـي مجلـس

الوزراء، كما يتوافر التكامل والتنسـيق والمتابعـة وتحديـد السياسـات والأولويـات المطلوبـة مـن البحـث العلمـي والتكنولوجي على مستوى الوزراء.. ويوجد منصب كبيـر العلماء في كل الوزارات تقريبا فيما عدا وزارتي الاستيعاب الخاصة بالمهاجرين والخارجية، وشاغل هذا المنصب يتولى صوغ السياسات وتحديد الأولويات وتوفير الدعم والتـدريب اللازمين لجهود البحث والتطوير بكل وزارة، ويضم كبـار العلماء في الوزارات المختلفة منتدى خاص بهم يرأسه وزير العلوم، وتكون البحوث النووية البيولوجيـة تابعـة لـرئيس الوزراء مباشرة بسبب وضعها الدقيق والمتميز.(٩)

وتتمتع إسرائيل بعضوية منظمات دولية عديدة، منهـا منظمة البيولوجيا الجزيئية الأوربية، ومختبرات البيولوجيـا الجزيئية الأوربية، ومركـز البحـوث النوويـة الأوربيـة، ومنظمة التربية والعلوم والثقافة، ومعهد الهندسـة الوراثيـة الدولي، ومنظمة التنمية والتعـاون الاقتصـادي، والاتحـاد الأوربي لبرامج البحث والتطوير التكنولـوجي، والمجلـس الدولي للاتحادات العلمية.(١٠)

ويحتل العلماء دائما أرفع المراكز في الحركة الصهيونية، ويحظى القرار العلمي بنفس الأهمية التي يحظى بها القرار السياسي في توجيه سياسة الدولة وبناء استراتيجيتها، وعلى سبيل المثال لعب العلماء دورا حاسما في إقرار وإعداد البرنامج النووي الإسرائيلي وبرنامج الفضاء والصواريخ.(١١)

لقد أحرزت إسرائيل تقدما كبيرا في مجال البحث العلمي التكنولوجي وما كان ليتحقق ذلك إلا بفضل تأكيد السياسات والاستراتيجيات التربوية والعلمية في إسرائيل على الأخذ بالاتجاهات الآتية:

أولا: بناء قاعدة علمية فعالة

أدركت إسرائيل أن مقتضيات التحدي الحضاري وتأمين وجود الكيان الإسرائيلي داخل الوطن العربي، يتطلب بناء قاعدة علمية قادرة على الارتقاء بالبحث العلمي وتوظيف وتطوير التكنولوجيا لصالح دولة إسرائيل.

وقد أمكن بناء هذه القاعدة العلمية بفضل تطبيق السياسات والاستراتيجيات التربوية والعلمية والتي تتمثل فيما يلي: -

١- تأسيس نظام تعليمي متطور، يؤمن بأن قـوة الأمم في القرن الحادي والعشرين لن تحسـب بعدد السـكان أو مسـاحة الأرض أو حجـم الجيش أو كمية الأرصـدة الماليـة، ولكنهـا تحسب أساسا بالقدرات العلمية والتكنولوجية، وأن هذه القدرات لا تنمو إلا من خلال نظـام تعليمي صريح يؤكد على الاهتمام بتـدريس العلوم والرياضيات والتكنولوجيا، وفي ذلـك يقول "ماير بار إيلان": إذا أردنـا أن نصـبح دولة عصرية، يجب علينا ألا نسمح بان يمسخ تعليمنا لينحصر في تدريس الدراسات الدينيـة والقومية الخاصة معا، لأنه في مثل هذه الحالة إذا كنا في حاجة إلى أطباء ومهندسين فسوف نستوردهم من بلاد أخرى أو نرسل أبناءنا إلى الخارج ليدرسوا".(١٢)

ويحظى تعليم التكنولوجيا بفروعها المختلفـة باهتمـام كبير في إسرائيل، ويتحقق ذلك وفق برنامج نـاجح يعـرف باسم "تمدا ١٩٩٨" وفيه يتم التركيز على تعليم الرياضـيات

والعلوم ومختلف فروع التكنولوجيا فـي جميـع المراحـل التعليمية وسواء في المدارس الدينية أو العلمانيـة، وتعتبـر مواد أساسية في جميع المراحل، كمـا أنهـا مـن المـواد الإجبارية في امتحان (البجروت) (نهاية المرحلة الثانويـة)، وتقديرا لقيمة هذه المواد يمنح لمن يتخصص في هذه المواد في الدراسة الجامعية بتأجيل الخدمة العسكرية.(١٣)

٢- تأسيس المدارس العلميـة للموهـوبين فـي إسرائيل والتي يتم الدراسة فيها على أسـاس الانتقاء من طلبـة المـدارس الثانويـة ذوي الميول البحثية والتفوق العلمي، ويلتحق بهـذه المدرسة سنويا نحو (١٥%) من الفئة العمرية من (١٥ إلى أقـل مـن ١٨ سـنة)، ونحـو (١٠%) من الشباب في سن (١٨ سنة).(١٤)

٣- تأسيس عدد مـن المراكـز التقنيـة الفائقـة لاستيعاب العلماء الأكفاء داخل إسرائيل ومن شتى أنحاء العـام، وخاصـة فـي مجـالات التكنولوجيا الحيوية وتكنولوجيا الاتصـالات والالكترونيات الدقيقة.

٤- تبني استراتيجية "اللحـاق" المرتكـزة علـى تطبيق التكنولوجيا الأجنبية المستوردة جنبـا إلى جنب مع استراتيجية الاقتحام التي ترتكز على الإنتاج الوطني عالي الكفاءة والنوعيـة والذي يقتحم الأسواق العالمية.

٥- الاستفادة من العلماء اليهود المقيمين في العالم الغربي وتسخير جهودهم لصـالح إسـرائيل وتنميتها العلمية والتكنولوجية.

٦- الاهتمام بعلوم إدارة البحث العلمي والتدريب عليها، وتنمية الوسائل التي تحقـق التنسـيق والتكامل بين البحوث الجارية فـي الجهـات البحثية المتعددة، وتأكيد أسلوب الفريق البحثي المتكامل، وإذكاء التنافس بين الفرق البحثيـة المختلفة وبين أفراد الفريق الواحد.

٧- تحقيق الحياة المادية المناسبة للباحثين العلميين ضمانا لاستقرارهم النفسي والذهني، وتقـوم إسرائيل في هذا المجال بتوفير التفرغ الكامل

للباحثين العلميين المتخصصين في البحـوث المتعمقة والدقيقة.[١٥]

٨- زيادة الإنفاق على التعليم والبحـث العلمـي، فكل زيادة في الإنفاق في هذا المجـال لهـا مردود بشري يتميز بالجودة والكفاءة، فقد بلغ الإنفاق على التعليم من الناتج القومي الإجمالي في إسرائيل ٦,٦% في عام ١٩٩٩، في حين بلغ في العام نفسه فـي الولايـات المتحـدة الأمريكية ٥,٣%، ٣,٨% في اليابان، ٣,٧% في كوريا، ٢,٨% في الصين.[١٦]

ويبلغ متوسط الإنفاق على الطالب فـي إسـرائيل نحـو (٣٥٠٠) دولار سنويا.. وتهتم إسرائيل اهتماما كبيرا بتمويل البحث العلمي، فبينما تنفق الأقطار العربيـة علـى البحـث العلمي والتكنولوجي ما يعادل (٠,٢%) من إنتاجها الإجمالي (أي سبع المتوسط العالمي الذي يفترض أن يعادل (١,٤%) ففي المقابل يرتفع المؤشر في إسرائيل عن المتوسط العالمي فيصل إلى (٢,٣%) أي أكثر من العرب (١١) ضعفا.[١٧]

ويلعب التمويل الخارجي دورا هاما في دعم أنشطة البحث العلمي والتطوير فـي إسـرائيل، حيـث أن (٤٠%) مـن ميزانيات البحث العلمي تأتي من مصادر خارجيـة وعلـى رأسها الولايات المتحدة، تليها ألمانيا من خـلال مؤسسـات لتمويل الأنشطة العلمية ذات الاهتمام المشترك[١٨]، كما تعتمد إسرائيل كذلك على نظام (الحلوكا)، أي الصدقات التي كـان يتلقاها يهود فلسطين من يهود العالم فيما عرف (بالييشـوف القديم) أي "الاستيطان اليهودي في فلسطين" وهو النظام الذي كان سائدا آنذاك، ولا زالت إسرائيل تتلقى الصـدقات علـى أساسه حتى يومنا هذا.[١٩]

٩- عدم السماح لأي باحث مهاجر إلى إسـرائيل بالعمل في البحث العلمي إلا إذا كان حاصـلا على درجة الدكتوراه مما أسهم فـي انتعـاش البحث العلمي.

١٠- توفير المناخ الصحي اللازم للمناقشات حـول أســس وركــائز الاســتراتيجية العلميــة والتكنولوجية، فلا يمكـن النهـوض بـالعلم والتكنولوجيا دون حوار حقيقي.

١١- إنشاء مراكز قومية تكون مهمتها ترجمة كل ما تتكشف عنه المناقشات العلمية وتقارير البحوث والتطوير والمراجع والكتب والدوريات العلمية في جميع أنحاء العالم.

١٢- البحث الدائم عن دم جديد يساير العصر المتحضر والتطورات الحديثة في مجال البحث العلمي التكنولوجي وذلك من خلال الدعاية العلمية خارج الدولة لدعوة العلماء اليهود للهجرة إلى إسرائيل.(٢٠)

١٣- التعاون الوثيق بين مراكز البحث العلمي والتكنولوجي وبين رجال الأعمال ومؤسسات الإنتاج الصناعية والزراعية، حيث يسهم رجال الأعمال وتلك المؤسسات في تمويل بحوث مراكز البحث العلمي والاستفادة منها.

١٤- الاستفادة من هجرة العقول السوفيتية إلى إسرائيل خلال فترة التسعينات، فالذين هاجروا إليها من الاتحاد السوفيتي (سابقا) منذ عام ١٩٨٩، وحتى عام ١٩٩٧، بلغ عددهم حوالي

(٧٠٠,٠٠٠) مهاجر، وتشير التقديرات إلـى أنه من بين كل مائة ألف مهاجر سوفيتي وجد نحو (١١) ألف مهنـدس، (٢٥٠٠) طبيـب، (١٧٠٠) عالم في مجال الأسلحة الكيماويـة والبيولوجية والليزر والمعـدات الألكترونيـة والدفاع المضاد للصواريخ البوليستيكية، ونحو (٧٠) عالما في المجال النووي.[٢١]

وما أن تطأ أقدام تلك النخبة العلمية أرض الميعاد، حتى تتولاهم هيئات متخصصة لإكسابهم المهـارات والخبـرات اللازمة لاستثمار جهود البحوث والتطوير بما يتفق مع نمـط الاقتصاد الحر الذي لم يعتادوا عليه فـي ظـل المركزيـة السوفيتية، ويتم ذلك من خلال مجموعة من ساحات الأعمال أو الحضانات Bussiness Incubators[٢٢]

لقد أصبحت إسرائيل في الوقت الحالي تمتلـك قاعـدة علمية فعالة تتمثل في وجود مستودع كبير من الطاقة البشرية التقنية والأكاديمية، وتشكيلة متنوعة من مؤسسـات البحـث العلمي والتعليم العالي والمراكز المتخصصة المهيأة لإعـداد أجيال جديدة تمثل طاقة بشرية وتكنولوجية مضافة للمجتمـع

مما جعلها مركز إنتاج علمي عالمي، ودولة مصدرة للإنجازات العلمية والتقنية سواء في صورة أبحاث أو إنجازات مادية، فعلى سبيل المثال زادت صادرات إسرائيل من المنتجات الإلكترونية من حوالي مليار دولار عام ١٩٨٦ إلى قرابة الستة مليار دولار عام ١٩٩٩.[٢٣]

ومن المؤشرات الدالة على كفاءة القاعدة العلمية في إسرائيل ارتفاع نسبة العلماء العاملين في مجال البحث العلمي بالقياس إلى غيرها من الدول، وإذا كانت الإحصاءات تشير إلى أن عدد العاملين في مجال البحث العلمي والتكنولوجي في اليابان (٤٩٠٩) لكل مليون من السكان، وفي الولايات المتحدة الأمريكية (٣٦٧٦) لكل مليون من السكان، وفي مصر (٤٥٩) لكل مليون من السكان، فإن هذه النسبة تبلغ في إسرائيل (٣٨٣٨) لكل مليون من السكان حسب إحصاءات اليونسكو ١٩٩٨، فإذا أضفنا إليهم العلماء والذين وفدوا ضمن موجة الهجرة السوفيتية في أوائل التسعينات تكون إسرائيل في مقدمة دول العالم في مجال نسبة العاملين في البحث العلمي.[٢٤]

وفي مجال النشر العلمي يتدنى نصيب البلدان العربية لأقل ما هو متوقع منها، في حين يرتفع نصيب إسرائيل في النشر العلمي إلى عشرة أضعاف ما هو متوقع منها، وهنا يتعدى التفوق النسبي لإسرائيل على العرب (السبعين ضعفا)، ويتم نشر بحوث العلماء الإسرائيليين في دوريات عالمية وتغطي مجالات متعددة كالعلوم الطبية والهندسة الوراثية والبيومعلومات والبيوطبي والفيزياء النووية مما أسهم في خلق بيئة علمية اعترفت فيها الدولة بالباحث المتفرغ كعضو في المجتمع له دوره المهم واعتمدت على التكنولوجيا المتجددة والمعرفة الجديدة رمزا لتقدمها ومناط قوتها.[٢٥]

وأهم من النشر العلمي تسجيل براءات الاختراع، ووفق تقرير مكتب العلاقات التجارية الأمريكي، فإن العرب سجلوا في عام ١٩٩٧ (١٢٤) اختراعا بما يقابل اختراعا واحد لكل (١٠) ملايين نسمة، أما في إسرائيل فقد سجلوا (٥٧٧) اختراعا بواقع (١٠٢٠) اختراعا لكل عشرة ملايين نسمة، وهو ما يزيد على الألف ضعف في العالم العربي، ولم يتفوق على إسرائيل سوى اليابان.[٢٦]

لقد أدى التقدم العلمي والتكنولوجي في إسـرائيل إلـى إعطاء الدولة مكانة علمية وتكنولوجية كبيرة تفوق حجمهـا بكثير؛ لذلك حين سمحت لها الولايات المتحـدة الأمريكيـة بالاشتراك معها في برنامج (حرب الكواكب) فهو لم يكن فقط من قبيل التدليل المعتاد، ولكن لاعتقـاد الولايـات المتحـدة الأمريكية أن لدى إسرائيل ما تستطيع تقديمه لهذا المشـروع التكنولوجي الكبير.[٢٧]

ثانيا: إشاعة الثقافة العلمية والوعي بأهمية العلم والتكنولوجيا

لقد عملت إسرائيل على خلق المناخ الذي يساعد علـى ترسيخ مفاهيم التفكير العلمي لدى الناشئين والشباب وذلك من خلال ثلاث محاور متكاملة هي: التعليم والإعـلام والثقافـة العامة، واعتبرت أن هذه المحاور هي المسئولة عن التربيـة الحقيقية للنشء فالمسئولية ليست على المدرسـة وحـدها أو البيت وحده، لكن المجتمع ككل يسهم في تكـوين شخصـية النشء، وتضع وزارة العلوم والتكنولوجيا الإسرائيلية إشاعة الثقافة العلمية على رأس مسئوليتها، وقد أسست لهذا الغرض لجنة تعرف "باللجنة العلمية الإسرائيلية العليا" تعمـل علـى

تشجيع الابتكارات العلمية، وتقدم منحـة قـدرها (٥٠,٠٠٠) دولار أمريكي لكل من يقدم ابتكـارا يمثـل إضـافة للعلـم والتكنولوجيا، على أن ينجز تنفيذه خلال مدة لا تتعدى عامـا واحدا، ويتم منح الشخص الفائز بالمنحة لقب زميـل كليـة العلوم.(٢٨)

وتبث البرامج الإذاعية والتليفزيونية برامج علمية فـي العلوم التطبيقية وعلوم الرياضيات والأحياء، ويعاد تقديم هذه البرامج مرات عديدة أسبوعيا، وهي معدة بأسـلوب شـيق وجذاب يهدف توجيه النشء وتعويدهم على النشأة العلمية منذ نعومة أظفارهم.

وتقوم وزارة العلوم بنشر الكتب والمجـلات العلميـة المبسطة، كما تخصص أبوابا وصفحاتٍ علميةً في الصـحف و المجلات العامة.[٢٩]

كما تنتشر متاحف العلوم وبخاصـة متـاحف التـاريخ الطبيعي والمتاحف المتنقلة والتي تحرص الهيئات المسـئولة عن تيسير الزيارة إليها.

وتنتشر أندية العلوم في المدارس والنوادي في مختلـف المدن، وتقام المسابقات حيث تمنح الجوائز العلميـة للـنشء

والشباب، كما تقوم الدولة بتشجيع إنشاء الجمعيـات العلميـة وتنشيط القائم منها، ودعم المؤتمرات واللقاءات العلمية.[٣٠]

ثالثـا: تفعيـل دور التعلـيم العـالي في مجـال البحث العلمي والتكنولوجي

اهتمت إسرائيل بتطوير المؤسسات الجامعية ومراكـز البحث في إطار خطة لتكوين العلماء، وتنمية قدرات الأجيال الشابة التي تتعهدها الجامعة بالصقل والتـدريب، ونشـطت الجامعات في إسرائيل في اتجاهين:

أولهما: اتجاه يهتم بالعلوم الطبيعية والاجتماعية والأدبية والمجالات المهنية المختلفة.

وثانيهما: اتجاه يقوم على خلق المنافسة العلمية في كـل المجالات المتخصصة ذات التقنية العالية جدا.[٣١]

واهتم التعليم العالي منذ البداية بإحياء اللغـة العبريـة والثقافة اليهودية باعتبارهما دعامتين أساسـيتين متصـلتين بالفكرة الصهيونية وبالبعث القومي.[٣٢]

وقد كان هنا اختلاف بين "وايزمـان" و "جابوتنسـكي" حول البناء الجامعي ومن أين يبدأ؟ فقد كـان "جابوتنسـكي" Gabotinsky لشدة تأثره بالإجراءات التمييزية التي كانـت

تتخذ ضد الطلاب اليهود في شرق وغرب أوربا ينادي بـأن تكون الجامعة في بداية إنشائها جامعة تعليم، أما "وايزمـان" فبحكم تأثره بالمدرسة الألمانية فهو يرى أن تبدأ الجامعة من القمة، بمعنى أن تبدأ بتأسيس مراكز البحوث العلمية، حيـث إن البحث العلمي والرصانة العلميـة همـا قلـب الجامعـة ودماغها، وما لم تبدأ الجامعة من القمة فإنهـا لـن تصـبح جامعة بمعنى الكلمة، وقد اتخذت الحركة الصهيونية من رأي "وايزمان" سياسة تسير على هداها، بمعنـى أن أي جامعـة مقترحة تبدأ من القمة مع مـا يسـتلزم ذلـك مـن تـوفير التسهيلات، وحشد هيئة تدريس ذات مستويات عالية، ولعـل هذا يفسر ازدهار البحث العلمي في الجامعات الإسـرائيلية، فالبحث العلمي في هذه الجامعات مقدم على التعليم.[٣٣]

وقد كشفت إحدى الدراسات المسحية التي طُبقَت علـى (٦) جامعات، (٦) كليات مِهنية، (٨) كليات للمعلمـين فـي إسرائيل عن ميل (٦٢%) من أعضاء هيئة التـدريس إلـى اعتبار البحث العلمي هو الوظيفة الأساسية للجامعة، ويتضح ذلك إذا ما نظرنا إلى تقسيم وقت أعضاء هيئة التدريس على المهام الجامعية، فقد اتضح أن (٣٧%) من الوقت مخصص

للتدريس، يقابله (٤٣%) للبحـث العلمـي أثنـاء الفصـل الدراسي، في حين تصل النسبة المخصصة للبحـث العلمـي إلى (٦٦%) بين الفصول الدراسية.[٣٤]

وقد سادت الجامعات الإسرائيلية مـؤخرا موجـة مـن الخلافات في وجهات النظر حول مـا يجـب أن تقـوم بـه الجامعة: هل التركيز على الدرجة الجامعية الأولـى First degree لتلبيـة متطلبـات السـوق المحليـة Domestic Market، أو التركيز على الدراسات العليا والبحث العلمـي للإيفاء باحتياجات السوق الدولـة، Internationl Market ويبدو أن الغلبة كانت لوجهة النظر الثانية التـي أثبتـت أن سيادة البحث هو الهدف الرئيسي للجامعات، ومن هنا كـان التأكيد على أن تكون الجامعة في إسرائيل جامعة بحث فـي المقام الأول، ولعل من الأسباب التي ساقها خبراء سياسـات التعليم الجامعي في إسرائيل للتأكيد على أن يكـون التوجـه الأساسي للجامعات الإسرائيلية منْصبا على البحـث العلمـي وتدعيم الدراسات العليا والحد من الدراسات الجامعية الأولى هو وجود فائض من الخريجين في بعـض المجـالات ذات التكلفــة العاليــة مثــل الطــب Medicine، والهندســة

Clinical وعلـم الـنفس الإكلينيكـي EngineeringK ,
Psychology، وعلوم الحياة Life Sciences، لذا ينصـح هؤلاء الخبراء بالحد من التعليم الجامعي خوفًا مـن ظـاهرة جذب العقول Brain Drain وهذا مـا لا تحمـد إسـرائيل عقباه.(٣٥)

ويسخر البحث العلمي في الجامعات الإسرائيلية لخدمـة احتياجات المجتمع والمؤسسة العسكرية، ويوجد اهتمام خاص بالفيزياء النووية في سـائر الجامعـات ومختلـف المعاهـد الإسرائيلية.

ويحرص أعضـاء هيئـة التـدريس فـي الجامعـات الإسرائيلية على متابعة كل ما هو جديد فـي تخصصـاتهم وذلك من خلال الاطلاع على الأبحاث العلمية والمنشـورات الدولية، وتكوين علاقات مع الباحثين في الـدول الأخـرى، وفي هذا المجال تعتبر إسرائيل ثالث دولة في العالم من حيث قيام أعضاء هيئة التدريس في جامعاتهـا بمشـاريع بحثيـة Research Projects بالتعاون مع الأكاديميين في الـدول الأخرى(٣٦)، وقد أوضحت إحدى الدراسـات أن (٦٢,٥%) من أعضاء هيئة التدريس بجامعات إسرائيل قـاموا بنشـر

العديد من الكتب والمقالات في دول أخرى، كما أوضحت دراسة أخرى أن (٧٦%) من أعضاء هيئة التدريس في الجامعات الإسرائيلي قد شاركوا في مؤتمرات علمية خارج إسرائيل إلى جانب أن (٧٢,٧%) من أعضاء هيئة التدريس هم أعضاء في الجمعيات العلمية الدولية.. وعدد المؤتمرات العلمية التي تعقد في إسرائيل كبير، ويتمتع الفيزيائيون الإسرائيليون بنسبة عالية من إجازات التغيب التي يقضونها في الخارج، وهو ما يساعد على تجنب الركود العلمي والتخلف عن حركة التقدم العلمية.(٢٧)

وهناك حرص في الجامعات الإسرائيلية على تحقيق التقارب بينها وبين الجامعات في المجتمعات الغربية في مجال الدراسات العليا، حيث تدرك الجامعات الإسرائيلية أنها أقل في هذا المجال من الجامعات في المجتمعات الغربية، ففي البحث الذي أُجري في عام ١٩٩٥ تحت اسم (التعليم في إسرائيل والمقارنة الدولية) اتضح أن نسبة الحاصلين على الماجستير بين الدارسين في سن (٢٧) سنة يصل إلى (٢٥%)، بينما في الولايات المتحدة الأمريكية تصل النسبة

فــي نفــس الجيــل (٣٢%)، وفــي كنــدا (٣١%)، وانجلترا(٣١%).[٣٨]

وقد اعتمدت الجامعات الإسرائيلية في تمويلها حتى عام (١٩٥٦) على مصادر خارجية من جميع أنحاء العالم، لذا لم يكن للحكومة الإسرائيلية أي سلطات عليها، ولكن كان يـتم توجيه سياستها بما يتفـق وسياسـة وأيديولوجيـة الدولـة الصهيونية، ولكن بعد هذا التاريخ قامت الحكومة الإسرائيلية بتمويل الجامعات ورصد الميزانيات، إلا أنها لم تتدخل حتى اليوم في الحرية الأكاديمية.[٣٩]

وتمثل نسبة الطلاب المقيدين في التعليم الجـامعي فـي إسرائيل (٣٦%) من مجموع السكان الذين هم في سن التعليم الجامعي.. ولا يجوز التحاق الطلاب بالدراسـات الجامعيـة إلا بعد أداء الخدمة العسكرية الإلزامية (ثلاث سنوات للرجال وسنتان للإناث) ولذا فإن معظم الطلاب في إسرائيل يبدءون دراستهم الجامعية وهم فوق سن (٢١ سنة)، ويستثنى من هذا الشرط الطلاب المتفقون حيث يمنحون وثيقة تأجيل التجنيـد لمدة الدراسة، ويتوجب عليهم أداء الخدمة العسـكرية فـور

التخرج مباشرة، وتضع الدولة معايير محددة للتفوق لتحديد الطلاب الذين يتم تأجيل تجنيدهم.[٤٠]

وجدير بالذكر أن تكلفة الدراسة الجامعية في إسرائيل للطالب الواحد تكلفة باهظة، وهي تختلف بين الجامعات الإسرائيلية، ويصل أعلاها في معهد ايزمان للعلوم، ورغم ذلك فإن الحقيقة الجديرة بالذكر أن إسرائيل تحتل المكانة الأولى في العالم من حيث العد النسبي لحاملي شهادات العلوم الطبيعية من مجموع سكان العالم.[٤١]

يحظى التعليم العالي التكنولوجي بأهمية كبيرة في إسرائيل، حيث يستهدف مساعدة الطلاب على متابعة التكنولوجيا وتطوراتها، وعقد المقارنات بين التكنولجيات المختلفة لاكتشاف المزايا والعيوب في كل نوع من أنواعها، وبناء القدرات لدى الطالب حتى يكون قادرا على مواجهة مشاكل العلم بعد التخرج، ويتطلب ذلك ضرورة تمتعه بمهارات تقنية تختلف عن تلك التي يتمتع بها الفني أو المهني، فالتعليم العالي التكنولوجي لا يقتصر على مجرد التدريب من أجل التنفيذ كما هو الحال في التعليم المهني

أو الفني، وإنما هو إلى جانب ذلك يستهدف تكوين المهارات الابتكارية.[٤٢]

ويلعب التعليم العالي التكنولوجي فـي إسـرائيل دورا استراتيجيا في بناء الأمن القومي للدولة، حيث يؤثر بشـكل مباشر على النهوض بمستوى الصناعة والبحث والتطـوير وهو يتميز بالخصائص الآتية:

- إنه يرتكز على تخطيط دقيـق يـرتبط بالمكونـات والعناصر المختلفة لأمن الدولة.

- إنه يخضع للتغيير والتطوير المستمرين، وهـو مـا يجعل برامجه تتسم بالمرونة.

- تتوافر له إمكانيات ضـخمة مـن ناحيـة التـدريب والأجهزة والمعامل والمختبـرات والـدوريات والنشـرات العلمية.

- إنه يتابع كل التطورات التي تحدث في العالم، لـيس في المجالات العلمية والتكنولوجية فقط، وإنما في المجـالات السياسية والاقتصادية أيضا؛ لأن الهدف الأساسي هو تنميـة العناصر البشرية (الباحثون – الجامعيون – صانعو القـرار، المخططون).

- إنه يرتبط ارتباطا وثيقا بالمؤسسات الإنتاجية.(٤٣)

لقد أسهم التعليم العالي التكنولوجي في إسـرائيل فـي إحداث تقدم كبير في مجالات التكنولوجيـا داخـل الكيـان الإسرائيلي.. ولعل أحدث أنواع التكنولوجيا التـي تشـهدها إسرائيل في الوقت الحالي تكنولوجيا بالغة الدقة تعرف باسم Namo Technology، وهي تقوم على دقة المنتج وتقليـل حجمه، وتوفير الطاقة المستهلكة، ويعتبر الماس هو أنسـب اختيار لتصنيع الأجهزة اعتمادا علـى هـذه التكنولوجيـا، ويتجاوز حجم الصادرات من صناعة الماس فـي إسـرائيل (٢٧%) من حجم الصادرات الإسرائيلية، حيث تنتج إسرائيل ٨٠% من الإنتاج العالمي من الحجر المصقول ممـا جعـل إسرائيل دولة رائدة في صـناعة المـاس بمفهـوم الإنتـاج والتسويق على حد سواء، وتحتكر شركات إسـرائيلية فـي الوقت الحاضر إنتاج الماس في دولة الكونغـو الديمقراطيـة التي تعتبر أغنى دول العالم في إنتاج الماس.(٤٤)

ويوجد تعاون بين العلماء الإسرائيليين ومعهد بحـوث الطاقة السولارية في الولايات المتحدة الأمريكية، وهو معهد خاص ببحـوث الطاقـة الشمسـية، حيـث نجـح العلمـاء

الإسرائيليون في الاطلاع على أدق أسرار البحـوث التـي تجري في المعهد الأمريكي وفي استغلال الطاقة السـولارية في تدفئة المياه في المنازل مع استخدام مليون وحدة سولارية في الفنادق والمصانع، مما أدى إلى توفير مليار وثلاثة أرباع مليار دولار في العام.(٤٥)

ويبلغ عدد الجامعات في إسرائيل (٧) جامعات تتمثـل فيما يلي:

١- معهـد الهندسـة التطبيقيـة (التخنيـون) Technion

وقد تأسس في عام ١٩٢٤ في حيفـا، والدراسـة فيـه بالعبرية، وتقوم السياسة العلمية والتربوية في معهد التخنيون على التركيز على العلـوم التطبيقيـة وخلـق صـفوة مـن المهندسين التكنولوجيين والمهندسـين المعمـاريين للدولـة الحديثة، وتقديم حلول سريعة ودقيقة للمشـاكل الاقتصـادية للدولة، ومساعدة الباحثين على إجراء البحـوث المبتكـرة، وتبلغ تكاليف الإنفاق على الطالـب فـي معهـد التخنيـون (٢٤٨٥) دولار أمريكي سنويا، ويبلغ عدد المجلـدات فيـه (٨٠٠,٠٠٠) مجلدا في مجالات الهندسة والعلـوم الطبيعيـة

والعلوم الاجتماعية، كما يزخر بنحو (٤٥٠٠) مجلة علميـة في جميع التخصصات العلمية الحديثـة، ويحـرص معهـد التخنيون على إرسال خريجيه إلى جمعية تخنيون الأمريكيـة لقضاء سنة في أحد المشاريع الصناعية في الولايات المتحدة الأمريكية.[٤٦]

ويشتمل معهد التخنيون على الكليات الآتية:-

[كليات الحاسبات الآلية، كلية هندسة الحاسب الآلـي، كلية الاقتصاد والإدارة، دائرة الدراسـات الشـاملة، دائـرة ليزموت التربوية، كلية هندسة الغذاء والبيوتكنوجيا، معهـد رحبوت للكيمياء، كلية البيولوجيا، معهـد ألبـرت أينشـتين للفيزياء، كلية الرياضيات، كلية الفيزيـاء، كليـة الهندسـة المعمارية وبناء المـدن، كليـة الكيميـاء، مركـز التعلـيم التكنولوجي، كلية هندسة الإنتاج الصناعي والإداري، كليـة الهندسة النووية، كلية البيوتكنولوجيا (التكنولوجيا الحيويـة)، كلية الهندسة الزراعيـة، كليـة هندسـة علـوم الطيـران والفضاء].[٤٧]

ويتبع معهد التخنيون المراكز البحثية الآتية:

[مؤسسة (تخنيون) للبحـوث والتطـوير المحـدودة، المفاعل الذري (ترينا)، مختبر الإشعاع الشمسـي، مختبـر المائيات، المركز القومي لمتابعة البناء، مركز بحوث الهندسة البيئية ومضخات المياه، مركـز بحـوث رسـم الخـرائط والمساحة، مركز بحوث هندسة المعـادن، مركـز بحـوث المدينة والبلديات، مركز (موييف) للهندسة المعمارية، مركز (دولمان) لنظم الإنتاج، مركز بحوث هندسة الطاقة، مركـز بحوث هندسة الكهرباء، مركز بحوث الإلكترونيات الدقيقـة، مركز البحوث الكيماوية، مركز بحوث الحاسـبات الآليـة، مركز بحوث وتطوير صناعة الغذاء، مركز بحوث الحاسبات الآلية، مركز بحوث نظم الذكاء، مركز بحوث المياه والتربة بكلية الهندسة الزراعية، مركز بحوث الطيران، مركز بحوث الصحراء].

وفيما يتعلق بالدرجات العلمية التي تمنحهـا مؤسسـات المعهد، فإنها تنقسم إلى ما يلي:-

- مؤسسات علمية تمنح الدرجة الجامعية الأولى فقط.

- مؤسسات علمية لا يلتحق بها إلا الطلاب الحاصلون على الدرجة الجامعية الأولى مـن أجـل الحصـول علـى الماجستير والدكتوراه.

- مؤسسات علمية تمنح الدرجة الجامعية الأولـى مـع الماجستير والدكتوراه.

- مؤسسات علمية تمنح الدرجـة الجامعيـة الأولـى ودرجة الماجستير.

ويفخر معهد التخنيون بأنه أخرج أكثر من (٢٥) ألـف خريج استطاعوا أن يحققوا التقدم الصناعي والتنمية الزراعية والنمو الاقتصادي والأمن القومي لإسرائيل.(٤٨)

٢- الجامعة العبرية

وقد تأسست عام ١٩٢٥ بالقدس، وتفخر الجامعة العبرية بأنها الرمز الحي Living Sympol لإعادة مـيلاد ثقافـة الأمة اليهودية، وأن رسالتها هي خدمة إسرائيل.

وتضم الجامعة العبرية الكليات الآتية:

[كلية العلوم الإنسـانية والاجتماعيـة، كليـة الأعمـال والإدارة، كلية الاقتصاد، كلية علم النفس، كلية علم المكتبات، كلية القانون، كلية الفنون، كلية العمـل الاجتمـاعي، كليـة

التعليم، كلية الرياضيات والحواسب، كلية العلوم الطبيعيـة، كلية الزراعة، كلية الطب، كلية طب الأسنان، كلية البيطرة، كلية التمريض].

ومن التخصصات غير النمطية التي تدرس في الجامعـة العبريـة: تخصـص (البيـوطبي)، والهندسـة الوراثيـة، وتكنولوجيا الاتصالات، والكيماويات فائقة المستوى، وتطوير أنظمة الحواسـيب، ومنتجـات البيومعلومـات (البيولوجيـا والمعلومات) وتطوير الصناعة كثيفة العلوم والتـي يعتبـر وزن المواد الخام فيها ضئيلا، ويتابع ثلث طـلاب الجامعـة تقريبا برامج دراسات عليا.(٤٩)

ومن المؤسسات والمراكـز العلميـة التابعـة للجماعـة العبرية: معهد التكنولوجيا والعلوم التطبيقية، ومعهد الآثـار القديمة، ومركز (جولدي روتمن) لدراسـة أصـول العلـوم والتربة، ومدرسة (وايزمان) للكيميـاء، ومعهـد الأرصـاد الجوية والمناخية، ومعهد علوم الأرض، ومركز دعم واتخاذ القرار، ومعهد (أفراهام هارمان) لليهودية المعاصرة، ومعهد (بيسوم) للبحث والتطوير، ومركـز (جـود فريـد ويلهـيلم ليبنيتس) لبحوث علوم الكمبيوتر، ومركز دراسة تاريخ دولة

إسرائيل وسكانها، ومركز (اريد) لبحوث البيئـة، ومركـز (سيدني إم ايد لشتين) للتاريخ وفلسفة العلـوم والتكنولوجيـا والطب، ومركز (أيدموند لاندو) لأبحاث التحاليل الرياضية، ومعهد أبحاث (بن صهيون دينور) للتاريخ اليهودي، ومركز (موشى شيلو) لدراسة الكيمياء الحيوية البحريـة، ومركـز (ليسد لويس فاركاس) لعمليات الإدخال الضـوئي، ومركـز (ويلهيلم كوخن) لبحوث الأجهزة البصرية، ومعهـد بحـوث تطوير التعليم، ومركز دراسة وإدارة البيئة، ومركز (فيليـب وموريل برمان) لعلوم الآثار القديمة المقدسة، مركـز (إس إتش برجمان) للدراسات الفلسفية، ومركز (اوتولوى) للخلايا العصبية الجزيئية، ومعهد الفيزيـاء، ومعهـد الرياضـيات، ومركز (فيدال ساسون) الـدولي لدراسـة ظـاهرة معـاداة السامية، ومعهد الدراسات الشرقية، ومركز دراسات اللغـات والأدب اليهودي، ومركز الدراسات الأدبية، ومركز بحـوث الفولكلور، ومعهد الدراسات الأسيوية والأفريقية، ومعهد (بن تسفى) لدراسة الجماعات اليهوديـة فـي الشـرق، ومعهـد الدراسات الهندية والإيرانية والأرمينية، ومركز (ريتشـارد كويبنر) للتاريخ الألماني.[٥٠]

٣- معهد وايزمان للعلوم

صمم الدكتور حاييم وايزمان أول رئيس لإسرائيل فكـرة المعهد (١٩٣٣)، وتأسس في عام ١٩٣٤ فـي رحوبـوت، ويهتم بالبحوث الأساسية ذات النتائج العملية، وطلابـه مـن خريجي الجامعات الذين يحملون شهادة لا تقل عن الماجستير ويحضرون لنيل الدكتوراه، ويدير المعهد مجلس حكام يتألف من ثلاثة إسرائيليين، واثنين أمريكيين، وكندي واحد.

ومن الكليات التي تتبع معهد وايزمان:

[كلية أبحاث النظائر، وكلية الرياضيات، وكلية البيولوجيـا التجريبية، وكلية الفيزياء النووية، وكلية التجمعـات، وكليـة الكيمياء، وكلية الالكترونيات].(٥١)

ومن أبرز المؤسسات العلمية بمعهد وايزمان مدرسـة (فينبرج) للخريجين، وتأسست عام ١٩٥٨، وتستهدف خلـق صفوة من المبدعين وقادة المستقبل من العلماء المتميزين في كل فروع العلم، ومن أجل ذلك تهيئ المدرسة الجو العلمـي والفكري للطالب وتحفزه للتنافس دوما، وتعمل المدرسة تحت وصاية ولاية نيويورك وتمنح درجة دكتوراه الفلسـفة فـي مجالات العلوم المختلفة كالكيمياء والفيزيـاء والرياضـيات،

وعلوم الكمبيوتر.. وهناك شروط عديدة لابد وأن تتوافر في الطالب لكي يلتحق بهذه المدرسة أهمها: ضرورة الحصـول على شهادة تزكية من معلميه السابقين لتوضيح مدى قدراتـه العلمية، بالإضافة إلى نجاحه في الاختبار الشخصـي الـذي يعقده أعضاء هيئة التدريس بالمدرسـة.. وتضـم مدرسـة فينبرج أربعة أقسام؟: قسم الرياضيات، قسم الفيزيـاء، قسـم الكيمياء، قسم العلوم الحياتية.(٥٢)

ومن التخصصات التي تحظى باهتمام المعهـد علـوم الوراثة، والهندسـة البيولوجيـة، والمعلوماتيـة، وهندسـة الكمبيوتر، كذلك علوم الإلكترونيات الطبية والصيدلية، وعلم طبيعة الأرض، وعلم الفيروسات، والمركبات الكيماوية.

وتنبثق عن المعهد شركة تعرف باسـم شـركة "يـدا" للبحوث والتطوير مهمتها تحقيق الأفكار الجديدة والمخترعات التي يتوصل إليها العلماء، ويتلقى المعهد مساعدات كبيرة من الولايات المتحدة الأمريكية حيث يقوم بإجراء أبحاث لحساب المؤسسات فيها، والملاحظ أن ميزانية المعهد هي الأكبر بين جميع الجامعات الإسرائيلية في حين أن عدد الدارسين فيه هم الأقل بين جمع الجامعات الإسرائيلية.(٥٣)

ومن المراكز العلمية التي يضمها معهد وايزمان: مركز بحوث الطاقة ومركز (فرتيز جعابر) للكيميـاء الفيزيائيـة، ومركز (ألبرت اينشتين منيرفا) للفيزياء النظريـة، ومركـز (جوزيف وسيل) للبنـاء البيولـوجي، ومركـز (ليوجوليـا فورشهاير) لعلم الوراثة الجزيئية، مركز دكتـور (جوزيـف كوهين منيرفا) لبحوث الأنسجة الحيوية، ومركـز (تشـارلز دبليو وتيي كـاف ليـوبن) لبيوتكنوجيـا البنـات، مركـز (جرودتسكي) لبحوث فسيولوجيا الدفاع، ومركز (وايزمـان) لعلوم الإحصاء، ومركز عائلة (سيوسمان) لدراسـة علـوم البيئة.(٥٤)

٤- جامعة بار إيلان

وتأسست في رمات جان عام ١٩٥٥، وتضم كليـات: العلوم الإنسانية، والعلـوم الاجتماعيـة، والعمـال والإدارة، والاقتصاد، وعلم النفس، وعلم المكتبات والقانون، والفنـون، والعمل الاجتماعي، والتعليم، والرياضـيات، والحواسـيب، والعلوم التطبيقية.

وتجسد جامعة "بار إيلان" اتجاها مندمجا متكاملا مـن القيم الروحية للعلوم اليهودية مع العلوم الليبراليـة الحديثـة،

وقبل أن تنحو منحى العلوم الليبرالية الحديثة، كانت مؤسسة دينية أنشأتها منظمة (المزراحي) العالمية وأطلقت عليها اسم رئيسها الراحل "مايل بار إيلان".[٥٥]

٥- جامعة تل أبيب

وتأسست عام ١٩٥٦ وتضم كليات:

[العلوم الإنسانية، والعلـوم الاجتماعيـة، والأعمـال والإدارة، والاقتصاد، وعلم الـنفس، والقـانون، والفنـون، والعمل الاجتماعي، والتعلـيم، والرياضـيات والحواسـيب، والعلوم الطبيعية، والهندسة، والطب، وطب الأسنان، والعلاج الطبيعي، والتمريض].. وتؤكد الجامعـة علـى الدراسـات النظرية والتطبيقية.[٥٦]

٦- جامعة حيفا

وتأسست عام ١٩٦٣ وتضم كليات:

[العلوم الإنسـانية، والعلـوم الاجتماعيـة، والأعمـال والإدارة، والاقتصاد، وعلم الـنفس، والعمـل الاجتمـاعي، والتعليم، والرياضـيات والحواسـيب، والعلـوم الطبيعيـة، والهندسة، والطب، والعلاج الطبيعي، والتمريض].

ونظرا لموقع جامعة بن جوريون ومهمتها ذات التوجه الصحراوي، فإن برامج التعليم في هذه المدرسـة التعليميـة ترتبط مباشرة بصحراء النقب، حيث تدور حـول البيـوت الزجاجية (الدفيئات) لتقليص استهلاك الطاقة غيـر القابلـة للتجديد، واستخدام المياه الرسوبية الجوفية فـي الزراعـة، واستخدام أنظمة الري التي تعمـل بـالكمبيوتر، وتركيـب الكيماويات والأسمدة للحصول على الحد الأقصى من خـلال الأرض، واستخدام الطاقة الحرارية الطبيعية في الزراعـة، وتقليص مدة تفقيس الدواجن في مناخ النقب، وإنتاج القطـن على مستوى تجاري باستخدام المياه الرسـوبية، وزراعـة الطحالب، ومساعدة إدخال الهندسـة البيولوجيـة والصـنيع بمساعدة الكمبيوتر داخل الكيبوتزات الإسرائيلية(٥٨)

ومن المؤسسات والمراكز البحثية التابعة لجامعة "بـن جوريون":

[مركز بحوث مصادر المياه، ومركـز بـن جوريـون للبحـوث، ومركـز عائلـة (هيورسـت) لتطـوير القـادة الاجتماعيين، ومعهد البحوث التطبيقية، ومركز (بيرلسـتون) لبحوث هندسة الطيران، ومركز (اللـورد جـاكو بفيـتش)

لأصول الطب اليهودي، ومركـز بـين جوريـون للطاقـة الشمسية، ومركز الطاقة المستحكمة وزراعـات الصـحراء (سيدا)، ومركز (لويس وماركو ميتراني) لبيئة الصـحراء، ومركز الطاقة والبيئة الفيزيائية، ومركز الثقافة التكنولوجية، ومركز دراسات يهود شمال أفريقية، ومركز (جي آر إيليـا شار) لدراسة التراث الشرقي.(٥٩)

ويعمل بجانب هذه الجامعات السابقة الذكر مؤسسـتان جامعيتان هما:

الجامعة الشعبية، والجامعة المفتوحة التـي تشـبه فـي تنظيماتها الجامعة المفتوحة في بريطانيا، كمـا توجـد (٨) كليات لتدريب المعلمـين Teacher Trainign Colleges، (٦) كليـات متخصصـة Specialized Colleges تمـنح درجات مهنية متخصصة في الفنون والموسيقى والزراعـة والتكنولوجيا وإدارة الأعمال، ولكن من الملاحظ أن كثيـرا من الإسرائيليين ينظرون للتعليم العالي على أنه متمثلا فـي قطاع الجامعات فقط University Sector(٦٠)

وتدل الإحصاءات على ضآلة عدد المحاضـرين مـن (عرب إسرائيل) في الجامعات الإسرائيلية مما يـدل علـى

وجود توجه عنصري وراء هذا الوضـع.. ويقـدم الأسـتاذ (سلوموزاند) بعض المؤشرات الدالة على ذلك قائلا: "إنه منذ ثلاث سنوات (١٩٩٨) كان عـدد الأسـاتذة الـدائمين فـي الجامعات الإسرائيلية (٤٥٠٠) من بينهم (٣٥) مـن عـرب إسرائيل وفي التقدير الحالي عـام (٢٠٠١) لا يزيـد عـدد أساتذة عرب إسرائيل على (٤٥) مـن مجمـوع الأسـاتذة الإسرائيليين المقدر بنحو ٥٠٠٠".. والنسبة المئويـة لفئتـي الأساتذة والطلاب من عـرب إسـرائيل بالنسـبة للأسـاتذة والطلاب الإسرائيليين ضئيلة للغاية لا تتجاوز فـي متوسـط الفئة الأولى (١%) وفي الفئة الثانية (٢,٥%)

وإذا كان عرب إسرائيل يمثلون ما يقرب من (خمـس) عدد سكان إسرائيل، فإن نسب أساتذة وطلاب عرب إسرائيل في الجامعات الإسرائيلية تدل على مدى العنصرية في مجال التعليم الجامعي في إسرائيل، خاصة فـي عـدم وجـود أي عربي على الإطلاق في كليات القمة التي ينشـدها طـلاب إسرائيل يهودا وعربا.. أضف إلى ذلك عدم تعيين مـوظفين عرب في الأجهزة الإدارية في الجامعات الإسرائيلية فمن بين

(١٠,٠٠٠) موظف إداري على مستوى الجامعات لا يوجـد بينهم أكثر من (٥) أفراد من العرب.

ويستنكر بعض أساتذة الجامعات الإسرائيلية المنصـفين – وهم أقلية – هذا الوضع، فالأستاذ (زفاي رازي) المحاضر بكلية الدراسات الإنسانية والاجتماعية بجامعـة تـل أبيـب يتعجب من ضآلة عدد الأساتذة من عـرب إسـرائيل فـي الجماعات الإسرائيلية، مشيرا إلى أنـه مـن بـين (٤٠٠) محاضر في تلك الكلية، لا يوجد بينهم سوى (خمسـة) مـن الأساتذة العرب، موضحا أنه بعد أن استولى النازيون علـى مقاليد السلطة في ألمانيا، كـان هنـاك أسـاتذة يهـود فـي الجامعات الألمانية بنسبة أعلـى كثيـرا مـن نسـبة عـدد محاضري عرب إسرائيل في الجامعات الإسـرائيلية، وهـو يرى أن ثمة توجهات عنصرية وعدائية تحول دون إدمـاج أساتذة عرب إسرائيل في الجامعات الإسرائيلية.

ويتعجب الأستاذ (هجـاي الـريخ) المحاضـر بقسـم الدراسات الشرق أوسطية والأفريقية بنفس الجامعـة قـائلا: "كيف يمكن ونحن في عام (٢٠٠١) أن يطغى على هذا القسم التوجه نحو اعتبار هذا التخصص من نتاج الذكاء الإسرائيلي

وحده، وكيف يمكن أن نتصور عدم وجود أي مؤرخ عربي في قسم دراسات الشرق الأوسط".(٦١)

وبرغم ارتفاع مستوى التعليم الجامعي في إسرائيل، إلا أنه يواجه عدة مشكلات تتمثل فيما يلي:

- عدم تأقلم الأساتذة الجامعيين المهاجرين إلى إسرائيل مع القواعد المنظمة للعمل، خاصة وأن الجامعات تجبـرهم على تعلم اللغة العبرية.

- شعور الأساتذة ذوي الكفايـات العلميـة بـأنهم لـم يحصلوا على امتيازات مماثلة لنظرائهم في الولايات المتحدة الأمريكية إلى جانب ما تفرضه الدولة عليهم من أداء الخدمة العسكرية التي يعتبر التهرب من أدائها خيانـة، لـذلك آثـر الكثير من هؤلاء العلماء البقاء خارج إسرائيل.

- برغم أن نسبة أعضاء هيئة التدريس في الجامعـات الإسرائيلية للطلاب تبلغ ١٥,٦:١، إلا أنهـا مـن المنظـور الإسرائيلي تعتبر غير مناسبة وتعوق عضو هيئة التـدريس عن القيام بالبحث العلمي.(٦٢)

- فقدان الثقة في البنية التنظيمية لإدارة التعليم العـالي، فقد عجزت الإدارة المسئولة عن إيجاد وظيفة تتناسـب مـع

المؤهل العلمي في ظل زيادة الحاصـلين علـى الماجسـتير والدكتوراه.

- فتور أعداد كبيرة من الدارسين لمواصلة الدراسـات العليا بسبب إجبارهم على استكمال الدراسة في فترة محـددة قد تمتد إلى خمس سنوات أو أكثر، بينما هم غيـر مـؤهلين نفسيا لانشغالهم في البحث عن عمل.

- صعوبة المنـاهج الدراسـية فـي كليـات العلـوم الاجتماعية والإنسانية، ووضع معايير صارمة ودقيقة أمـام خريجي المدارس الفنية والمهنية للالتحاق بالجامعـات ممـا أدى إلى خلق جو علمي وثقافي عام لا يشجع على اسـتكمال الدراسة.

- اهتمام الجامعات بتعليم اللغة العبرية والدين اليهودي للمهاجرين الجدد على حساب البحث العلمي.

- الاهتمـام بالمـدارس المهنيـة والفنيـة ودعمهـا بالإمكانيات الفنية التي تؤهلها إلى تخريج طلاب على قـدر كبير من المهارة الفنية لقناعتهم بأن تعلمهم لمهنـة محـددة سوف يفتح أمامهم أبواب العمل بعد التخرج.(٦٣)

رابعــا: اســتثمار تكنولوجيــا المعلومــات في الحقل التربوي

رغم ما يبديه الكثيرون لدينا من حماس شديد لتكنولوجيا المعلومات وأهميتها، إلا أنه ما زال بيننا من لا يطيـب لـه حديث عن تكنولوجيا المعلومات داخل إسرائيل، حجتهم فـي ذلك أنه حديث غالبا ما يبعث على تثبيط الهمم، وإلى هؤلاء نتساءل: هل من بديل؟ وكيف لنـا أن نتحاشـى مثـل هـذا الحديث وقدر أمتنا أننا في مواجهة صريحة مع إسرائيل.(٦٤)

إن تكنولوجيا المعلومات تحتل مكانة كبيرة فـي عقـل ساسة إسرائيل وعلمائها ومخططيها وموجهيها، ولعل البعض يذكر ما ورد في كلمة "شيمون بيريز" عنـد توقيـع اتفاقيـة القاهرة من: "أن المعلومات أقوى من المدفع وبلغ به الكـرم مداه وهو يتسلم جائزة نوبل للسلام، فأفصح عن نيته بتعمـيم تجربة إدخال الكمبيوتر في المدارس الإسرائيلية علـى كـل البلدان العربية.

هذا عن الحمائم في إسرائيل فما بال حديث الصـقور، لقد تحدث "بينيامين نتنياهو" عن عظمـة وادي "السـليكون" الإسرائيلي الذي يـربط بـين مراكـز البحـث والتطـوير

المعلوماتي في مثلث (تل أبيب – القـدس – حيفـا) والـذي لا يفوقه في حد زعمه إلا وادي السليكون الأمريكي.(٦٥)

ويمكن القول أن إسرائيل قد نجحت في تـأمين مواقـع متقدمة لها في معظم فروع تكنولوجيا المعلومات سواء فـي مجالات العتـاد Hardware، أو البرمجيـات Software، أو الاتصالات، فعلى جهة العتاد بدأ معهد "وايزمان" تجاربـه في بناء الحواسيب الإلكترونية في وقت مبكـر منـذ عـام ١٩٥٤، ونجحت إسـرائيل فـي تطـوير "ميكروكمبيـوتر" للأغراض العسكرية.

وفي مجال البرمجيات، فقـد تنوعـت مجالاتهـا مـن البرمجيات التعليمية إلى برمجيات قطاع السياحة والاقتصاد.

أما على جبهة الاتصالات فقد برزت إسرائيل في مجال الألياف الضوئية ذات الأهمية الخاصة فـي إقامـة شـبكات طرق المعلومات الفائقة السرعة.

وعلى مستوى شبكة "الإنترنت" تأتي إسرائيل رغم قلـة عدد سكانها النسبي في المرتبة العشرين على مستوى العـالم فيما يخص عدد المواقع على الشبكة، ويضاهي عدد المواقع

الإسرائيلية على الإنترنت إجمالي مواقـع الـدول العربيـة مجتمعة.(٦٦)

وتمثل نسبة صادرات تكنولوجيـا المعلومـات الدقيقـة (٣٠%) من صادرات السلع المصنوعة في إسـرائيل عـام ١٩٩٦، في حين تبلغ ٤٤% في الولايات المتحدة الأمريكية، ٣٩% في اليابان، ٣٩% في كوريا الجنوبيـة، ٢٧% فـي الصين في العام نفسه.

وهناك عدة عوامل أسهمت في إثراء وتقـدم صـناعة تكنولوجيا المعلومات الإسرائيلية تتمثل فيما يلي:

- توافر قاعدة معلومات دقيقة وتوجيهها لغايـات معينة تخدم أغراضا وطنية.
- إدراك إسرائيل أنه ليس بالمواد الخام فقط يمكن تحقيق نهضة تقدمية للدولة، لكن النهضة تتحقق باكتساب المعلومات والقدرة على استخدامها.
- توافر رؤية مستقبلية يدخل في نطاقها حصـر شامل لإمكانيات السوق العالميـة فـي مجـال تكنولوجيا المعلومات، والوقوف على ما تحتاج إليه هذه الأسواق في المستقبل.

- التعـاون مـع مراكـز البحـوث الأكاديميـة والجامعات والشركات العملاقة في هذا المجال.
- الوعي بحرب المعلومات من خلال منع الخصم من الحصول علـى المعلومـات، واسـتغلال المعلومات كسلاح هجومي أساسي في حـرب المعلومات بما يعرف بـ (فيـروس الحاسـب الآلي).[٦٧]

وتقوم إسرائيل باستثمار تكنولوجيا المعلومات في الحقل التربوي باتخاذ عدة وسائل منها:

- تثوير نظم التعليم لكي تتلاءم مع لغة الحاسوب، وتعميم استخدام تكنولوجيا المعلومات منذ سـن الحضانة وإلى ما بعد انتهاء المرحلة الجامعية.
- تقوم جامعة تل أبيب بتنظـيم مشـروع "حـق المجتمع في المعرفة" ووفقـا لهـذا المشـروع أصبح في مقدرة كل طالب لديه جهاز كمبيوتر أن يشترك بدون أي مقابل مادي في المشروع، ويسـتطيع مـن خلالـه أن يكتسـب مفـاهيم ومعلومات جديدة في مختلف المجالات.[٦٨]

- إنتاج البرمجيات التعليمية والنصوص الدراسية الملائمة للوسط الاجتماعي والثقافي، والمواكبة في الوقت نفسه للتقدم الذي يشهده العالم سـواء في الرياضيات والبيولوجيـا والاقتصـاد ممـا يعزز وينمي المهـارات الأساسـية للطالـب، ويطلق على هـذا الأسـلوب نظـام "التعلـيم الموسط"، وقد تم تطبيقه في إسرائيل أخذا مـن نظم "نالو ألتو" الأكاديمية بجامعة كاليفورنيـا، وهو نظام تعليمي تفـاعلي متعـدد الوسـائط ومخصص للكليات، ويمزج بين التعليم التقليدي والتعليم المعتمـد علـى الكمبيـوتر، وتقـوم الاختبارات الدورية بمتابعة مدى تقدم الطالب، ويتم على أساسها إجراء تعديلات على خطـة الدروس.(٦٩)
- وضع استراتيجية تربوية جديدة بمعرفة وزارة التعليم والثقافة عرفت باسم "التعلـيم الآخـر"، وذلك لسرعة تأهيل أجيال من القادرين علـى التعامل مع العصر (الإلكترونـي) أي عصـر

التكنولوجيـا والإلكترونيـات، وتقـوم هـذه الاستراتيجية على تخصيص مائة مدرسة ثانوية موزعة على أنحاء الدولة لتحقيق هذا الغرض، على أن تعمل كل مدرسة وفقا لسياسة كل بلدية في الدولة مع مراعاة الفـروق الفرديـة بـين الطلاب.[٧٠]

- التوسع في تطبيقات الذكاء الاصـطناعي فـي الحقل التعليمي لما له مـن دور فـي تطـوير البرامج التعليمية.
- الاستخدام المتزايـد للأقمـار الصـناعية فـي الأغراض المدنية خاصة في الحقل التعليمي من خلال البث الإذاعي والتليفزيوني بحيـث يـتم عرض كل التفاصيل المعلوماتية وتصبح متاحة أمام متلقي التعليم.
- توظيف تكنولوجيا التعليم لبث برامج ومنـاهج دراسية، ويراعـى فـي تصـميمها أن تتسـم بالمرونة والتنوع حتى يجد كل طالب ما ينشده بالطريقة التربوية التي تحقق الغرض المنشود..

وفي هذا السياق يتم تطوير أجهزة التعليم مـن خلال ملاءمة طريقة التعليم مـع التكنولوجيـا الجديدة، وإعداد جهاز التعلـيم بأكملـه لهـذا التطور.[٧١]

- إنتاج الحاسب الآلي الذي يعمل بطريقة برايل، وضمان اقتناء فاقدي البصر لاسـتخدامه فـي مختلف المراحل.. ويـنظم المركـز التربـوي لفاقدي البصر بجامعة بن جوريـون برنامجـا يهدف إلى تعليم الكفيف القراءة بسرعة، وإدخال المعلومات بطريقة برايل اعتمادا علـى نفسـه ودون مساعدة من أحد، كذلك تعليمه كيفية فـك الشفرات وتحويل لغة برايل إلى العبريـة إلـى جانب تعلم الطباعة من الحاسب المحمول.[٧٢]

وهناك عدة مؤسسات تكنولوجية تابعة لوزارة التعلـيم والثقافة تقوم بدور هام في مجال التعليم التكنولـوجي، منهـا مركز الكمبيوتر العملاق، والجمعيـة الإسـرائيلية لمراكـز المعلومات والمكتبات الخاصة، ومركز التكنولوجيا التربوي، المركز القومي للمعلومات العلميـة والتكنولوجيـة، مركـز

التليفزيون التربوي، والشبكة الإسرائيلية للبحوث التربويـة، وبنك المعلومات الوطني لتمويل البحوث الأساسية، ومركـز النصوص الإخبارية والإلكترونية.[٧٣]

وقد استطاعت إسرائيل اختـراق سـوق البرمجيـات العربية في مجالات التطبيقات الزراعية واللغوية، ونجحـت بالفعل أن تسوق بصورة مستترة بعض البرمجيات الخاصـة بمكاتب وكلاء السياحة والسفر في السوق المصرية.[٧٤]

خامسا: الاهتمام بتخصصات علوم الفضاء

تستهدف إسرائيل إقناع العالم بصفة عامـة والولايـات المتحدة الأمريكية بصفة خاصة أنها وإن كانت دولة صغيرة، إلا أنها تمتلك نخبة من العلماء المتخصصـين فـي أبحـاث الفضاء من أبناء الدولة بالإضافة إلى العلماء المهاجرين إليها من الاتحاد السوفيتي السابق الذين يتمتعون بخبرة كبيرة فـي مجال أبحاث الفضاء، كما أنها تمتلك من التقنيـات والعلـوم والمناهج والبرامج التعليمية ما يساعدها على التنـافس فـي مجال أبحاث الفضاء وما يؤهلها لأن تدخل في شراكة مـع الولايات المتحدة الأمريكية من أجل تطوير بعض البـرامج الفضائية والطيرانية وخاصة في مجال تكنولوجيـا الأقمـار

الصناعية، وقد انضمت إسرائيل إلى نادي الفضـاء فـي ٩ سبتمبر ١٩٨٨ وأصبحت الدولة الفضائية الثامنة منـذ ذلـك التاريخ.[٧٥]

إن صناعة الفضاء والطيران صـناعة عاليـة العائـد، وتتطلب قدرا ضئيلا نسبيا من تكلفة الموارد، ولقد اسـتغلت إسرائيل "العائد العالي" لصناعة الفضاء وذلك لتحسين ميزان المدفوعات لديها ولاختراق المواقع التقليدية للدول المسـاندة لقضية العرب، إذ يبلغ الحجم السنوي لأعمال صناعة الفضاء والطيران عشرة بلايين دولار سنويا، وهي أكبر الصـناعات المساهمة في الدخل القومي، ويوجد العديد من المعاهد التـي تقوم بتعليم علوم الفضاء وتطويرها، منهـا معهـد تطـوير تقنيات الفضاء، ومعهد العلوم الفضائية ومعهد بحوث الفضاء والطيران، ومن الهيئات المتخصصة فـي أبحـاث الفضـاء اللجنة القومية الإسرائيلية لأبحاث الفضاء (١٩٥٩) والوكالة الإسرائيلية لاستغلال الفضاء (سالا) (١٩٨٣)[٧٦]

إن امتلاك إسرائيل لتكنولوجيا الفضاء سوف يؤدي إلى تمكينها مما يلي:-

- ✓ امتلاك السيطرة على الكرة الأرضية باعتبارها نواة أو كرة معلقة في الفضاء.
- ✓ القدرة على متابعة ثورة الاتصالات والمعلومات وبث البرامج والمعلومات، والترويج لمعتقدات الدولة العبرية ومنجزاتها.
- ✓ تطبيق تكنولوجيا الفضاء في مجالات الملاحـة الجوية والبحرية مما يساعد على الـتحكم فـي مسار الطائرات والسفن وتنظيم حركتها.(٧٧)

سادسا: التأكيد على التعليم النووي

بدأ اهتمام إسرائيل بالدراسات النووية منذ عام ١٩٤٩، حيث أنشأت وزارة الدفاع الإسرائيلية قسما لأبحاث (النظائر المشعة)، وتم إلحاقه بمعهد وايزمان للعلوم في تل أبيب، كما أنها أرسلت في الوقت نفسه عددا من البعثات إلى الخـارج، ومع منتصف الخمسينيات، عاد هؤلاء المبعوثون الذين كانوا يدرسون التكنولوجيا النووية في الولايات المتحدة الأمريكيـة وبريطانيا وسويسرا وهولندا للعمل في قسم الفيزياء النوويـة بمعهد وايزمان للعلوم، وبحلول عام ١٩٥٦، أصبح يوجد في

إسرائيل أكثر من (١٥٠) عالما نوويا على مستوى عال من التخصصات.[٧٨]

وكان أول مشروعين قامت إسـرائيل بتنفيـذهما فـي المجال النووي تطوير عملية استغلال احتياطي اليورانيـوم بالنقب، وبحث العمليات الكيميائية اللازمة لصنع الماء الثقيل بدلا من الأسلوب التقليدي بالطريق الهيدروكهربائيـة، ممـا جعل إسرائيل في وضع معادل للقوة النوويـة فـي أوربـا الغربية، وقام علمـاء معهـد وايزمـان بـإحلال الطاقـة الهيدروجينية الاندماجية بدلا من النفط لمواجهة الدول العربية التي تسيطر على معظم موارده.

ويتولى المفاعل النووي (ريشون ليزيون) تدريب طلاب معهد وايزمان للعلوم وشتى المعاهد الفنية الإسرائيلية علـى إنتاج النظائر المشعة وتطبيقاتها في مجالات الطب والزراعة والصناعة وأبحاث المياه والجيولوجيا.

ويؤدي الدور نفسه مفاعل (ناحال سـوريك) ومفاعـل (ديمونة) ومفاعل (النبي روبين).[٧٩]

أما معهد التخنيون فقد أنشأ قسـما للهندسـة والعلـوم النووية ويقوم بتأهيل العلميـين والفنيـين للإشـراف علـى

المشاريع الذرية المهمة، كما أنشا قسما للفيزيـاء النوويـة، وآخر للفيزياء التجريبية، وثالثا لفيزياء البلازما فـي إطـار الجامعة العبرية بالقدس.[٨٠]

وبعد فمن خلال العرض السابق يتضح أن إسرائيل قـد أصابت قدرا كبيرا من النجاح في مجـال البحـث العلمـي والتكنولوجي حيث يوجد بها تعليم جامعي متميـز، وأعلـى نسبة علماء في العالم كما أن (٦٥%) من طلاب الدراسـات العليا (فوق البكالوريوس) بها يدرسون في حقـول علميـة، ولا شك أن الانفتاح العلمي للولايات المتحدة على إسـرائيل، والامتداد البشري للعلماء الإسرائيليين فـي أنحـاء أوربـا وأمريكا، وتسخير جهودهم لصالح إسرائيل وتنميتها العلمية، أسهم بقدر كبير في تحقيق هذا النجاح.

والآن.. ما الذي يهمنا من دلالات التطور العلمي الكبير الذي أنجزته إسرائيل؟... نستطيع أن نوضح ذلك على الوجه الآتي:

أولا: أن إسرائيل تعبئ قواهـا العلميـة علـى جبهـة عريضة من أجل تعزيز موقفها، بينما الطرف المقابـل فـي

الصراع منصرف عما يجري، ولا يبدو أن يحـرك سـاكنا لمواجهة هذا التحدي.

إن ما تفعله إسرائيل يتجـاوز بكثيـر حـدود التنميـة أو إنعاش الاقتصاد أو حتى اللحاق بركب التقدم العلمي، ذلك أن تفوقها في مجال البحث العلمي يرشحها بامتياز لدور القوة الآمرة والمهيمنة في المنطقة، وإذا حدث ذلك فسـتكون لـه انعكاساته الخطير ليس فقط على صعيد الحق العربـي فـي فلسطين وإنما أيضا على صعيد مستقبل المنطقة ككل.

ثانيا: إن التفوق العلمي الذي حققته إسرائيل مكنها مـن اختراق القلاع التي كانت يوما ما مؤيـدة للحـق العربـي، وتتعامل بحذر إن لم يكن بجفاء مع إسرائيل، والنمو المطرد في علاقاتها مع الصين والهند بوجه أخص خير دليل علـى ذلك، ولا ننسى أن اليابان التي كانت مـن الـدول الحـذرة لحاجتها إلى النفط العربـي، أصـبحت الآن أهـم شـريك اقتصادي لإسرائيل بعد الولايات المتحدة الأمريكية.. إن مـا فعلته إسرائيل من تطوير في إمكاناتها العلمية والتكنولوجية، جعل هؤلاء يجدون أن لهم مصلحة في التعامل معها وخطب

ودها وبالتالي سوف يغضون الطرف عن ممارستها القمعيـة والوحشية في الأراضي المحتلة.

هوامش الفصل الثامن

١- أنطون ب زحلان، "العلم والتعليم العالي فـي إسرائيل"، ترجمة محمد صالح العالم، مؤسسة الدراسات الفلسـطينية بالاشـتراك مـع دار الهلال، ١٩٧٠، ص ١٧٩.

٢- وزارة التعليم والثقافة، "العلم والتكنولوجيا في إسـ ـرائيل"، القـ ـدس، ١٩٩٥، ص ١٧، "بالعبرية".

٣- أنطون ب زحلان، "العلم والتكنولوجيـا فـي الصراع العربي الإسرائيلي"، سلسـلة أوراق مؤسسة الدراسات الفلسطينية(١٦) بيـروت، مؤسسة الدراسـات الفلسـطينية ١٩٨٧، ص ٧٢.

٤- محمد عبد الهادي، "التنظيم للبحث العلمي في إسرائيل"، مجلة الأهرام الاقتصادي بتاريخ ٧ مايو ١٩٩٠.

٥- نزار الريس، "البحث العلمي في إسـرائيل"، في "الأبعـاد التربويـة للصـراع العربـي الإسرائيلي"، مركز دراسات الوحدة العربية، جامعة الكويت، ١٩٨٦، ص ٣١٥.

٦- نفس المصدر السابق، ص ٣١٦.

٧- Shamash, Org, "Science and Technology in Israel, "Israel Research and Scientific Research, World Wid Web (WWW), ١٩٩٨.

٨- Ibid, p. ٧٥.

٩- محمد عبد الهادي، "البحث العلمي فـي إسـرائيل"، مصدر سابق، ص ٧٢.

١٠- البنك الدولي، "تقرير عن التنمية في العـالم"، مركز الأهرام للترجمة والنشـر، القـاهرة، ١٩٩٨/ ١٩٩٩، ص ١٢٠٠.

١١- Science and Technology in Israel, World Wide Web (WWW) ٢٠٠٠, p ١.

١٢- محمد عبد الهادي، مصدر سابق، ص ٧١.

١٣- السيد يسين، "الحركات الصـهيونية والعمليـات الاجتماعية – التقدم العلمـي والتكنولـوجي"، الأهرام ١٩/ ١٢/ ١٩٩٨.
١٤- قسم الإحصـاء المركـزي، الكتـاب السـنوي الإسرائيلي للإحصاء، جدول ١٣٠، ١٩٩٧، ص ٦١٩.
١٥- Science and Technology Israel, Op. Cit, pp ١-٣
١٦- نادر فرجاني، "الإمكانـات البشـرية والتقانيـة العربية" مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٥٢، مركز دراسات الوحـدة العربيـة، بيـروت، فبراير ٢٠٠٠، ص ٦٧.
١٧- نادر فرجاني، "خريطـة العلـم والعلمـاء فـي إسرائيل والعالم العربي"، المشكاة، القـاهرة، ١٩٩٨، ص ٥٧.
١٨- مركـز الدراسـات السياسـية والاسـتراتيجية، "التقريـر الاسـتراتيجي العربـي، ١٩٩٩"، الأهرام، القاهرة، يناير ٢٠٠٠، ص ١١٥.

١٩- موشيه ليفينتش، "تاريخ يهود الشرق والغرب في العصر الحديث"، دار نشر أورعـم، ١٩٨٧، ص ٢٢.

٢٠- The Israel Academy of Science, "Measuring the Size of Science", Jerusalem, ١٩٧٠, p. ١٠٩.

٢١- عبد الـرحمن الرشـيدي، "الصـراع العربـي الإسرائيلي فـي ظـل المتغيـرات الدوليـة والإقليمية"، مجلة الدفاع، العدد الثالث، عـام ١٩٩٣، ص.ص ٢٢-٢٣.

٢٢- نادر فرجاني، "العرب في مواجهـة إسـرائيل، القدرات البشرية والتقنية" المشكاة، القـاهرة، ١٩٩٩، ص ١٨.

٢٣- نفس المصدر السابق، ص١٩.

٢٤- Unesco (١٩٩٨): "World Science Report ١٩٩٨", Unesco Publications, United Kingdom.

٢٥- نادر فرجاني، العرب في مواجهـة إسـرائيل، مصدر سابق، ص ٢٠.

٢٦- Unesco, Satistical Year book, ١٩٩٧, Table ٤-٦

٢٧- باسم سرحان، التعـاون العلمـي بـين أمريكـا وإسرائيل، الوطن، الكويت، ٩/ ١٢/ ١٩٩٤.

٢٨- Raz, Science and Technology, The Uk. Israel Science and Technology Research Fund, The British Council in Israel, ١٩٩٧, p. ١١٧.

٢٩- مركز الإعلام الإسرائيلي، البحـوث، القـدس، ١٩٩٥، ص ٥٣، "بالعبرية"

٣٠- نفس المصدر السابق، ص ٥٥.

٣١- يوسف بن دود، "الجامعات في إسـرائيل"، تـل أبيب، القدس، ١٩٨٥، ص ٥٣٧، (بالعبرية).

٣٢- نفس المصدر السابق، ص ٥٣٨.

٣٣- أنطون – ب زحلان، "العلم والتعليم العالي فـي إسرائيل"، ترجمة محمد صالح العالم، مرجع سابق، ص ١٨٠.

٣٤- Esther E. Gottlieb & Micael Chen, "The Visible And Invisible in Isaeli Higher Education in the ٩٠s,

"Higher Education, ٣٠, Netherland, ١٩٩٥, p.p ٦٣-٦٤.

٣٥- Sarah Guri – Razenblit, "Trends of Diversification and Expansion in Israeli Higher Education", Higher Education ٢٥, ١٩٩٣, p. ٤٦٢.

٣٦- Ibid, ٤٦٤.

٣٧- Esther E, Gottlieb & Micael Chen, "the Visible and invisble in Israeli Higher Education in the ٩٠s", Op. Cit, p. ١٧١.

٣٨- Elad Peled "Israeli Education", in Comparative Educational Systems, Op. Cit, p. ٣١٠.

٣٩- Ilan Troen, "Higher Education in Israel, An Historical", Higher Education ٢٣, Netherland, ١٩٩٢, p. ٥٣.

٤٠- مجلس الثقافة العالية، الثقافة العاليـة، التخطـيط لوضع البرامج والميزانية، القـدس، ١٩٧٩، ص ١٠٣، "بالعبرية".

٤١- نفس المصدر السابق، ص ١٠٥.
٤٢- وزارة التعليم والثقافة، "العلم والتكنولوجيـا فـي إسرائيل" مصدر سابق، ص ٩٦، "بالعبرية".
٤٣- نفس المصدر السابق، ص. ص ٩٦-٩٨.
٤٤- مركز الإعلام الإسرائيلي، "الاقتصاد"، القـدس، ١٩٩٧، ص ٢٤، "بالعبرية".
٤٥- شمعون يفتح "التكنولوجيـا النوويـة"، القـدس، ١٩٩٥. ص.ص ٩٠-٩٢، "بالعبرية"
٤٦- يوسف بن دود، "الجامعات في إسـرائيل"، تـل أبيب، القـدس، مصـدر سـابق، ص٥٣٧، "بالعبرية".
٤٧- نفس المصدر السابق، ص ٥٣٨.
٤٨- Yaacov Iram, "Centralization Trends in Higher Education: Israel's Planning and Grant Commite, "Higher Education, Netherland, ١٩٩٢, pp ٣٣-٣٥.
٤٩- The Hebrew University of Jerusalem, "Research" ١٩٩٥, Published by the Authority for Research and Development, the Hebrew

University of Jerusalem, ١٩٩٥, p. ٦٢.

٥٠- Ibid, p.p ٦٤-٦٦.

٥١- يوسف مروة، "المؤسسـات العلميـة والثقافيـة والفنية فـي إسـرائيل"، منظمـة التحريـر الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت ١٩٨٧، ص ٦٨. س

٥٢- The Weizmann Instiue of Science, "Scientific Activities" Rehvot, Israel, ١٩٩٤, p. ٢٤٩.

٥٣- Ibid, p. ٢٣٥.

٥٤- Ibid, p. ٢٣٧.

٥٥- Ilan Troen, "Higher Education in Israel, An Historical Perspective, "Higher Education, ٢٣, Op. Cit, p. ٥٠.

٥٦- Ibid, p. ٥٣.

٥٧- Ibid, p. ٥٥.

٥٨- Ben-Gurion University of the Negav, "Office of the Vice President and Dean for Research and

Development," Research Profile ١٩٩٢- ١٩٩٣. p. ٢٨٧

٥٩- Ibid, p. ٢٢٩.

٦٠- Esther E. Gottlieb & Michel Chen, "The Visible and Invisible in Israeli Higher Education in the ٩٠s," Op. Cit, p. ١٥٣.

٦١- حامد عمار، "مظاهر صارخة للعنصرية في الجامعات الإسرائيلية"، الأهرام، ١/ ٩/ ٢٠٠١.

٦٢- وولتر وآخرون، "التعليم في النظام الإسرائيلي الحاضر"، تل أبيب والقدس، ١٩٨٥، ص ١١٢، "بالعبرية".

٦٣- يوسف بن دود، "الجامعات في إسرائيل"، مرجع سابق، ص ٥٥٠.

٦٤- نبيل علي، "الثقافة العربية وعصر المعلومات – رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي"، عالم المعرفة، عدد ٢٦٥، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ٢٠٠١، ص ٥١.

٦٥- نفس المصدر السابق، ص ٥٢.

٦٦- Unesco, ١٩٩٧, "World Information Report, ١٩٩٧-١٩٩٨", Unesco Publication Frame, P. ٢٥٢.

٦٧- شيمون بيريز وآخرون، "الكيان الصهيوني عـام ٢٠٠٠، دراسات وأبحاث في الاسـتراتيجية الإسرائيلية"، ترجمة سمير غبور وآخـرون وكالة المنار للصـحافة والنشـر المحـدودة، نيقوسيا، قبرص، الطبعة الأولى، ١٩٨٦، ص ٢١.

٦٨- صفا محمود عبد العال، "حـق المجتمـع فـي المعرفة"، من الصحافة العبرية، العدد ٢٧٠، السنة ١٨، جريدة الأهالي ٨/ ٣/ ١٩٩٥.

٦٩- صفا محمود عبد العال، "مجالات التعليم العلمي والتكنولوجي في إسرائيل وتحدياتها للـوطن العربي"، دكتوراه غير منشورة، كلية التربية جامعة عين شمس، ٢٠٠٠، ص ٩٧.

٧٠- شيرابار، "تعليم آخر" جريدة دافار، الملحق رقـم ٤٥، ٢٩/ ١٠/ ١٩٩٥، ص٣.

٧١- Yaldin Aharonm "Youth Movements Education and Science", Israel Pocket Libarty, Jeursalem, ١٩٧٣, p. ٢٩.

٧٢- أكاديمية أوري ليفل، "لدينا باحثون مكفوفـون"، جريدة دافار، الملحق ٦١، ٢١/ ١/ ١٩٩٦.

٧٣- وزارة التعليم والثقافة، "العلم والتكنولوجيـا فـي إسرائيل"، القدس، ١٩٩٥، (بالعبرية).

٧٤- نبيل علي، "الثقافة العربية وعصر المعلومـات"، مصدر سابق، ص ٥٤.

٧٥- جمال كمال، "حقيقة أقمار إسـرائيل الصـناعية وحرب المعلومات"، جريدة الجمهورية، العدد ١٥٤٠٦، السـنة ٤٣، ١٣/ ٣/ ١٩٩٦، ص ١٣.

٧٦- أمـين هويـدي، "فـي الفضـاء، منتجـون أم مستهلكون"، الأهرام، العدد ٦٩٩ في ١٢/ ٥/ ١٩٩٨.

٧٧- حسام سويلم، "توقعات حول تطوير تكنولوجيـا الفضاء في إسرائيل خلال عقد التسعينات" – دراسات الدار العربيـة للدراسـات والنشـر والترجمة، العـدد ٣١، مـارس ١٩٩٠، ص ١١.

٧٨- ممدوح عطية، "البرنامج النـووي الإسـرائيلي والأمن العربي"، الهيئـة المصـرية العامـة للكتاب، ١٩٩٧، ص ٩٢.

٧٩- أميـرة حسـن، "أول مـؤتمر دولـي لهندسـة المفاعلات النووية الإسـرائيلية، (القـدرات والإمكانيات)، إصدارات دورية عن إسرائيل، يونيو ١٩٨٧، ص ٦١.

الفصل التاسع

نحو رؤية نقدية لاتجاهات الفكر التربوي المعاصر في إسرائيل

في ضوء ما قدمناه من تحليل للمعالم الرئيسية لاتجاهات الفكر التربوي المعاصر في إسرائيل، يمكن أن نشير إلى ما يحسب لهذه الاتجاهات وما يؤخذ عليها على النحو الآتي:

١- إذا كان قيام الدولة الإسرائيلية ارتكز على نظريات غيبية تم اشتقاقها من أساطير توراتية وتلمودية أحاط بها الغموض وران عليها التجاهل منذ ثمانية عشر قرنا، فإن التربية الإسرائيلية مع غيرها من نظم المجتمع الإسرائيلي الأخرى أسهمت في قلب هذه الأساطير والغيبيات إلى نظريات وأفكار عملية، وحشد الإمكانيات المادية والأدبية لتحويلها إلى واقع ملموس.

٢- إن اتجاهات الفكر التربوي الإسرائيلي ترتكز على مطلقات ثابتة غير خاضعة للتغير، تنم عن الجمود والتعصب والافتقار إلـى المرونـة، ومـن هـذه المطلقات على سبيل المثال فكـرة نقـاء الجـنس اليهودي، وحقوق الشعب اليهودي، والحدود الآمنة التي لا يمكن التفريط فيها، والرابطة العضوية التي لا تنفصم عراها بين اليهـودي وأرض الميعـاد، ومصدر إطلاقها كلها هـي أنهـا يهوديـة، أي أن المطلق الذي لا يتغير هو اليهود واليهودية.

٣- إن اتجاهات الفكر التربوي الإسرائيلي تتسم بالفرادة والفردية، فهي تؤكد في تربية أبنائها على تـاريخ اليهود المتفرد، فيهود اليوم هم امتـداد حضـاري وغير منفصل عـن اليهـود القـدامى أي يهـود التوراة.. فاليهود وفقا لهذا المفهوم يمثلـون كيانـا حضاريا متفردا ممتدا زمانيا لم يتأثر جوهره بمـا طرأ أو يطرأ على العالم المحيط به من تغيـرات، وأن كل ما يبدو من اختلاف بين يهود اليوم ويهود الأزمان الغابرة إنما هو قشور لا تتجاوز السـطح

إلى الجوهر، وتلك نظرة تتناقض مع المنهج العلمي الذي يؤكد على استحالة فهـم أي ظـاهرة فهمـا صحيحا في عزلة عما يحيط بها، كما تتعارض تلك النظرة مع ما يقول به المنهج العلمي من أن الكون بكافة ظواهره المادية والاجتماعية في حالة تغيـر مستمر، فالفكر الصهيوني يستثني اليهود من هـذا القانون العلمي، ومن مظاهر فرادة التاريخ اليهودي أنه لا يمكن أن يستمر في مساره الحقيقي خـارج فلسطين، ولذا لابد من العودة والهجرة إليها، ويفسر بعض الصهاينة معاداة اليهود على أنهـا رد فعـل لفرادة اليهود، لأن الكيان الصهيوني الفريـد يثيـر حفيظة الآخرين من الأغيار، ولذا يجب أن يكـون لليهود دولتهم الفريدة التي يمارسون فيها فـرادتهم بشكل فريد.

٤- تعد فكرة العمل اليدوي العبـري، وهـي إحـدى الأفكار المحورية التي يؤكد عليها الفكر التربـوي في إسرائيل فكرة "رومانسية" حتى النخاع، إذ تحت هذا الشعار يطلب مـن اليهـودي أن يعـود إلـى

أحضان الطبيعة في بلاده الأصلية فيعيش في بساطة ويعمل بيديه ويعتمد على نفسه، وهو حين يعمل بيديه (عملا عبريا) فإنه سيعيد صياغة أرضه، ومن هذه العملية سيولد الإنسان العبري الجديد الذي لا يختلف عن الإنسان الطبيعي الذي بشر به الرومانسيون منذ روسو حتى الآن.

٥- عزف الفكر التربوي الإسرائيلي بوسائطه المتعددة على وتر "اللاسامية" و"الاضطهادات النازية" و"غربة اليهود في المنفى" عزفا مدروسا متميزا، وقام بتلقينه بل وغرسه مجذرا في غربة اليهودي في المنفى حتى لا يجد له خلاصا إلا بالهجرة، فكسب بذلك توطينا استعماريا إحلاليا لمستعمرات أعدت سلفا، كما كسب تضخيم "عقدة الذنب النازية" في وجدان الأمة الألمانية التي دفعت نحو (٤٠) ألف مليون مارك أي حوالي (أربعة) مليارات دولار كتعويضات لأسر اليهود الذين قتل ذووهم في المعسكرات النازية، في الوقت الذي تجاهل فيه هذا الفكر أسباب اضطهاد اليهود في البلاد التي

عاشوا فيها في شتاتهم، ولم يظهر المربون على الإطلاق أن اضطهاد اليهود كان يتجه اتجاها طرديا مع سلوكهم الشائن وأفعالهم السيئة، واتجاها عكسيا مع اندماجهم واتخاذهم نمطا سلوكيا معتدلا، وأن ذلك الاضطهاد وتلك المذابح التي تعرضوا لها، اختلفت باختلاف الزمان والمكان وخضعت للظروف والأحوال التي أحاطت باليهود.

٦- يحسب لاتجاهات الفكر التربوي الإسرائيلي أنها تسعى لتحقيق تماسك المجتمع وكل ما يسهم في تدعيم الاندماج والتوحيد، اندماج المتنوع وتوحيد المتعدد وانصهاره، فقد تمكنت من تحويل هذا اليهودي التائه المنغلق الذي يعاني من عقد متعددة في مقدمتها التشتت والقهر والاستكانة والذلة إلى يهودي متطلع ومغتصب ومستعل لأخطاء الغير ليحول شتاته إلى تجانس وانسجام، ويجعل من أساطيره وخرافاته حقائق تاريخية ملزمة يترف بها، في الوقت الذي نحول نحن حقائقنا التاريخية إلى أساطير.

٧- يؤخذ على الفكر التربوي الإسرائيلي قيامه بوضـع حواجز بين الذات اليهودية والآخـر الـذي هـو بالضرورة غير اليهودي (الجويم) أو الأغيار، حيث ينظر إلى هذا الآخر نظرة شك وكراهيـة، وهـذا الفهم للذات والآخر على حد سواء فهم مغلق ويتسم بمانوية مفقرة، فالذات اليهودية وفقا لهـذا الإدراك هي ذات تختص بطبيعة جوهرية ميتافيزيقية ثابتـة متعالية على التاريخ، هي ذات منعزلـة متشـرنقة محصنة من تأثيرات الأغيار.

٨- يحرص الفكر التربوي في إسرائيل علـى طـرح التناقضات في إطار نشط مزكيا لها لتلعب لصـالح الكيان الإسرائيلي، فتعايشـت الأسـاطير لتعبـئ الوجدان الديني وتتعمق فيه وتأخذ طابع الالتزام مع العقل والتقدم العلمي والمعرفة التكنولوجية دون أن تتحول إلى إشكالية تثير المشكلات وتمـلأ سـاحة الفكر بالشعارات بين القديم والحديث.. وهكذا عمق الكيان الصهيوني تربويا الشعور الـديني وتركـه يتجذر مستغلا ماله من فاعلية تلقائية وقدرة نشـطة

على التعبئة الانفعالية للجماهير، كما عمق معطيات التقدم العلمي والمعرفة التكنولوجية وسمح لهما أن يتعايشا في كـل اتجاهاتـه التربويـة دون إلغـاء أو مصادرة، فاتجاهات الفكر التربوي الإسـرائيلي لم تحاول البحث عن التقاء موضوعي لعناصـرها المختلفة لأن الالتقاء الموضوعي سيكشـف عـن عوراتها.

٩- يحسب لاتجاهات الفكر التربوي الإسرائيلي إعطاء الأولوية لمـن يسـتحقها علـى مسـتوى البشـر والإمكانات فكانت الأولوية للطفـل وبنائـه للغـد (الكيبوتز)، كما كانت الأولوية لـلأرض وحرثهـا وزراعتها والارتباط بها والدفاع عنها بل أعطـت للدفاع عن الأرض الصدارة (التجنيد قبـل التعلـيم العالي لا بعده)، واستغلت المؤسسات المتخصصـة والمتنوعة، بل والمعرفة التكنولوجية في تحقيق هذه الأولويات، ليبقى هذا الجسد المصطنع فوق أرض ليست له.

١٠- من الجوانب الإيجابية في الفكـر التربـوي الإسرائيلي فرض اللغة العبرية بعد مواتها كوسيلة للتجانس والانصهار فرضا دون أن تتحول بدورها إلى إشكالية تتوالد منها مشكلات تملأ ساحة الفكر، ودون أن يضيع نصف قرن في لقاءات ومؤتمرات ليتساءل عن مدى صلاحيتها لتكون لغة علم أو عدم صلاحيتها، ودون الانزلاق إلى التغنـي بالوسـيلة على حساب الهدف، وإنما فرضها والتزم بها، فهي لغة التعامل في المنزل والشارع، ولغـة الـدرس والمدرسة والجامعة، وهي أولا وقبـل أي شـيء انتماء وليست مجرد وسيلة فقط، الأمر الذي يؤكـد في النهاية تميـز اليهـودي ذي اللغـة التاريخيـة المقدسة على جميع الأجناس.

١١- إن الـدارس لاتجاهـات الفكـر التربـوي الإسرائيلي، يلاحظ أنها رغم ما تزعم من تجديـد وتأصيل، هي مقرونة بإطار الافتعال لكيان برمته، من حيث إنها تحاول أن تفتعل عظمة ليست لها من خلال أساطير التاريخ لا حقائق التاريخ، فالسـعي

إلى خلق التجانس والانصهار، والجهد الذي يبـذل لجمع الشتات في بوتقة وجدان موحد يرتكـز فـي أساسه على الأسطورة وليس على الواقع، ومحاولة إقناع أبنـاء الأرض غيـر الشـرعيين بصـورة الصهيوني الذي يسود ويقهر وينتصـر فـي كـل المواقع والساحات هي محاولة لا تقتصـر علـى تزييف الواقع فحسب، وإنما تتجاوزها إلى تزييـف التاريخ.

١٢- يسعى الفكر التربوي في إسرائيل بطريقـة ضمنية إلى تشجيع التطرف الديني بتدعيم مؤسساته وإعطائه الصلاحية والاعتراف السياسي بدلا مـن احتوائه وترشيده، فهو يؤكد على تعميـق فلسـفة الاضطهاد والقومية اليهودية وربطهـا بالتعصـب الديني والعدواني سعيا للإبقاء دائما على هذه التعبئة الانفعالية لليهودي التائه وإقناعه أخيرا بالاسـتقرار والعودة إلى الذات.

١٣- إن سعي الفكر التربـوي الإسـرائيلي إلـى التقليل من ثقل ابـن الأرض الشـرعي وتهميشـه

واستلابه وتضليله، وفرض الذلة والمسـكنة عليـه وتعميق تجهيله بقدرات ذاته، وتعريته ليس فقط من حاضره وإنما كذلك من ماضيه، ثم محاولة تغييبه، هي أطروحة مغلوطـة ومغشوشـة، واسـتمرار ممارستها مرتبط باستمرار أخطائنا وافتقارنا إلـى الوعي والتخطيط، ومن ثم فالتجربة الصهيونية في نجاحها مرتبطة باستغلال أخطائنا.

١٤- يتجنب الفكر التربوي الإسرائيلي من خـلال المناهج التعليمية ذكر فلسطين والفلسطينيين حيـث يطلـق علـى فلسـطين اسـم (ارض إسـرائيل) أو (الميلاد)، وعند الحـديث عـن "الفلسـطينيين" والفدائيين يطلق عليهم العرب أو المخربين، وعندما تستشهد المناهج بفقرات من العهد القديم ويأتي ذكر الفلسطينيين تتدارك المناهج الأمر لتقول "إن ذكرهم جاء فقط من قبيل المفارقة التاريخية".

١٥- لا يتطرق الفكر التربوي الإسرائيلي كثيـرا من خلال المناهج التعليمية وبرامج الدراسة للفترة

التي عاشتها إسرائيل إبان هزيمتهـا فـي حـرب أكتوبر ١٩٧٣.

حيث تركز المناهج الإسرائيلية على فترة قيام إسرائيل والفترة التي أعقبتها، كما تركز أيضا على الفترة التـي أعقبت حرب يونيو ١٩٦٧.

١٦- يحسب للفكر التربـوي الإسـرائيلي حسـن استغلال العناصر المهاجرة إليه من حيث توظيـف النخبة الغربية من اليهود المهاجرين إلـى الأرض المغتصبة، وتسخير عقولهم لمزيـد مـن الانتقـاء والارتقاء لا في ميادين العمران و العلوم الإنسانية، وإنما في ميادين التدمير والقهر، وذلك ما تشهد به المؤسسات المتطورة في بحوث الفيزيـاء النوويـة والتسليح، بينما استغلت فئات اليهود الشرقيين فـي الأعمال الجسدية والعطاء العضلي علـى مسـتوى استغلال الأرض والمواجهات العسكرية.

١٧- يؤخذ على الفكر التربوي الإسرائيلي وجـود تناقض بين أهدافه المعلنة وأهدافـه الخفيـة التـي يسعى إلى تحقيقها، فالفكر التربوي الإسرائيلي حدد

أهدافه المعلنة بمقتضى المادة الثانية من قانون التربية والتعليم الإسرائيلي عام ١٩٥٣ بأنها تتمثل في "إرساء أسس التربية على قيم الثقافة اليهودية ومنجزات العلم، وحب الوطن والإخلاص والولاء للدولة، وعلى ممارسة الأعمال الزراعية والحرفية وعلى التهيؤ لوجود رائد، والعمل على تشييد مجتمع تسوده مبادئ الحرية والمساواة".[١] غير أن الأهداف الخفية التي يسعى الفكر التربوي الإسرائيلي إلى تحقيقها من خلال برامج التعليم ومناهجه والتي سبق الإشارة إليها في سياقات الدراسة، تتمثل في تشجيع الاستيطان اليهودي، وترسيخ مقولة تمايز اليهود على غيرهم من البشر وتشويه صورة العرب، وبث مشاعر الحقد والكراهية والعداء تجاههم، وتربية أجيال متعصبة جدا لصهيونيتها ودولتها، مؤمنة بكل أطماعها وممارساتها العدوانية إيمانا مطلقا.

١٨- يحسب للتجربة الإسرائيلية في المجال التربوي تأكيد أهمية الجامعة ودورها الفاعل في

التربية وصولا إلى جعل إسرائيل مركزا روحيـا وعلميا يشع بالقيم الروحية والعلمية اليهودية التـي لها فعل السحر في جذب شـرائح عريضـة مـن جماهير المنافي اليهودية لتكـون وطنـا للمثقـف الإسرائيلي الذي لا وطن له، ومن هنا كان تأسيس أول جامعة بفلسطين (الجامعة العبرية) (Hebrew University) عام ١٩٢٥ بالقدس على يد (حاييم وايزمان، وآحادها عام، وبوير) كما أسس جماعـة من الصهاينة الدينيين جامعة (بار إيـلان) (Bar Elan University) عام ١٩٥٥ للقيام بتـدريس مفاهيم التوراة وتراث بني إسرائيل جنبا إلى جنـب مع العلوم المصرية.

١٩- يحسب للفكر التربوي الإسرائيلي أنه أوجـد للطالب اختيارات متعددة يمكنه اللجوء إليها حـين ينهي المرحلة الابتدائية أو الثانويـة تتمثـل فـي المدارس الحرفية، والمدارس الصناعية والزراعية والمهنية والتي تضمن له مستوى من العيش بعـد

التخرج يساوي إن لـم يفـق مسـتوى خريجـي الجامعات الأكاديمية.

٢٠- يحسب للفكر التربوي الإسرائيلي نجاحه في تأسيس منظومة للتعليم التكنولـوجي تمثـل ركنـا أساسيا من منظومة التعليم القومي بصـفة عامـة، فهناك تعميم للتعليم التكنولوجي في كـل المراحـل التعليمي بحيث أصبح هو الجسر الذي نقل الطلاب من التعليم الأساسي إلى التعليم الثانوي، كمـا أنـه جاوز المرور إلى الجامعات، ويسـتهدف التعلـيم التكنولوجي في إسرائيل تأهيل الدارسين للانـدماج في النظام الاقتصادي للدولة.

ولعل أهم ما يميز التعليم العالي التكنولوجي في إسرائيل وجود نوع من التكامل بينه وبين المؤسسات الصناعية، حيث يتم تدريب طلابه في المصانع والشركات وفق برامج علمية، ويلتزم الطلاب الدارسون بإجراء البحوث التطبيقية التي تسهم في حل المشاكل الإنتاجية للشركات، ويـتم تعيـين رؤسـاء مجالس إدارات الشركات الصناعية في مجالس الجامعـات،

وبالمثل تعيين رؤساء الجامعات في مجالس إدارة الشـركات الصناعية.[٢]

لقد أدى الاهتمام بمنظومة التعلـيم التكنولـوجي فـي إسرائيل إلى ارتفاع عدد التكنولوجيين عن نظرائهم في الدول الأخرى، حيث إن نسبة المتخصصين في العلم والتكنولوجيـا في إسرائيل تبلغ (٤٨٢٨) لكل مليون من السكان، وهو مـا يضعها في مقدمة دول العالم في هذا المجال.[٣]

ويلعب جيش الدفاع الإسرائيلي دورا كبيرا في مجـال نشر التعليم التكنولوجي.. ذلك أن النظام التعليمي يخضع في النهاية لسيطرة جيش الدفاع الذي يلعب دورا أساسـيا فـي تحديد نفقات التعليم وخاصة المهني والتكنولوجي، واحتياجات الدولة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وكذلك احتياجاتهـا من الأيدي العاملة المدربة في التخصصات المختلفة.[٤]

٢١- من الجوانب الإيجابية في الفكـر التربـوي الإسرائيلي حرصه على إعداد الصفوة Elite مـن خلال انتقاء العناصر الممتازة وإعدادها من خـلال الجامعات المتميزة كمعهد وايزمان ومعهد التخنيون

ليكونوا في المستقبل قادة إسرائيل في مجالات العلم والسياسة والاقتصاد والثقافة.

٢٢- إن دور المنظمات والأحزاب العديدة داخـل إسرائيل في تطبيق الفكر التربوي لا يمكن إغفاله، وخصوصا إذا علمنا أن الكثير منها يعني أكثر مـا يعني بالتنشئة الدينية والاجتماعية، ويحاول بقـدر الإمكان عزل التلاميذ عن المؤثرات العلمانية التي قد ترد من خارج هـذا الكيـان، وتتـدخل هـذه المنظمات كل حسب قوتها ونفوذها في الدولة فـي المناهج واختيار المعلمين، وقد ظهر نجاحها بشكل جلي في الكيبوتزات والمسـتعمرات الاسـتيطانية البعيدة عن المدن الكبرى، في الوقت الذي لا تسهم فيه المنظمات الأهلية والأحـزاب السياسـية فـي الوطن العربي في التعليم إلا بقدر ضئيل.

٢٣- يحسب للفكر التربوي الإسرائيلي تسـخيره للجهاز الإعلامي كآلية فعالة وكأحد وسائط التربية غير النظامية للقيام بدور كبير في اختراق العـالم الخارجي من خلال الصحيفة والمجلـة، والكتيـب

الدعائي، والمعارض الجوالة، والأفلام الدعائيـة، والندوات والمؤتمرات والمحاورات، وفي ذلك كان "وايزمان" يقول: "يجب أن نبني أعمالنا على أوسع نطاق لاكتساب الرأي العام العالمي".[5]

وتقوم دائرة الإعلام التابعة لـوزارة الخارجيـة فـي إسرائيل برسم الخطط الإعلاميـة التـي ترمـي إلـى استقطاب الرأي العام الخارجي، وتوثيق عرى التـرابط والتلاحم بين إسرائيل والتجمعات اليهودية في الخارج، ومن الأنشطة الإعلامية لهذه الهيئة ما يلي:

- الاتفاق مع الصحف العالمية على إصـدار ملاحـق خاصة عن إسرائيل.
- تنظيم سلاسـل مـن المقـالات حـول المناسـبات الإسرائيلية المهمة مثل "عيـد الاسـتقلال" أو ذكـرى الانتصار في حرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧ ومـا إلـى ذلك ونشرها على أوسع نطاق.
- إعداد كتيبات دعائية خاصة يطبع منها العديـد مـن ملايين النسخ باللغات المختلفة.

- تنظيم المئات من المعارض الجوالة كل عام في شتى المدن العالمية تركز على الجوانب الدعائية لإسرائيل.

- إعداد أفلام دعائية، وتعميم الأفلام الوثائقية في شتى أنحاء العالم علاوة على إهداء الصـور الملونـة لمـن يطلبها.

- تنظيم جولات لعشرات المحاضرين لعقد الندوات في أقطار أوربا الغربية والأمريكيتين وشرق آسيا وأستراليا وأفريقيا.

- دعوة الصحفيين والكتاب والمشاهير من شتى أنحـاء العالم وعشرات من فرق التصوير التليفزيوني والمعلقين الإذاعيين والتليفزيونيين.

- إصدار نشرتين دوريتين نصف شهريتين باسم "أخبار الشرق الأوسط" و "صحائف حول خلفيات الأحـداث"، وتزويد محطات الإذاعة والتليفزيون ومكتبات الصحف في الخارج بهما.

- تنظيم المؤتمرات والندوات الطلابية العالميـة فـي إسرائيل، وتنسيق اتصالات منظمـات الطلبـة داخـل

إسرائيل وخارجها، ومساعدتهم في نفقات طبع المطبوعات والملصقات الدعائية التي يعدونها.[٦]

ويرتكز الإعلام الإسرائيلي في فعالياته على مبدأ التضليل ويتم هذا لا من خلال الكذب المباشر، وإنما من خلال الاختصار والاعتماد على لغة الإبهام والغموض، كما أنه يتميز بقدرته على التلون السريع.

ويتغلغل الإعلام الصهيوني بدرجة كبيرة في دول العالم الغربي.. ففي الولايات المتحدة على سبيل المثال نجد أن اللوبي اليهودي له اليد العليا على الإعلام الأمريكي بمختلف أدواته حيث يسيطر سيطرة شبه كاملة على القنوات التليفزيونية (الترفيهية والإخبارية) ففي شبكة "ايه.بي.سي" يتولى اليهودي (بول فريدمان) مسئولية المنتج التنفيذي لبرنامج "أخبار المساء"، وفي قناة (سي.إن.بي.سي) يتولى اليهودي "آل بيرمان" مسئولية برنامج "أخبار هذا الصباح"، ثم إن هناك أيضا اليهودي "ريك كالان" رئيس قسم الأخبار في شبكة "سي.إن.إن"..

ومعنى ذلك أن أمريكا تنام وتصحو على الأنباء والبرامج والتحليلات التي يكتبها اليهود من وجهة نظرهم وبالصورة التي تخدم أهداف إسرائيل في المقام الأول.. ويرأس اليهودي (جيرالد ليفين) أكبر إمبراطورية إعلامية أمريكية في الوقت الحاضر وهي شركة (أميركا أون لاين) حيث تعتبر أكبر مؤسسة في مجال تقديم خدمات الإنترنت في الولايات المتحدة الأمريكية وفي أمريكا الشمالية عموما[٧].

والشيء نفسه ينطبق على الصحافة المطبوعة التي يبلغ عددها في أمريكا (١٦٠٠) صحيفة تبيع يوميا ما يزيد على (٦٠) مليون نسخة حيث يسيطر اليهود على أهم الصحف وأكثرها تأثيرا؛ لأن هذه الصحف الكبيرة التي يملكها اليهود مثل (نيويورك تايمز) و(واشنطون بوست) و (وول ستريت جورنال) هي وحدها التي تمتلك الإمكانات المادية مما يتيح لها الاحتفاظ بمراسلين متفرغين في مختلف الولايات وسائر أنحاء العالم، وبالتالي فإن الصحف الأمريكية الأخرى الأقل شأنا والأضعف تمويلا، مضطرة إلى الاعتماد على تقارير وتغطيات الصحف الرئيسية الثلاث التي يمتلكها اليهود، وذلك

أمر ليس له نظير في أي مكان في العالم خـارج الولايـات المتحدة الأمريكية عندما يصبح الإعلام فـي قبضـة أقليـة ضئيلة لا تشكل أكثر من (٣%) فقط من عدد الأمـريكيين، ومع ذلك تمكنت من قلب الباطل حقا وتصوير الحق بـاطلا، وخلق انطباعات حسنة وجيدة عن صورة إسـرائيل.. ووراء ذلك سر مهم وهو أن اليهود يملكون في الأساس سيطرة شبه كاملة في عالم المال والأعمال الذي يغطـي تكـاليف هـذه الصحف بإعلانات بغير حدود.(٨)

وقد تمكن اليهود بفضل جهازهم الإعلامـي الخـارجي الفعال من تحويل الذكرى السنوية للهولوكوست إلـى أعيـاد قومية تحتفل بها الكثير من دول العالم الغربي، ففي الولايات المتحدة الأمريكية تشارك كـل الولايـات الأمريكيـة فـي الاحتفالات بهذه الذكرى ودعمها بالأموال التي توافق عليهـا المجالس التشريعية التابعة للولايات وتنتشر أكثر مـن مائـة مؤسسة للهولوكوست في مختلف الولايات الأمريكية فضـلا عن وجود أكثر من (٢٠) متحفا للهولوكوست مـن أهمهـا متحف واشنطون الذي أقامه الرئيس الأمريكي السابق "جيمي

كارتر" كمحاولة للاعتذار عن اعترافه بـالحقوق الشـرعية للشعب الفلسطيني.

وفي إنجلترا قامت مؤخرا ملكة بريطانيا بافتتاح معرض خاص بالهولوكوست في المتحف الحربي البريطاني، ويعقـد في "اسكفورد" في ١٧ يوليو من كل عـام مـؤتمر بعنـوان "التـذكر والمسـتقبل" حيـث ينـاقش القضـايا المرتبطـة بالهولوكوست[٩]

لقد نجح الإعلام اليهودي الدعائي المتناسق في أن يغرس شعور الإحساس بالذنب ليس فقط في نفوس الألمان، ولكـن في نفوس شعوب العالم كلها. والسؤال الآن: أين نحن العرب من هذا؟ كيف نتذكر "دير ياسين" و "شاتيلا"؟ ومـن نطالبـه بتعويضات عن الأراضي الفلسطينية المغتصبة؟ وهل فكـر العرب في إقامة ولو متحف واحد لشهداء القضية الفلسطينية؟ وهل فكر أحد من إخواننا العرب الذين يشترون "ديزني لاند" ويقتنون القصور في إنجلترا وأمريكا.. "هل فكروا في إنشاء متحف للشهداء الفلسطينيين أو المليون شهيد في الجزائر في إحدى البلاد التي يستثمرون فيها أموالهم؟

لقد تحول الهولوكوست بفضل الجهاز الإعلامي الصهيوني إلى عقيدة رسمية دعائية الهدف الحقيقي منها ليس فهم الماضي ولكن التحكم في الحاضر.

٢٤- يحسب لتجربة الفكر التربوي الصهيوني نجاحها في مجال التنمية البشرية، فبينما الأمية في العالم العربي لا تزال نسبتها حتى عام ١٩٩٧ حوالي (٤٥%) لا تزيد في إسرائيل عن (١%) فقط، وهو ما يعني أن العرب قد دخلوا القرن الحادي والعشرين بحوالي (٧٠) مليون أمي غالبيتهم من النساء، ونصيب الإنسان العربي من التعليم لا يزيد على (٣٤٠) دولارا في السنة بينما يرتفع الرقم في إسرائيل إلى (٣٥٠٠) دولارا.

وفي حين يصل متوسط الدخل السنوي في إسرائيل إلى نحو (١٤ ألف) دولارا فإنه ما زال يدور حول ألف دولار في معظم الدول غير البترولية، وإن كان يرتفع إلى أكثر من ذلك في عدد محدود من دول العالم العربي البترولية، ولكن يظل الفارق كبيرا بين متوسط دخل الفرد السنوي في العالم العربي والذي يقدر بحوالي (ألفي) دولار ومتوسط

دخل الفرد في إسرائيل والذي يقـدر بحـوالي (١٤) ألـف دولار.[١٠]

ومن الناحية النوعية يفوق الناتج المحلي الإجمالي للفرد في إسرائيل نظيره في البلدان العربية مجتمعـة، وتـزداد الشقة بينهما عبر الزمان، فالناتج المحلي الإجمالي للفرد في إسرائيل في نهاية التسعينات قد بلغ (١٧) ألف دولار سنويا، ويقترب هذا الرقم من إنتاجية المواطن الإنجليزي وهو مـا يزيد على سبعة أمثال القيمة المناظرة للفـرد فـي الـبلاد العربية، وهو ما سجله برنامج الأمم المتحدة للإنمـاء فـي تقريره عام ١٩٩٧، وقوة العمل الإسرائيلية التي لا تتجاوز (٣) ملايين فرد تنتج ما قيمته (٩٤) مليار دولار بينما قوة العمل المصرية التي تصل إلى (٢٠) مليونا تنتج ما قيمتـه (٤٧) مليار دولار أي النصف.[١١]

وبينما لا تمثل إسرائيل أكثر مـن (٢%) مـن سـكان منطقة الشرق الأوسط، إلا أن حصة صادراتها فـي عـام ١٩٩٧ بلغت (١٨%) من مجمل صادرات المنطقـة، كمـا وصلت صادراتها في عام ١٩٩٧ من المنتجات الإلكترونية ستة بلايين من الدولارات.[١٢]

٢٥- يؤخذ على الفكر التربوي الإسرائيلي غلـوه فـي التأكيد على التربية العسكرية وتدعيم الإحساس لدى أبنـاء الكيان الإسرائيلي بحتمية الحـروب مـن أجـل الوجـود البيولوجي الإسرائيلي، وهذا النمط في التربية ليس جديـدا في التاريخ الإنساني، فلقد عرفت البشرية من قبل التربيـة الإسبرطية والإنكشارية والنازية والفاشية، وكلهـا مضـت دون أن تترك بصمات لها، لقد أشار بعض الكتاب الصهاينة إلى خطورة مثل هذا النمط من التربية إذ أنه يمكن أن يؤدي إلى تدمير نفسية الناشئ الإسرائيلي وإرهاقه إلـى الدرجـة التي تجعله يأخذ الطرف النقيض للصورة التي أريدت لـه، ذلك أن تجريد الإنسان من العاطفة وتحويلـه إلـى حلقـة محاصرة أمر ليس من السهل تحمله على المدى البعيد.

هوامش الفصل التاسع

١- Bentwich, Joseph, A "Education in Israel" London, Rutledge and Kegan Paul, ١٩٦٥, p. ٤٢.

٢- دود تسوكر، "التعليم المهني نظام إجباري صارم، تـــل أبيـــب والقـــدس، ١٩٨٥، ص ٤٤٩ (بالعبرية).

٣- Unesco, Statistical Year Book, ١٩٩٩, Table, ٦-١١.

٤- هيثم الكيلاني، "دراسة في العسكرية الإسرائيلية"، مصدر سابق، ص ١٣٧.

٥- علي رءوف سـيد مرسـي، "أثـر المؤسسـات الاجتماعية والدينية في تربية الفرد في الكيـان الإسرائيلي"، في الأبعـاد التربويـة للصـراع العربي الإسرائيلي، مركز دراسـات الوحـدة العربية، جامعة الكويت، ١٩٨٦، ص ٣٨٨.

٦- نفس المصدر السابق، ص.ص ٣٨٩-٣٩٠.

٧- مرسي عطا ا ، "عن العجـز العربـي والنفـوذ اليهودي" الأهرام بتاريخ ١٢ أبريـل ٢٠٠١، ص ١١.
٨- نفس المصدر السابق، ص ١١.
٩- مختارات إسرائيلية، مركز الدراسـات السياسـية والاستراتيجية بالأهرام، فبرايـر ٢٠٠١، ص ٣١.
١٠- نادر فرجاني، "خريطة العلم والعلماء في إسرائيل والعالم العربي"، مصدر سابق، ص ٥٨.
١١- نفس المصدر السابق، ص ٥٨.
١٢- Unesco, Statistical Year Book, ١٩٩٩, Table ٦-١١.

الفصل العاشر

دور التربية العربية في مواجهة تحديات الفكر التربوي المعاصر في إسرائيل

حين نتناول دور التربية العربية تجاه تحـديات الفكـر التربوي المعاصر في إسرائيل، فلابد أن نأخذ في الاعتبـار أن التربية جزء من كل، ونظام فرعي من نظام كلي شامل، وأنها بالتالي لا تقوى وحدها على الإطـلاع بهـذه المهمـة الكبرى، مهمة بناء فلسفة تربوية عربية قادرة على مواجهـة تحديات الفكر التربوي الإسرائيلي، بل إن قولنا بريادة التربية وقيادتها في هذا المجال قول لا يجوز أن يفهم على إطلاقـه، فقد زال الوقت الذي كان القوم يحسبون فيه أن السبيل إلـى تغيير نظام المجتمع كله هو سبيل التربية، وقد غدونا اليـوم بعيدين عن الأحلام الطوباويـة التـي قـال بهـا "روسـو" و"بستالوتزي" قديما والتي ذهب إليها كثير من المحدثين فـي أوائل هذا القرن وأواسطه، بل التي يدعو إليها بعض المربين اليوم (ولاسيما من أصحاب المدرسة المؤسسية) من أمثـال

(لوبرو Lobrot) و "روجرز" Rogers وسواهما، وجوهرها أن صياغة المجتمع تتم عن طريق صـياغة التربيـة، وأن للتربية قدرة ذاتية على أن تحدث انقطاعا عن مجتمع فاسـد وأن تعيد تجديد هيئاتها ومؤسساتها، بل نحن نجد اليوم مـن يغلو في الاتجاه المعاكس فيرى أن التربية لا تعدو وأن تكون إفرازا للنظام الاجتماعي القائم، وأن هدفها الأساسي الحفـاظ على مصالح أولي الأمر فيه (وتلك أطروحة مربين محـدثين من أمثـال "بورديـو" Bordieu و "باسـرون" Passeron و"بودلو" Bodelot و "استباليه" Establet[١]

ولئن كنا لا نذهب هذا المذهب الأخير المتطرف، مذهب من قال إن التربية عاجزة عن أن تجد نفسها بنفسها، بـل إن تجدد المجتمع من حولها، فإننا ندرك حدود التربية العربيـة ونقول بضرورة تكامل دورها مع سـائر أدوار المؤسسـات المجتمعية الأخرى والذي عن طريقه يمكن اشـتقاق فلسـفة تربوية عربية نابعة من واقع المجتمعات العربية وليست فكرا منقولا وبحيث تكون قادرة على مواجهـة تحـديات الفكـر التربوي الإسرائيلي ويكون ذلك على النحو الآتي:-

أولا: التربية من أجل الإيمان

إن عملية الخلط بين المجالين الديني والسياسي يكاد يكون مسألة حتمية بالنسبة للكيان الإسرائيلي، فهو يستغل العقيدة الدينية في سبيل تحقيق أهدافه السياسية، وبغض النظر عن استثمار الصهيونية للدين في سبيل تدعيم الوجود السياسي، فإنه من الواجب علينا تشبيع تعليمنا بعقيدتنا الدينية إسلامية كانت أم مسيحية، وهي دعوة أصيلة في منطلقها وحتمية في أهميتها.

إن من أهم المشكلات التي تعاني منها الأمة العربية وجود انفصام بين دينها كمنهج حياة وبين الواقع الذي تحياه، في الوقت الذي نجح فيه الكيان الإسرائيلي في ترجمة أساطيره الدينية إلى واقع عملي.

إن على المربيين العرب أن يؤكدوا على مبدأ التربية للإيمان بحيث يتضمن هذا المبدأ ما يلي:

- عناية التربية العربية بترسيخ الإيمان با في نفوس المتعلمين، وبالإسلام خاتم رسالات السماء، وبالديانات الأخرى وأتباعها من أهل الكتاب، واعتبار الدين من أخص ما يتميز به الإنسان.

- عناية التربية بما أقره الدين من مكانة الإنسان فـي الوجود وفي المجتمع، ومن اعتماده على هدى عقله وهـدى ضميره في سعيه المتواصل نحو الكمال.

عناية التربية بتحقيق التوازن في شخصية الإنسان مـن حيث حاجات الجسم وحاجات العقل وحاجات الروح.

- عناية التربية بما أقره الدين من القيم الإنسانية وتنشئة المتعلمين على الأخلاق الفاضلة والسعي في خير المجتمع.

- تأكيد التربية علـى أسـلوب الممارسـة العمليـة، فالتكاليف والفروض الدينية تتطلب ممارسة وسلوكا عمليا من جانب الإنسان العربي، وهو ما يتطلب اهتمام المربين العرب بترجمة ما يتلقاه التلميذ من دروس دينية نظرية إلى أسـاليب سلوكية.. إن الناشئة الصغار لا يمكـن أن يتعلمـوا ألـوان السلوك الديني إلا إذا مارسوها وأصبحت عادة، وهذا يعنـي ألا يقتصر دور المعلم على المعرفة اللفظية، وإنما يجـب أن يتعدى ذلك ليربط النظر والتطبيق.

إن التربية الدينية هي القوة التي لها أثرها الفعـال فـي حياة المجتمع العربي، وهي السيل الذي يحمي مـن الزلـل، ويصون من الانحراف، وبها تتضح معالم الحق والفضـيلة،

وهي عامل فعال في بث روح النضال والجهـاد ومناهضـة الصهيونية.

ثانيـا: التأكيـد علـى مبـدأ التربيـة مـن أجـل التضامن

فالتراث العربي الإسلامي يعتبر الفرد مسئولا عن نفسه وعن الآخرين، ويدعو إلى بناء مجتمع متكامـل متضـامن، وحسبنا في ذلك أن نذكر الحديث الشريف (مثل المؤمنين في توادهم وتحابهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منـه عضـو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى..)(البخاري).

إن قوى الصهيونية والاستعمار والرأسمالية العالميـة لا تتجه إلينا بخططها وسياساتها منفردة، وإنما دائما مجتمعة أو متعاونة ومنسقة، ولسنا في حاجة إلى القول بـأن الجهـد العربي الموحد أشد خطرا وأقرب إلـى تحقيـق الأهـداف المطلوبة من اتخاذه مسارات انفرادية مهما تسلحت بصـور الإيمان بالقضية والإخلاص لها قولا وعملا.

ومما يثير العجب حقا تكاثر الدراسات التـي توصـف بأنها علمية عن جوانب الحياة العربية المختلفة الاقتصـادية والاجتماعية والثقافيـة وسـواها دون أن نجـد وراء هـذه

الدراسات غالبا هذا الإيمان البدهي الذي ينبغـي أن يكـون خيطها الرائد، ونعني به الإيمان بتكامل الوجود العربي، بـل لعل الحديث عن تباين الوجود العربي في مثل هذه الدراسات قد غدا في نظر أصحابها مؤشرا دالا على روحهـا العلميـة العقلانية.

ما الذي خلق الكيان الصهيوني وما الذي يبقي عليـه؟ أو ليست الرابطة القومية الخاصة التي تربط بين أبناء الشعب اليهودي والتي ظلت حية عـدة قـرون؟ إن هـذا الشـعور بالانتماء المشترك الذي تعهدته الصهيونية وغذته وعبأته هو الذي استطاع أن يعبئ كل شيء من أجل خلق هـذا الكيـان المصطنع، وفي رأينا أن العنايـة بتكـوين روح التضـامن العربي وروح العمل الجماعي المشترك لدى أبنـاء الـوطن العربي منذ نعومة أظفارهم مطلب ينبغي أن يـولي عنايـة خاصة ولاسيما في الحياة المدرسية، بحيث نجعل كل شـيء في المدرسة يدور حول "النحن" لا حول "الأنا" على حد تعبير المربي الألماني "كرشنشـتاينر" Kerschensteiner، أمـا وسائل ذلك أشبعها الأدب التربوي بحثا (العمل فـي فريـق، التقويم الجماعي، التربية المؤسسية..إلخ).

إن التعليم في الوطن العربي لم يوفق حتى الآن في تحقيق التضامن بين شعوبه، فالتشرذم والإقليمية هي الخصائص السائدة في مناهج معظم دوله، والتاريخ الذي ينبغي أن يستثمر لبناء النموذج العربي المتضامن، انقلب ليكون قناة اتصال لتدعيم صورة الزعيم أو السلالة الحاكمة أو الحزب الأوحد مما جعل الكفر بالواقع العربي يزداد يوما بعد يوم.

لم لا نحرص على تقديم نموذج تربوي لا نقول مستلهما من الكيبوتز ولكن مستلهما من الإسلام ومبادئه في الوحدة والتضامن كالبنيان يشد بعضه بعضا؟!!، ألا يتبنى العرب تأسيس تعليم يرتبط بتحقيق تجانس العرب واندماجهم من البداية إلى النهاية بدلا من تمزقهم وتفتتهم، فالخصم يجمع ما فتت ليدمج، ونحن نمزق ما جمع لنفتت، لهذا ندعو وبمشاعر صادقة أن تسعى دولة عربية في شرق أمتنا أو مغربها لتؤسس نموذجا تربويا – كتجربة – ترمز إلى الطفل العربي الموحد من الروضة حتى الجامعة، والدين الإسلامي كفيل بإعطاء عناصر هذا الاندماج وتزويده بالمبادئ والمشاعر والطموحات، واللغة العربية تجسد وسيلة الاندماج، والأرض

تشكل المحور، والغاية من الاندماج في هذه المؤسسة إعـداد رجل الغد في الوطن العربـي ولا نقـول الدولـة العربيـة المتحدة، ليكن (٢٥%) من تلاميذ هذه المؤسسات من أبنـاء الأرض، (٢٥%) من أقطار المواجهة، (٥٠%) من الأقطار العربية والإسلامية اختياريا.

لقد حبا ا الوطن العربي بمقومات وحدة لم تتوفر لأمم كثيرة أخرى، وزينه بالتنوع والتكامل بين أجزائه، إن علـى المربيين العرب أن يؤكدوا على هذه المقومات في المنـاهج الدراسية والدعوة من خلالها إلى دخول أقطار الوطن العربي في تكتلات اقتصادية وسياسية لمواجهة تكـتلات الحاضـر وتحديات المستقبل، إن الدراسات العلمية التي تراكمت طوال السنوات الماضية في أنحاء العالم العربي أكدت من منطلـق الإمكانات الواقعية المتاحة أن قيام مثل هذه التكتلات السياسية الاقتصادية سيكتب لهـا النجـاح إذا مـا صـفت النفـوس واستيقظت الضمائر وتغلبت المصالح المشتركة على المنافع الأنانية للأفراد أو الدول.

لماذا لا تكون هناك سوق عربية مشتركة على نسق الاتحاد الأوربي ومنطقة التجارة الحرة وجماعة الباسيفيك وغيرها مما يتخلق من تكتلات في عالم الغد؟

إن التبادل التجاري بين الدول العربية لا تتعدى نسبته ٣% بالقياس إلى نسبة تجارة كل منها مع العالم الخارجي[٢]!! فهل يعقل هذا الأمر بين أناس يدعون كل يوم في مؤتمراتهم وبياناتهم أنهم أبناء أمة واحدة!!. إن السياسات التي لا تزال متبعة في بلادنا العربية سياسات تابعة فقيرة لم تصل قط إلى تحقيق الحد الأدنى لآمال الشعوب التي لا تزال تشتاق إلى يوم يتغير فيه الواقع العربي الممزق إلى "وحدة اقتصادية" تدعمها سياسة خارجية مستقلة وسياسة دفاعية قادرة على حماية أمن ومصالح المواطن العربي.

لقد قام مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بصحيفة الأهرام القاهرية من أول سبتمبر ٢٠٠٠ وحتى (١١) فبراير من عام ٢٠٠١ بمسحين عامين للرأي العام، وأربعة مسوح قطاعية للعاملين في القطاع الحكومي والخاص والأكاديمي والإعلامي وقد تم ذلك في إطار بحث خاص بالتكامل الإقليمي بين دول المشرق العربي، وشارك

فيه خمسة مراكز بحثية شقيقة من الأردن وسـوريا ولبنـان وفلسطين ومصر وكلها قامت بنفس العمل في ذات التوقيتات بهدف معرفة اتجاهات المواطنين إزاء التكامل العربي والذي يدرج عادة تحت عناوين مختلفـة مثـل السـوق العربيـة المشتركة والمنطقة العربية للتجارة الحرة وأحيانـا الوحـدة العربية بشكل عام.[٣]

وأظهرت النتائج الخاصة بالاستطلاعات أن هناك قدرا عاليا من الإجماع على تحقيق التكامل في مجالات الاقتصاد والسياسة والأعمـال بنسـبة فاقـت (٩٠%)، وأن أعلـى التفضيلات كانت تتعلق بالسوق العربية المشتركة والمنطقـة العربية للتجارة الحرة، كما كان هناك شبه إجمـاع وبنسـبة (٩٣%) على تعزيز التعاون الثقافي والفنـي بـين الـدول العربية، وربما يرجع ذلك إلى التشابه الثقافي العام بين الدول العربية والاعتقاد الدافع بأن العادات والتقاليـد بـين الـدول العربية تتشابه بدرجة كبيرة.. أما البديل الشرق أوسطي الذي يضم إسرائيل إلى جانب دول غير عربية أخرى، فإنه حصل على نسبة تأييد قدرها (٢,٣%)[٤]، وهو ما يـدل علـى أن التيار السائد بين من أجري عليهم الاسـتطلاعات عروبـي

النزعة، وأن التكتلات العربية لا تقع فقط على رأس دوائـر الاهتمام بحكم الأوضاع الاستراتيجية فقط، بل أيضا بحكـم ظاهرة التكامل الجغرافي والاقتصادي بين الدول العربية.

إن فلسفة التربية في الوطن العربي ينبغي أن تسـتهدف التأكيد على تحقيق التكامل العربي وإبراز مقوماته، كوحـدة العقيدة واللغة والتاريخ المشترك والتكامل الجغرافـي ومـا ينطوي عليه من تشابه طبيعي ومناخي وجيولوجي وتكامـل في الثروات الحيوانية والمعدنية والنفطية والبنائية، وتقويـة إرادة الناشئة وحفزها على النضال للقضـاء علـى عوامـل التفسخ والتجزئة، وإبراز خطط إسرائيل في ترسيخ التفرقـة الاجتماعية والسياسية داخل الأقطار العربيـة.. إن الـروابط القومية بين الدول العربية ينبغي أن تنفذ بقوة إلى مضـامين التربية العربية فتغرس في نفوس المتعلمـين، وتنقـل مـن المستوى اللفظي والحفـظ الببغـائي إلـى الفهـم والإدراك والسلوك.

ثالثا: التأكيد على قيمة العمل

عن التراث العربي ولاسيما بعد ظهور الإسلام حاول القضاء على بقايا النظرة القبلية القديمة، تلك النظرة التي تحتقر العمل اليدوي، وتعد الحرفة احترافا والمهنة امتهانا، لقد أكد الإسلام على أهمية العلم وفضله على العبادة.

لابد للعرب أن يتجهوا إلى العمل المنتج، فالإنتاج وحده هو الذي يرفع معدلات التنمية كما يعلي من شأن النفسية الفردية والاجتماعية، ومقتضى ذلك أن يكف بعض العرب عن مجرد العيش على الريع الناتج عن موارد طبيعية أو ثروات عقارية أو عوائد إيداعات أو نواتج وساطات (سمسرة)، وحتى إذا كان لشعب أو لفرد موارد ريعية، فإن عليه أن يعمل ولا يعيش عاطلا باطلا على هذا الريع، فالشباب في الأمم الناهضة يعمل دون تأفف وبغير شكوى وبلا تعاير من أي عمل شريف مهما كانت ثروة أسرته أو مكانة والديه.

إن أهم سلبيات الواقع العربي هو ما جبل عليه من المكافأة بين القول والعمل، والاستعاضة عن أي عمل جدي بالكلام الإنشائي المتكرر.. فأي عقلية تكافئ بين القول

والعمل هي عقلية لا تزال تحيا في خيالات الطفولة وأحـلام اليقظة بعيدة عن الواقع هائمة في الخيال.

لا نريد أن يكون العرب ظاهرة صوتية يتكلمـون ثـم يتكلمون ثم يهدأ بالهم ويسكن حالهم.. إن الصراع الحضاري مع إسرائيل لا يحسم بالخطب الرنانة مـن فـوق المنـابر، ولا بالأقوال المهيجة من الشرفات، ولكن يحسم بالعمل داخل المعامل وقاعات البحث ومجالس العلم حيث الهدوء والتعقـل والحديث الهامس.. إن اللغة الفعالة في الصراع الحضـاري هي لغة المعادلات المحددة والدالات الواضـحة والمفـاهيم العلمية والحوارات العقلانية، وما لم تتلاش أوهام المكافأة بين القول والعمل والتعلق بالثقافة اللفظية، فإن موقف العرب في الصراع الحضاري سوف يكون مضادا لمصالحهم.

إن التأكيد على قيمة العمل المنتج مطلب مهم من أجـل تغيير الواقع العربي وإعادة بنائه، وخاصة أن قيم الاستهلاك والتكدس السلعي أخذت تغزو الأقطـار العربيـة مـن كـل صوب، بحيث توشك هذه الأقطار أن تصبح مجـرد سـوق استهلاكية للعالم المتقدم.

ويتطلب تحويل الناشئة العرب من قيم مجتمع الاستهلاك إلى قيم مجتمع الإنتاج جهودا دائبة منذ نعومة الأظفار داخل المدرسة وخارجها بحيث يألف الطلاب العمل اليـدوي منـذ الصغر بتهيئة المجالات العملية التي تساعد على ممارسـته، وبحيث يعتادون أن تتسخ أيديهم، وأن يحيـوا حيـاة العمـل بحيث يكتشفون ما في استعمال الأصابع الخمس مـن ذكـاء وإبداع على حد قول "غاندي" ويدركون أن العقل الذي فـي اليد يفوق العقل الذي في الرأس على حد تعبيره أيضا.. وفي المدرسة مجال لتدريب التلاميذ على العمل في مجموعـات Teams مما يعودهم على التعاون مع الجماعة والترابط مع الغير، والعمل الفردي داخل إطـار المصـلحة الجماعيـة، فالعمل العلمي الصحيح هو الذي يسعى إلى تحقيق الموازنـة بين الصالح الفردي والصالح الجماعي ويجعـل مـن العلـم الفردي جزءا متناسجا بالعمل الجماعي.

وهناك بعض النماذج التي يمكن الأخذ بها فـي مجـال تحقيق التفاعل بين التعليم والعمل المنـتج، فهنـاك نمـوذج المدرسة المنتجة التي لا يكتفي أصحاب فكرتها مـن أمثـال (روبرت أوين، ومكارينكو، ويوليوس نيريرى) بتعليم الأسس

العلمية للعمل أو التدريب على مهاراته أو ممارسته بعـض الوقت، بل يحرصون على الدمج الكامل بين التعليم والعمـل وتحويل المدرسة من وحدة تعليمية إلى وحدة منتجة.. وهناك التعليم التعاوني الذي يقوم على التفاعل بين التعليم والعمـل في المؤسسات الإنتاجية حيث يتدرب الطلاب على الأعمـال التي تتصل بالمجال العملي الذي اختاروه لفترات قد تصـل إلى ستة أشهر.

ونقترح في مجال ربط التعليم العربي بالعمل أن يتلقـى كل تلاميذه بعد الصف السادس في مدارس الـدول العربيـة قدرا من التعليم النظري أو الأكاديمي وقدرا آخر من التعليم المهني في نفس الوقت بحيث يخصص لكل منهمـا (٤٠%) من مجموع الساعات الدراسية، ثم يختار التلميـذ أن يزيـد الجرعة الأكاديمية أو الجرعة المهنية في حدود العشرين في المائة المتبقية من مجموع الساعات المخصصـة للدراسـة، وبهذه الطريقة يكون كل تلميذ مؤهلا لدخول سوق العمل إما بعد نهاية المرحلة المتوسطة أو نهايـة المرحلـة الثانويـة، وكذلك يكون كل تلميذ مؤهلا لفرصة دخول الجامعة إذا أراد وكان قادرا بعد المرحلة الثانوية، وهذا الاقتراح قريب جـدا

من المفهوم الألماني حيث يتلقى الطلاب الألمان بعد السادسة وحتى السادسة عشر تعليما موحدا لا فصل فيه ولا انفصال بين تعليم أكاديمي وتعليم فني أو مهني، وهذا التعليم الموحد الذي يطلق عليه "التعليم البوليتكنيكي" يوازن بشكل دقيق بين اكتساب المعارف النظرية والمهارات العملية الفنية.

وإذا كانت بعض الدول العربية تعاني في الوقت الحاضر من مشكلة البطالة وخاصة بين طبقة المتعلمين لعزوف الكثير منهم عن اقتحام الأعمال الحرة، فإن ذلك يتطلب توعية الطلاب بقيمة الأعمال الحرة لأن في مجال العمل الحر منافع شخصية لهم، وفيه مجال للترقي والاعتماد على النفس وتقدير يتمشى مع الجهد الذي يبذل.. ويبدو أن التعليم العربي لا يعرف حتى الآن كيف يعلم ويدرب من أجل العمل الخاص، ومع ذلك فنحن نرى أنه يمكن إنشاء معاهد ومؤسسات تعليمية لتعليم وتدريب خريجي التعليم النظامي على بعض المشروعات والحرف الصغيرة، ونقترح تدريس مادة باسم إدارة الأعمال الصغيرة لطلاب الجامعات تتضمن كيف يمكن إنشاء مشروع صغير وإدارته إدارة مالية عن

طريق تعريفهم بنظام حسابات المشـروع الصـغير ونظـام التكلفة.

لقد أضحى العمل المنتج مطلب لازب من أجـل بنـاء المجتمع العربي الجديـد القـادر علـى مواجهـة التحـدي الصهيوني.. أو لم تكن التعبئة القوميـة مـن أجـل العمـل والإنتاج منطلق جميع النهضات الكبرى التـي حـدثت فـي العصر الحديث في اليابان وفي الصين وفـي دول النمـور، أو لم تقم دولة إسرائيل نفسها على سواعد العمل كما قامـت على أسنة الحراب!!

رابعا: تضمين برامج التعليم العربية كل ما يساعد على فهم ودراسة الكيان الإسرائيلي من جميع الجوانب

إن منطق البحث العلمي يتطلب من الإنسان إذا أراد أن يتصدى لمشكلة ما أن يحللها ويتعرف على أبعادها المختلفـة وبعدها يمكن أن يفكر في حل لها، وما دام الأمر كذلك فـإن مواجهتنا للتحدي الصهيوني يتطلب منا دراسـة الصـهيونية ومعرفة المجتمع الإسرائيلي الذي تتجسد فيه كـل دعـاوى الصهيونية حتى يمكـن أن نحسـن المواجهـة.. وإذا كـان

"توينبي" قد فسر بروز الحضارات بمعادلة التحدي والاستجابة، فإنه اشترط للعامل الثاني الوعي لدى المجتمع ونخبته بالتحديد لذلك التحدي(٥)، إن الوعي بأهداف الدولة الصهيونية وأساليبها أمر لازم لتشكيل نوع الاستجابة العربية اللازمة لمواجهتها، ومن المعروف أن إسرائيل تخفي ككيان صهيوني أكثر مما تظهر، وتوجه ما لديها من معلومات لتعطي الآخر الصورة التي تريد هي أن يأخذها عنها لا الصورة الموضوعية كما هي.

إن أغلب العرب يعزفون عن دراسة إسرائيل من كافة المناحي والمناشط والاطلاع على التوراة والتلمود لاستجلاء الفكر الذي يحرك الإسرائيليين حتى يمكن وضع سياسة متناسقة للتعامل معهم في الحال والاستقبال، وهم يكتفون في هذا الصدد بصيغة "نفي الآخر"، وهي صيغة غير واقعية وغير علمية وتؤدي لا محالة إلى نزعات أخلاقية متطرفة تضر كثيرا ولا تفيد ولو قليلا.

وتفتقر معظم مناهج التعليم العربية إلى دراسة واقع المجتمع الإسرائيلي والوقوف على الأيديولوجيات التي تحرك مساره، فقد أشارت إحدى الدراسات من خلال تحليلها لمناهج

المواد الاجتماعية في ثلاث دول عربية يقيم فيها أكثر مـن ثلثي الشعب الفلسطيني وهي الأردن ولبنان وسـوريا إلـى افتقار مناهج المواد الاجتماعية في هذه الدول إلى المعالجـة العميقة للحركة الصهيونية من الزوايا الآتية:

- تحديد الهوية العنصرية للحركة الصهيونية.
- المطامع الصهيونية التوسعية.
- الربط بين مصالح الاستعمار والصهيونية(٦)

وقد أوضحت دراسة أخرى أجريت على عينة من الدول العربية شملت الأردن والجزائر وسوريا والكويـت ومصـر واليمن أن نسبة ما كتب عن الكيان الصهيوني وأيديولوجيتـه وأطماعه في كتب المواد الاجتماعية (الجغرافيا – التـاريخ) في جميع سنوات الدراسة ما قبل الجامعية فـي كـل قطـر ضعيفة جدا بالقياس إلى حجم هذه الكتب، حيث كانت النسبة دون (٨%) في الأردن، ودون (١,٥%) في كل من الجزائر ومصر وسوريا والكويت واليمن، وأرجعت الدراسة زيـادة النسبة المخصصة لدراسة الكيان الصهيوني في الأردن إلـى ارتباط تاريخه بالأزمة الفلسطينية، ومن هنا جاءت الزيـادة في حجم المادة في المنهاج الأردني.(٧)

كما أشارت دراسة ثالثة إلى أن الجامعات العربية في هذا المجال ليست أحسن حالا من المدارس، حيث أوضحت أن تناول الكيان الصهيوني وأيديولوجيته وأطماعه كمادة علمية إما لا تدرس إطلاقا في الجامعات العربية أو أنها مادة اختيارية[٨]، في الوقت الذي يبلغ حجم ما يتلقاه الطالب الأمريكي في الجامعة عن الكيان الإسرائيلي والصراع العربي الإسرائيلي(٦,٤٨%)[٩]، أي أفضل من معظم الأقطار العربية، فكيف نشن حملات إعلامية خارجية ضد الكيان الصهيوني في الوقت الذي تفتقر فيه شعوبنا إلى المعرفة العلمية بواقعه والذي أصبح حقيقة واقعة.

وتدعو الضرورة إلى إنشاء مركز أبحاث عربي على أرقى المستويات تشرف عليه كوادر متخصصة، ويخصص له ميزانية كافية بحيث يتولى رصد ما يدور في إسرائيل من جميع الجوانب السياسية والاقتصادية والعلمية والعسكرية والتربوية، ويقوم بجمع وتوثيق كل المواد والوثائق والإحصائيات والدراسات الصادرة عن الكيان الصهيوني، على أن يتوخى جمع المادة وتوثيقها الالتزام بالموضوعية، وتزداد أهمية مثل هذا المركز وعلى هذا المستوى إذا نحن

أدركنا أن صراعنا مع عدونا هو صراع حضاري، وسلاحه الأول الذي يستخدمه ضدنا هو سلاح العلم، وأن تفوقه علينا في جذوره وأساسه هو تفوق العلم والوحدة علـى التخلـف والتجزئة.. كما ينبغي التأكيد على الاهتمـام بتعلـيم اللغـة العبرية في مختلف المعاهد والجامعات العربيـة، وترجمـة مؤلفاتهـا وذلـك لمتابعـة التطـورات العلميـة والثقافيـة والاجتماعية في المجتمع الإسرائيلي، وفهم ما يجري داخلـه وبخاصة في مجال الفكـر السياسـي والتربـوي والعلمـي والتكنولوجي.

خامسا: اتخاذ اللغة العربية كأداة تدرس بها علوم العصر

وفي هذا الصدد ينبغي أن نأخذ الـدروس والعبـر مـن الكيان الصهيوني، حيث نجح الفكر التربوي هناك في إحياء اللغة العبرية بعد مواتها أكثر من ثمانية عشر قرنا، واتخاذها كأداة تدرس بها العلوم الحديثة والطب. لقد تمثل أبناء الكيان الإسرائيلي بلغتهم علوم وتقنية العصر، في حـين مـا زال (٢٠٠) مليون عربي كانت لغتهم لغة علم العالم طوال عشرة قرون يتنافسون فيما بينهم عن مدى صلاحية اللغة العربيـة

لتعريب العلوم واحتوائها، لقد آن لهذه القضـية أن تحسـم، فالإبداع العلمي والتكنولوجي في أية أمة من الأمم لا يمكـن أن يتم إلا إذا نشرته الأمة بلغتها القوميـة لتحقيـق النجـاح والتفوق، وهو ما ينطبق على كل من اليابان والصين، حيث تسيطر اللغة القومية على حياة شعوب هاتين الدولتين سيطرة كاملة.

إن أكبر مؤامرة حيكت على الأمة العربية هي هذا العمل التشويهي التربوي الذي ساد حياتهـا فـي الخمسـين سـنة الماضية والمتمثل في تقسيم الساحة الفكرية إلـى قطـاعين: قطاع الدارسات الإنسانية وتستعمل فيـه العربيـة، وقطـاع العلوم والتقنية والبحث العلمي وتسـتعمل فيـه الإنجليزيـة بالمشرق وليبيا (عدا سوريا) والفرنسـية بـدول المغـرب العربي.

وإذا كانت حجج أنصار عدم تعريب العلوم والتكنولوجيا ترتكز على عدم توافر المصطلحات العلمية والتكنولوجية في اللغة العربية، وعدم توافر المراجـع العربيـة ممـا يعيـق استمرار متابعة المنجزات العلمية لدى أهـل الاختصـاص، فالرد على ذلك أن أي لغة قادرة على امتصاص أية مجموعة

من المفردات من لغات أخرى، وإعطاء هذه المفردات هوية جديدة نابعة من أساليب بناء وتركيب تلك اللغة، ومن المعلوم أن أعضاء المجتمع العبري في إسرائيل قاموا بنحت كلمـات ومصطلحات علمية عبرية من العدم تقريبا.. وأمـا قضـية المراجع العلمية العربية وعدم توافرهـا، فـيمكن أن تحـل بالإكثار من الترجمة، وهي قضية تواجه أمم العالم كلها. ففي اليابان مراكز علمية للترجمة، وكذلك في الصـين وروسـيا وأمريكا وفرنسا وألمانيا، وتكاد لا توجد مجلة علمية أو كتاب علمي أساسي إلا وهو مترجم إلى هذه اللغات جميعا.

سادسا: التربية من أجل ترسيخ الديمقراطية

مع أن الديمقراطية كلمة يونانية، فقد أصـبحت تعبيـرا عالميا.. إن الديمقراطية أسلوب حياة يتناول جميع نواحيهـا، إنها تعني الإيمان بقيمة كل فرد في المجتمع ومساواة جميـع المواطنين في الحقوق والواجبات وأمام القانون، وسيادة أفراد الشعب وحقهم في اختيار حكامهم، وإتاحة الفرصة أمام جميع المواطنين لاستخدام مواهبهم إلى أقصى حد، والإيمان بذكاء الأفراد، واستخدام التفكير العلمـي فـي اتخـاذ القـرارات، والاعتماد على مبدأ الشورى، واحترام الرأي الآخر، وتقدير

كل فرد لمسئوليته في أي موقع، وممارسة النقد والنقد الذاتي، والديمقراطية لا يمكن أن يباشـرها شـعب مباشـرة حقـة صحيحة إلا إذا كان شعبا مستنيرا، وإلا انحرفت الديمقراطية إلى تزييف، وانحدرت إلى فوضى، فاستنارة الشـعب هـي الدعامة الحقيقية والرقابة الأساسية لأي ديمقراطية.

لا شك أن الديمقراطية هي مطلب حقيقـي فـي العـالم العربي، ولكنه مطلب يخلو من الحرارة ويفتقر إلى الكفاحية وهو يحتاج إلى تـدعيم وتعزيـز.. إن مواجهتنـا للتحـدي الإسرائيلي تتطلب قوة، ولا قوة إلا بالديمقراطية.. المواجهة تتطلب ثقة بـالنفس وهـذه لا تتـوافر إلا بالديمقراطيـة.. المواجهة تتطلـب ولاء والـولاء لا يتـوافر إلا إذا شـعر المواطنون أن الوطن وطنهم حقا، وسبل إيجاد هذا الشـعور هو أن يشاركوا في حكم بلادهم وعدم ممارسة أي شكل من أشكال الاضطهاد المادي والمعنوي تجاههم.

إن التربية يمكن أن تسهم في ترسيخ الديمقراطيـة فـي العالم العربي إذا ما تواجدت صور الديمقراطية في مختلـف مجالات المجتمع العربي، وحينئذ تستطيع التربية بالتنسيق مع

كافة المؤسسات المجتمعية الأخرى القيام بدور هام في هـذا السبيل على النحو الآتي:

- إتاحة الفرصة لكل فرد لكي يحصل علـى حـد أدنى من التعليم النظامي في السن الملائم.
- إلزام جميع الأطفال في سن معينة بتلقي نوعا من التعليم الإجباري.
- إتاحة فرص متساوية لمختلف الجماعات والبيئات للحصول على النوعيات المختلفة من التعليم.
- إزالة جميع الحواجز الصناعية بين مختلفة أنواع التعليم.
- تحقيق قومية التعليم.
- تحقيق درجة أعلى من المرونة داخـل النظـام التعليمي.
- توفير الأجواء المدرسية التي تساعد على الحوار وتقبل الرأي الآخر والعمل الجماعي.
- البعد عن التلقين وتعويد التلاميذ علـى التفكيـر النقدي، فالتعليم القائم على القهر والإرغام يكون

العلم فيه غائبا عن تحقيق وظيفته الاجتماعية التنويرية كقوة محركة للتقدم.

- توسيع مجال التعليم وتعدد مؤسساته.
- تمكين المتعلم من الاعتماد على جهوده الذاتية في تربية نفسه.
- توفير الحرية الأكاديمية في التعليم والتدريب.
- عدم فرض أي حظر على الكتب والمجلات العلمية والمنشورات الأدبية والفكرية إلا ما كان فيه مساس بالأمن الوطني أو الأخلاق.
- مقاومة الأمية عن طريق سد منابع الأمية بتحقيق الإلزام ووضع برامج فعالة لتعليم الكبار.

سابعا: التربية من أجل التنمية

من المؤكد أن الوطن العربي يستحيل عليه أن يواجه صور التحدي الإسرائيلي المختلفة إذا لم يستطع أن يتجاوز حالة التخلف التي تشيع بوضوح بين كثير من أقطاره. وبلغة الأرقام الواضحة الدقيقة يظهر جليا أن معدل التنمية في إسرائيل يفوق معدلات التنمية في الدول العربي، حيث بلغ

متوسطه خلال عام ١٩٩٨ (٦,٣%) بينما بلغ متوسطه في نفس العام في مصر وهي أكبر الدول العربية (٢,٢%).[١٠]

إن العرب لم ينتبهوا إلى الوجهة الصحيحة في صراعهم مع إسرائيل وأعني بها مجال التنمية، والذين زاروا فلسطين في النصف الأول من الأربعينات لاحظوا أن المجتمع الفلسطيني كان منشغلا بالموائد الفاخرة وحفلات السمر، بينما كان المجتمع اليهودي منتبها إلى إقامة الجامعات والمعاهد وإنشاء المدارس ومراكز البحوث، وجمع الكتب والمؤلفات الأجنبية والعربية.

ومن أخطر الأمور أن نتصور أن مجرد (اليسر المالي) يعني حدوث التنمية وحتى النمو.. إن رصف الطرق العريضة وبناء العمائر الضخمة وإنشاء وامتلاء المراكز التجارية (السوبر ماركت) ليس مؤشرا للتنمية أو دليلا على الاستجابة الحضارية، خاصة إذا كان ذلك يحدث عن طريق خبراء أجانب وبأيد غربية.. التنمية الصحيحة والاستجابة الحضارية هي التي تكون إنسانية خالصة.

إن المطلوب هو تنمية القدرة العربية الذاتية، ومحور هذا التجديد الحضاري هو التركيز على تنمية البشر.. إن

الفكر التربوي العربي بدلا من استمراره وانشغاله في معالجة القضايا التربوية التقليديـة كـالخبرة والطبيعـة الإنسـانية والمعرفة وما إليها، يجب أن يتناول قضايا أكثر إلحاحا وأشد خطورة وأعني بها المشاكل المتصلة بتنمية المجتمع العربي كالفقر والقهر والتبعية والجهل.

وتعد مشكلة الفقر من أهم التحديات التي تواجه التنميـة في الوطن العربي، فبالرغم مما تتمتع به بعض الدول العربية – وأعني البترولية – من ثراء إلا أن معظم سـكان العـالم العربي يعيشون في المناطق الفقيرة، بل إن متوسـط دخـل الفرد في بعض البلدان العربية ينخفض إلى حد خطير جـدا لأنه يعجز عن إشباع الحاجات الإنسانية الأساسية، حيث يبلغ متوسط دخل الفرد السنوي في الصومال (٩٠) دولارا، وفي السودان (١٣٢) دولارا[١١]، ويزيد من بشاعة هذا الوضـع التباين الضخم الموجود داخل بلدان الوطن العرب بين دولـه البترولية الغنية وبين دوله الفقيرة.. ويرتبط بمشـكلة الفقـر سوء التغذية وانتشار المجاعات مما يسـاعد علـى انتشـار الأمراض وضعف الإنتاج وارتفاع معدلات وفيات الأطفـال وبطء النمو.

إن الوطن العربي تنضح أراضيه بالكثير من الثـروات الطبيعية والموارد الاقتصادية التي لو أمكن استقلالها لتخاص من مشكلة الفقر، وإذا كانت المساحة الزراعيـة فيـه تبلـغ (١١٥) مليون فدان، فـإن ضـعف هـذه المسـاحة قابـل للاستصلاح، ولو تحقق ذلك لأصبح الوطن العربي من أهـم أقاليم العالم في الإنتاج الزراعي، ولقام بتصدير جزء كبيـر من محاصيله إلى الخارج.

وتتوافر في الوطن العربـي مراعـي طبيعيـة تقـدر مساحتها بحوالي (٢٠%) من مساحته، وهو يستطيع أن يكفي نفسه من الإنتاج الحيواني إذا استثمر هذه المراعي بالصورة المثلى.

والوطن العربي غني بمسطحاته المائية التي يمكـن أن تزود دولة بثروة سمكية تحل مشكلة الغذاء، ولكن استغلالها لا يتم بالصورة المطلوبة حيث لا ينتج إلا (١%) من الإنتاج العالمي.(١٢)

ويمتلك الوطن العربي ثروة بترولية ضخمة تبلغ نسـبة إنتاجها (٢٠%) من الإنتاج العـالمي، وفيـه أكبـر نسـبة احتياطي من البترول في العالم، فضلا عن تـوافر الثـورة

المعدنية في مختلف أرجائه والتـي لـم تسـتغل بالدرجـة المطلوبة.(١٣)

إن استغلال كل هذه الموارد يساعد على حـل مشـكلة الفقر في الوطن العربي، وهو ما يتطلـب إعـداد العمالـة الماهرة والكوادر الفنية المدربة داخـل مؤسسـات التعلـيم العربية التكنولوجية بمختلف ألوانها.

وإذا كان الفقر يعد من أهم المشكلات التي تواجه الوطن العربي فقد أصبح القهر سمة سلوكية في الكثير من دولـه.. في نظم الحكم والإدارة، وفـي قهـر الطبقـات والعشـائر وسيطرتها على الطبقات الأخرى، وفي الأسرة وفي التربيـة والتعليم.

وفي داخل إطار الفقر والقهر تبرز في العالم العربـي بعض الفئات المحرومة التي يجب أن تكون هـدفا للجهـود الاجتماعية والتعليمية: الطبقات الفقيرة والنسـاء والأطفـال العاملين وسكان البادية والريف.

ورغم استقلال معظم بلدان العالم العربي، فإن التبعيـة لا زالت سمة مميزة لعلاقات الكثير من دوله بالعالم المتقـدم وخاصة العالم الغربي.. لقد زالت التبعية السياسـية، ولكـن

أغلال التبعية الاقتصادية والحضارية لازالت قوية، ويجـب أن يعمل الفكر التربوي العربي على تحطيمها وتحرير العقل العربي من أوهامه والأفكار المسيطرة عليـه.. لا يسـتطيع مفكر عربي أن يدعي التحرر وقيود القهر والتبعيـة تكبلـه، ولا يستطيع مفكر أن يدعو إلى السلام ورصاص العدو موجه إليه.

وتعد مشكلة الجهل في الوطن العربي نتيجة حتمية للفقر والقهر والتبعية، حيث ترتفع نسبة الأمية بين البـالغين (١٥ سنة فأكثر) لتصل إلى حوالي (٦٧%)، وتصل نسبة الأطفال في سن التعليم الابتدائي الذين هـم خـارج المـدارس إلـى (٣٣%) من مجموع الأطفال في سن التعليم الابتـدائي (٦-١١)، وتنتشر الأمية والحرمان من التعلـيم بـين الطبقـات الفقيرة وفي الريف والبادية وبين النسـاء[١٤]، ولا شـك أن التربية العربية مطالبة بأداء دور هام فـي تحقيـق الإلـزام وتعليم الكبار ومكافحة الأمية والارتفاع بالمستوى الصـحي وتعليم الفتاة.

ثامنا: تجويد فعاليات التعليم العربي

يمثل التعليم أحد العناصر الفعالة لتحقيق الأمن القـومي في البلاد العربية، وهو ما يتطلب الارتقاء به والأخذ بمعايير الجودة في تخطيطه وتنفيذه، وإذا كان التعليم العربي يعـاني في مختلف أبعاده من عدة مشكلات وأوجه قصور مما يشكل أهم التحديات التي تواجهنا في صراعنا مع إسـرائيل، فـإن مجابهة هذا الأمر يتطلب تجويد التعليم العربي وتحديثه باتباع الآليات الآتية:

١- إعادة النظر في بنية النظم التعليمية العربيـة وتنظيماتها الداخلية وقواعد القبول والاستمرار فيها والتخرج منها لتكون أكثر مرونة ويسرا في التحرك داخلها ومنها وإليها مـن ناحيـة، وأكثر استجابة للطلب الاجتماعي عليها مـن ناحية ثانية، وأكثر ارتباطا بتركيب المهن من ناحية ثالثة.

٢- تنويع المستويات والمناهج وتوسـيع فـرص الاختيار أمام المتعلمين وتبنـي مبـدأ النمـو الفردي في التعليم.

٣- الانتقال من الجزئية والتشتت إلى الشمول والتكامل في بناء المناهج الدراسية، فنحن نعيش في عصر أبرز سماته التكامل المعرفي، ويغلب على محتوى مناهج التعليم في البلاد العربية الجزئية والتشتت وتلقين المعلومات بطريقة متفرقة... لابد من ارتكاز المناهج على التكامل وتحقيق التنسيق والتناغم بينها لتؤلف حركة واحدة في تكوين الإنسان.

٤- جعل "كيفية التعلم" هو صلب العملية التعليمية، وينطوي ذلك على إعادة صياغة المناهج والكتب الدراسية بحيث تتسق مع هذا الهدف، وأن تكون مجرد أساسيات ونواتج لشهية المتعلم في كل مجالات المعرفة.

٥- توظيف المعرفة لا تخزينها، وتبني هذا الاتجاه معناه إعادة النظر في هذا الكم الهائل من المواد الدراسية التي يلتزم بها الدارسون دون أن يعرفوا كيفية الإفادة منها.

٦- جعل دور الحضانة مرحلة إلزامية بحيث يبدأ سن الإلزام من الرابعة أو الخامسـة ووفـق خطة زمنية لتعميمه، وجدير بالذكر أن مرحلة الحضانة في التعليم الإسرائيلي تعتبر مرحلـة إلزامية.

٧- الإسراع في إدخـال تكنولوجيـا المعلومـات والحاسبات الآلية وشبكات الإنترنت في قلـب العملية التعليمية داخـل المدرسـة العربيـة وخارجها.

٨- عند تحديد محتوى التعليم في البلاد العربيـة، ينبغي التأكيد على الذاتية الثقافية التي تعبـر عن أصالتنا بما تمثلـه مـن عقيـدة واحـدة وتجانس لغوي وتـاريخ مشـترك وبشـرط ألا تتحول إلى تعصب عنصري، وأن نتأمـل ما حولنا من تجارب معاصرة ونأخذ منها ما يلائمنا ويثري حضـارتنا ويسـاعدنا علـى التطور.

وإذا كانت اتجاهات الفكر التربوي الإسرائيلي قد استطاعت التوفيق بين الأساطير والخرافات وبين التقدم العلمي والمعرفة التكنولوجية من أجل تدعيم الكيان الصهيوني وحمايته، فلماذا لا نستطيع أن نوفق لا بين أساطيرنا وخرافاتنا ولكن بين حقائقنا التاريخية وتراثنا الخالد وبين التقدم العلمي والمعرفة التكنولوجية، لنعمق الشعور بالانتماء إلى الأمة ونزكيه ونجذره بقدر ما نؤصل التطلع إلى الغد والمستقبل الأفضل.

٩- الاهتمام برعاية الموهوبين في المدارس العربية.. إن صراعنا مع إسرائيل في المقام الأول هو صراع حضاري، وهو يستلزم إعداد كوادر متميزة في جميع المجالات تستطيع أن تخوض غمار هذا الصراع مع إسرائيل، وهو لا يتحقق إلا من خلال توفير رعاية خاصة وتعليم متميز للموهوبين منذ الصغر، ووضع الخطط والبرامج الكفيلة باكتشافهم ورعايتهم، وتوفير الحوافز المادية والمعنوية بما يدفعهم إلى المضي إلى الأمام..

وفي هذا الصدد تدعو الحاجـة إلـى إنشـاء مجلس أعلى عربي لرعاية الطلاب الموهوبين في البلاد العربية تمثل فيـه وزارات التعلـيم والشئون الاجتماعية والصـحة والتخطـيط، وتوجيه مراكز البحوث التربويـة والنفسـية والاجتماعية، والباحثين المتخصصـين فـي كليات التربية والخدمة الاجتماعية وأقسام علم النفس بالجامعات العربية للقيام بدراسات عن الموهوبين والمتفوقين والاسـتعانة بـالبحوث والدراسات التي تقوم بها المنظمات الدوليـة والإقليمية في هذا المجال.

١٠- إضفاء بعد دولي على المناهج الدراسية، فقـد أصبح العالم الآن أشبه بالقرية الكونية نتيجـة ثورة الاتصالات، وهو ما يتطلـب تضـمين المناهج الدراسية بعد دولي يشتمل على كـل ما يسهم في تزويد التلاميـذ بـبعض القـيم والمفاهيم المتصلة بالتفاهم الـدولي، كتقـدير قيمة السلام ومناصرة حقوق الإنسان وخاصة

حق الشعب الفلسطيني، واحترام ثقافات الشعوب الأخرى، وتشمل برامج التعليم في بعض الدول المتقدمة مادة يطلق عليها اسم Global Education وتدور موضوعاتها حول أساليب تعريف الجيل الجديد بالعالم المعقد الذي نعيش فيه.

١١- توحيد المؤسسات التعليمية أفقيا ورأسيا: إن توحيد المؤسسات الأفقية يعني اختفاء الازدواجيات الحالية وأخطرها انقسام المدارس بين عامة وفنية، وهي ثنائية تؤدي إلى التشوه النفسي للأبناء والآباء حيث درجوا على الاعتقاد بأن الفاشلين هم الذين يضطرون إلى التعليم المهني، أما وحدة المؤسسات على المستوى الرأسي فتعني اختفاء التقسيم التقليدي لمراحل التعليم (ابتدائي – إعدادي – ثانوي) وتقسيم السلم التعليمي إلى صفوف متتالية مترابطة تتدرج من الصف الأول حتى الصف الثاني عشر.

١٢- إنشاء مراكز مصادر التعلم في المدارس بحيث يتوافر فيها الأجهزة العلمية والتعليمية التي تخدم المناهج والمقررات الدراسية ويمكن البدء بتحويل المكتبات المدرسية الحالية لتكون نواة هذه المراكز.

١٣- تطوير التعليم الثانوي الفني وذلك عن طريق تحقيق الازدواجية في الإشراف على التعليم الفني، بحيث يتم التعليم النظري للطلاب في المؤسسات التعليمية، بينما يتم تلقي التدريب العملي في المصانع والورش ومراكز التدريب بالمؤسسات لتخفيف العبء الواقع على تجهيزات المدارس والمؤسسات التعليمية، وأن تقوم المؤسسات التعليمية بوضع المناهج مع المؤسسات الفنية المستفيدة من خريجي التعليم الفني، وجعل مدارس التعليم الفني وحدات إنتاجية عن طريق التوسع في رأس المال الدائم للتعليم والإنتاج وتعميمه على جميع

مدارس التعليم الثانوي الفني مما يحقق عائـدا اقتصاديا.

وفي هذا الصدد ينبغي معالجة أسـباب النفـور مـن التعليم الفني في البلاد العربية وذلك بفتح الآفاق أمـام طلابه لاستكمال الدراسة في الجامعات والمعاهد العليا.

١٤- ترشيد (عقلنة) الإنفاق على التعلـيم وإدارتـه باستخدام التكنولوجيا الإدارية الحديثة.

١٥- التأكيد على العلوم الحديثة وعلـوم المسـتقبل كاللغات الأجنبية التي تعتبـر مـن الأشـياء الحيوية التي لا غنى عنهـا بعـد أن أصـبح الاتصال والانتشار والانفتـاح علـى العـالم ضرورة قهرية لا خيار لنا فيه، وكذلك إعلاء قيمة علوم الرياضـيات والعلـوم الطبيعيـة والبيولوجية.

١٦- تحقيق مرونة الإدارة التعليمية بحيث تتحـول التنظيمات الإدارية من الشكل الهرمي القـائم على السلطة المركزية في يد القائد أو الفـرد

الواحد إلى التنظيمات المسطحة والمتداخلة والقائمة على التفاعل والتكامل.

١٧- الاهتمام بإعداد "معلمي الألفية الثالثة" لمواجهة التحديات العلمية والتكنولوجية، وبحيث يقومون بوظيفة رجال أعمال ومديري مشاريع ومحللين للمشاكل ووسطاء استراتيجيين بين المؤسسات التعليمية والمجتمع، وبحيث تكون مهمتهم الأساسية تزويد الدارسين بمفاتيح المعرفة وقواعد الأسلوب العلمي في الدراسة وطرق البحث السليمة والحديثة ومهارات الاتصال والمهارات الحياتية.

إن ملعمي الألفية الثالثة يجب أن يكونوا قادرين على تدريب أبنائهم على العمل المشترك "بروح الفريق" الذي لا يلغي في نفس الوقت الطموحات الفردية المتميزة والمواهب النادرة، وتسليحهم بلغة العصر وآليات التقدم.. إن ذلك يقتضي إعداد المعلم إعدادا منفتحا على كل التجارب العالمية، والاهتمام بتدريب المعلم أثناء الخدمة، وتحسين ظروف المعلم ماديا، والتوسع في إرسال المعلمين في بعثات

تدريبية إلى الخارج، وتحسين مستواهم المادي وتدريبهم على استخدام الأساليب الحديثة في التدريس مثل أسـاليب الـتعلم الذاتي، والتعليم بعض الوقت، والتعليم بالمراسـلة، والتعلـيم متعدد الوسائط.

١٨- إنشاء جامعات غير نمطية بحيث يتم العـدول عن النمط التقليدي للجامعات العربيـة، فهـو يهدد التعلـيم الجـامعي العربـي بـالجمود ولا يسهم في خدمة قضايا المجتمع، ويلاحـظ أن جامعاتنا العربية سارت منذ نشأتها علـى النموذج الأوربي فاتجهت إلى نظام الكليـات الأكاديمية، بل إن مصر حين اهتمت بالمعاهد الفنية العليا وأرادت تحويلهـا إلـى جامعـة تكنولوجية (حلـوان) إذ بالنظـام الأكـاديمي للجامعـة يغلـب عليهـا فـيطمس الطـابع التكنولوجي الذي أريـد بـه أن يميـز هـذه الجامعة.

إن الفكر المعاصر يقدم لنا نحوا من عشـرة نماذج للجامعات في العالم وتشـمل الجامعـة

التقليدية، والجامعة التكنولوجيـة، والجامعـة المتخصصة، والجامعة المتكاملـة، وجامعـة الهواء، والجامعة المتفوحة، وجامعة المراسلة، وجامعة الأمم المتحدة، وجامعـة الدراسـات العليا، وأخيرا الجامعة الإلكترونية.(١٥)

إن الأمر يتطلب إنشاء جامعات غير نمطية في الـبلاد العربية وأن تتفق رسالتها مع المجتمع التي توجد فيه، ففـي الولايات المتحدة الأمريكية توجد جامعات ومعاهد متخصصة لخدمة البيئة التي توجد فيها، مثل الجامعة الزراعية في ولاية "Iowa" وجامعة البترول فـي تكسـاس "Texas" وجامعـة الحديد في بتسبرج "Pitispurg"(١٦)، وفي إسرائيل يتخصص معهد التخنيون في العلوم التكنولوجية، ومعهد وايزمان فـي العلوم الأساسية وجامعة بن جوريون في علوم الصـحراء.. ويمكن إنشاء جامعات تكنولوجية نوعية في الـدول العربيـة تخدم مختلف مجالات التنمية مثل إيجاد جامعـة تكنولوجيـة تتميز بالتنمية الزراعية وجامعة تكنولوجية تتميـز بالتنميـة الصناعية، كما يمكن التخطيط لإنشاء كليات غير نمطية فـي العالم العربي تتناسب والظروف البيئية التي تتواجـد فيهـا،

فمثلا في مصر تنشأ كليـة للزراعـة الاسـتوائية وتحـت الاستوائية وكلية للطاقة في أسوان، وكلية لإنتاج السكر فـي قنا، وفي قلب نجد في المملكة العربيـة السـعودية تؤسـس جامعة لاستصلاح الأراضي الصحراوية، وفي السودان تنشأ جامعة للثروة الحيوانية وهكذا.

كما يمكن إنشاء كليات متخصصـة داخـل الجامعـات العربية تتولى تمويها مؤسسات الإنتاج المرتبطـة بمجـالات تخصصها مثل إنشاء كليـة لهندسـة البتروكيماويـات فـي مؤسسات البتروكيماويات، أو كلية للمعادن تـرتبط بشـركة الحديد والصلب، أو كلية لصناعة الإلكترونيات ترتبط بمصنع الإلكترونيات، وميزة إنشاء هذه الكليات المتخصصة تـوافر التمويل الجدي لها، وإمكان إعداد الطلاب داخل المصـانع، وتسهيل إجراءات البحث العلمي والتطبيقي.

١٩- تأكيد المنطق العصري في تـزاوج وتـداخل وتكامل العلـوم والتخصصـات فـي الـبلاد العربية، فالعلم يمر اليوم فـي حقبـة كسـر الحواجز بين هـذه التخصصـات Corring Bridges، فعلـى سـبيل المثـال تكـون

الجيوفيزيقا في خدمة البيوفيزيقـا، والهندسـة الطبية فـي خدمـة الإحصـاء البيولـوجي، والرياضة والكمبيوتر في خدمـة المكتبـات، والكيمياء في خدمة الآثار، والاقتصـاد فـي خدمة التعلـيم، والرياضـيات تخـدم جميـع التخصصات، إن الفواصـل التنظيميـة بـين الأقسـام العلميـة لا يجـب أن تحـول دون التواصل الموضوعي والالتحام العضوي بين فروع العلوم وتطبيقاتها.[١٧]

٢٠- تعميق التواصل العلمي بين الجماعات العربية وبين الجامعات والكليات ومعاهـد البحـوث والتخصصات المناظرة في العالم المتقدم.

٢١- نزول أساتذة الجامعات العربية فـي مواقـع الإنتاج والإسهام في حـل مشـاكل الإنتـاج، فالتباعد الموجود بين أساتذة الجامعة ومواقـع الإنتاج خلق نوعا من عدم الثقة بـين مواقـع الإنتاج والجامعة.

٢٢- توفير قدر من المرونة في برامج الدراسة الجامعية فهي ليست موحدة أو مصبوبة في قوالب ثابتة، وإنما تتميز بالمرونة والكثرة والتعدد في النوع والمستوى والمحتوى بحيث تسهم في إعداد الطالب إعدادا متوازنا مع المتطلبات الإنسانية والثقافية والعلمية والمهنية.

٢٣- تبني نظام الساعات المعتمدة في البلاد العربي، إذ أنه لما كان المدى الزمني للتعليم النظامي للفرد، لا يجب أن يزيد على خمسة وعشرين عاما، فإن الحل المنطقي لمواجهة هذا الوضع يكمن في تبني الساعات المعتمدة بحيث تحرر إرادة الطالب في اختيار ما يراه من مقررات تتناسب مع قدراته وتناسب ميوله ورؤياه المستقبلية، على أن تحقيق ذلك مرهون بتوافر عدة مقومات أبرزها تحديد حجم المجتمع الطلابي وفقا للمعدلات المناسبة، ووجود وفرة نسبية من أعضاء هيئة

التدريس، وتطبيق نظام البطاقات في تسـجيل الطلاب.

٢٤- تنويع أساليب التعليم والتقويم الجـامعي فـي البلاد العربية، فإذا كانت المحاضـرة تمثـل الأسلوب الشائع والتقليدي في الجامعات، فإن السياسات الجديدة في التعليم الجامعي تـدعو إلى استخدام أساليب حديثة تتناسب ومتغيرات العصر منها على سبيل المثال التعليم المتبادل أو التعـــاوني Cooperative Education والكتاب المبرمج، وأسلوب حـل المشـكلات بالطريقة المهنية، وأسلوب التعلم القائم علـى المصادر، حيث يعتمد الطالب على مصـادر تعلم مختلفة تشمل الكتب الدراسية والمراجـع والبرامج المعدة أو الجاهزة.(١٨)

٢٥- إنشاء مركز للمستقبليات في كل جامعة، بحيث يكون المستقبل ركنا ومحورا أساسيا في كـل أنشطة ومناهج التعليم، على أن تهـتم هـذه المراكز بالتعرف على كل ما هو جديـد فـي

العلم والتكنولوجيا وخاصة في العلوم الجديدة كالهندسة الوراثية والمواد الجديدة والإلكترونات الجديدة وعلوم الفضاء.

٢٦- إنشاء مراكز تسويق الأبحاث في الجامعات العربية يمكن من خلالها حل المشكلات الأساسية التي تعوق زيادة الإنتاج في مجال الزراعة والصناعة والتجارة.

٢٧- تأسيس كليات متخصصة للدراسات العليا في الجماعات العربية بحيث تجمع في رحابها أحدث التخصصات العلمية والتكنولوجية، ونستعين في أداء مهامها بأكثر المتخصصين خبرة في الداخل والخارج.

٢٨- ابتعاث البعثات الجامعية إلى الخارج وفق خطة مدروسة نابعة من الاحتياجات البحثية الملحة، على أن يواكب عودتهم استكمال الإمكانات المعملية التي تساعد على الاستفادة مما تعلموه.

٢٩- التوسع في تأسيس الجامعات المفتوحة بحيـث تقوم على التعليم الجـامعي غيـر التقليـدي، وتعتمد على أحدث منجـزات ثـورة العلـم والتكنولوجيا، وتذهب بمناهجها وأساتذتها إلى الطلاب حيث هم ودون أن تعطلهم عـن أداء أعمالهم اليومية، ودون أن تتطلب منهم التفرغ الكامل كما هو حادث الآن في التعليم التقليدي وذلك باستغلال الإمكانات الهائلـة للاتصـال والتواصل عبر شـبكات البـث التليفزيـوني وشبكة الانترنت في نقل المعلومات والدروس والخبرات، ونذكر في هـذا المقـام اهتمـام إسرائيل بالجامعة المفتوحـة والمتمثلـة فـي جامعة كل إنسان.

٣٠- أن تتحول وحدات الكليـات فـي الجامعـات العربية إلـى بيـوت خبـرة علـى أعلـى المستويات، فليس مـن العيـب أن تحصـل الجامعة على مبلغ من المال من شركة خاصة لإيجاد حل علمي لمشكلة معينة تواجهها هـذه

الشركة، وهكذا تتحول الجامعة إلى مركز من مراكز الإنتاج المستمر ولا تصبح عبئا علـى الدولة تقوم بأبحاث أكاديمية تنتهي قيمتها على أرفف المكاتب.

تاسعا: التنسيق بين التعليم واحتياجات سوق العمل

رأينا أن التعليم في إسرائيل يرتبط بسوق العمل وسـد احتياجاته الدائمة من القوى العاملة المدربة وهو ما يتم مـن خلال مشروع أورت لعام ٢٠٠٥.

إن العجز أو الفائض في القوى العاملـة يشـكل عبئـا اقتصاديا على الدول العربية، ولذلك فإن الخلل بجهة النقصان أو الزيادة في موضوع القوى العاملـة يعتبـر أمـر غيـر مرغوب فيه ليس من جانب المجتمع فحسب وإنما من جانب الأفراد أيضا.

ويرى البعض أن ربط التعليم باحتياجات التنمية القائمة في المجتمع يمثل عدوانا على حقوق الإنسان لأن الأصل هو أن يخلق الإنسان وظيفته في الحياة وليس الأصل أن يخلـق الإنسان للوظيفة، وتوجيه الإنسان في نوع معين من التعلـيم

يرتبط باحتياجات المجتمـع ينطـوي علـى إكـراه عقلـي ولا يتمشى مع استعدادات البشر[١٩]، ونحن نرى أن وظيفـة التعليم من حيث مساهمته في تنمية شخصية الفـرد وذاتيتـه لا يمكن فصلها عن الدور الذي يقوم بـه لسـد احتياجـات المجتمع من قوى عاملة مدربة قادرة على المسـاهمة فـي تنميته ورخائه فضلا عن أن هذا الاتجاه (عدم الالتزام بربط التعليم بسوق العمل) قد يناسب المجتمعات الرأسمالية الغنيـة التي تتمتع بثراء مادي وتقدم تكنولوجي يتيح خلـق ملايـين الوظائف واستيعاب مختلف التخصصات في كافة المجالات، أما بالنسبة للدول النامية ومن بينها الدول العربية فإن الأمـر يتطلب ضرورة توظيف التعليم لخدمة احتياجـات المجتمـع حتى يمكن تلاشي حدوث بعض المشكلات التي تـؤثر فـي المجتمع وخاصة مشكلة البطالة.

ومن الأساليب المتبعة في ربط التعليم باحتياجات سوق العمل طريقة الإسقاطات أي أسـلوب التنبـؤ بالاحتياجـات المهنية المستقبلية من القوى العاملة اللازمـة لتحقيـق هـذه الاحتياجات المستقبلية.. ولعل من أهـم الصـعوبات التـي يواجهها التعليم في هذا المجال، أن المهن والوظـائف التـي

يحتاج إليها المجتمع تتعرض للتغير بسبب تغيـر المعـارف والتكنولوجيا ووسائل الإنتاج، وهو مـا يتطلـب أن يكـون الإعداد التعليمي مرنا ومتنوعا وقادرا علـى التوافـق مـع متغيرات المستقبل.[٢٠]

ويتأثر سوق العمل في البلدان العربية بدرجات مختلفـة بالمتغيرات الجارية في أسواق العمل الخارجية، فقد أصـبح السوق في حاجة ماسة إلى المؤهلين بمهارات الكمبيوتر على مستويات العمل ابتداء من الوظائف العادية إلـى الوظـائف التخصصية وخبراء الطاقة والمحركات الكهرمائية، والأجهزة التطبيقية، والمواصلات وصناعة وتجهيز الأغذية، ومكافحة التلوث، والإلكترونات البيولوجية، والخبراء المتخصصين في الإلكترونـات، ونظـم المعلومـات، والهندسـة الوراثيـة، والمترجمين، وخبراء التسـويق وإدارة الوقـت، والإعـلام التليفزيوني، واستصلاح الأراضي الصحراوية واقتصـاديات المشروعات والسياحة والفندقة ودراسة الجـدوى، ومنتجـو الشركات السلكية والاتصالات[٢١]. وهو ما يتطلـب وجـود تنوع في تخصصات التعليم العالي العربي و تعـدد نماذجـه لمواجهة حاجات السوق ومطالب التنمية.

عاشرا: تفعيل آليات البحث العلمي في البلاد العربية

كان العلم أحد الدعائم الأساسية للحركة الصهيونية العالمية في بناء دولة إسرائيل، ومن ثم حظي البحث العلمي بأهمية كبيرة داخل الكيان الصهيوني، حيث تهتم الدولة بتمويل البحث العلمي، وتبلغ نسبة تمويله بالنسبة للناتج القومي (٢,٣%) أي أكثر من العرب (١١) ضعفا كما سبق وأوضحنا.

ومن الخطأ البين أن نقع أسرى للمقولة التي يرددها ويروج لها بعض المفكرين الغربيين وبعض المتغربين من مفكرينا وهي أن العلم صناعة غربية، فالحقيقة التي ينبغي ألا تغيب عن بالنا لحظة هي أننا استطعنا إبداع العلم في الماضي البعيد منذ ظهرت الحضارات الأولى التي علمت البشرية كل شيء على ضفاف النيل ووادي الرافدين، كما أبدعناه وشاركنا في تطويره إبان العصر الزاهر للحضارة الإسلامية التي لولاها لتجمد العلم وتوقف نهر الإبداع، وينبغي أن ندرك أيضا أن هذا النهر الإبداعي للعرب وللمسلمين لم يتوقف تماما منذ هذا التاريخ وإن أخذ في

التضاؤل شيئا فشيئا بفعل عوامل خارجية وداخلية عديدة، ولكن لم يحدث قط أن أصيبت الأمة العربية بالعقم العلمي التام في أي عصر من العصور أو في أي قرن أو في أي عقد من العقود التي مرت علينا في القرون الماضية.

إن الفجوة في البحث العلمي بين الدول العربية وبين إسرائيل هي فجوة كبيرة وهي لصالح إسرائيل، ويتطلب الارتقاء بالبحث العلمي في البلاد العربية لمواجهة التحدي الإسرائيلي في هذا المجال ما يلي:

١- العمل على إشاعة المفهوم الواسع والعميق للبحث العلمي بين أفراد المجتمع العربي، وتهيئة المناخ المناسب لممارسته على أوسع نطاق وعلى وجه سليم، بحيث يصبح سمة عامة للمجتمع وأسلوبا عاما للحياة يضبط الجميع سلوكهم على أساسه، ومنهجا لتحقيق التطور والنهوض بالمجتمع ويتحقق ذلك من خلال تنمية التفكير العلمي عند الأطفال والناشئين في المدرسة منذ الصغر، وكذلك من خلال الاطلاع على مجلات علمية

متخصصة، وتخصيص برامج علمية ثابتة في الصحف والمجلات العربية وأجهزة الإذاعـة والتليفزيون تتصل بهذا المجال، وإنشاء أندية العلوم والجمعيات العلمية وجماعات الابتكار والإبداع العلمي على مستوى الوطن العربـي لنشر الثقافة العلمية بـين طـلاب المـدارس والجامعات.

٢- وضع استراتيجية عربية للبحث العلمي ترتكز على ما يلي:

- تحديد الاحتياجات القومية مـن البحـوث العلمية العربية وأولوياتها وفقا لمراحل زمنية متعاقبة في إطار المـدى الزمنـي للخطـة المطلوبة (ماذا نريد؟).

- تقييم واقعي وأمين للوضع القائم للمرفـق القومي للبحث العلمي في البلاد العربية فـي مختلف القطاعات النوعية مقارنة بنظيره في مجموعة دول العالم المتقدم (أين نحن؟).

- تقدير الفجوة في البحث العلمي بيننا وبـين إسرائيل في القطاعات والتخصصات النوعية المكونة لمنظومـة البحـث العلمـي سـواء كمعارف أو خبرات أو تجهيزات أو تنظيمات مؤسسية والتي يلزم تجاوزها لتلبية احتياجاتنا القومية (ماذا ينقصنا؟).

- صياغة وتقييم البدائل الواعدة لانتقاء وتبني أفضل لتحقيق الأهداف المأمولة فـي ضـوء الاعتبارات والظروف الحاكمة عربيا ودوليـا (ما هو المطلوب عمله؟).

- وضع مخططات العمل التنفيذيـة للبـدائل المختارة في صورة برامج ثـم مشـروعات محددة مبرمجة زمنيا، وتقـدير مسـتلزمات تنفيذها، وتحديد أدوار الأجهزة المختلفة كـل حسب قدرته وفي إطار مسـئولياته، بحيـث تتضمن مخرجات هـذه المخطط ـات ثـلاث مجموعات مـن المشـروعات، مشـروعات عاجلة تلبي الاحتياجات الملحة، ومشروعات

متوسطة المدى، ومشروعات طويلة المـدى للوفاء بالاحتياجات الاستراتيجية المسـتقبلية، ويراعى في كـل الأحـوال إدخـال البعـد الاقتصادي والاجتماعي في كل البحوث

٣- رفض تلك الدعوة التي تروج لها بعـض الدوائر الغربية والصـهيونية حـول إمكانيـة التكامل بين القدرات العربية البشرية والمادية وبين العبقرية العلمية الصهيونية وهي دعـوة ربما تثار على مائـدة المفاوضـات متعـددة الأطراف التي تجرى بين العرب وإسـرائيل وبمشاركة بعض دول أوربا.. إن هذه الدعوة التي تجد - للأسف الشديد – من يؤيدها مـن المثقفين والسياسيين العرب تروج لمعادلـة خطيرة هي: قدرات عربية نفطيـة ماليـة + عمالة بشرية وبصفة خاصة مـن مصـر + عبقرية علمية يهودية صهيونية = حضـارة عربية (شرق أوسطية) من طراز جديد.

إن من يؤيـدون هـذه المعادلـة الخطيـرة يتصورن خطأ أنها يمكن أن تحـل مشـكلة العلاقة بين "التخلـف العربـي"، و "التقـدم الإسرائيلي" في العصر الحالي، والواقع أنهـا معادلة تكرس هذا التخلف، وتحول الإنسـان العربي إلى ممول وعامل لخدمة إسـرائيل.. إن مكمن الخطأ في الترويج لهذه المعادلة من قبل السياسيين أو بعض المفكرين العرب هو العجز عن إدراك أن التخلف العربي مسـألة لا يمكن تداركها مطلقا عن طريق الاعتمـاد على الغير لأن الاعتماد على الغير (إسرائيل) سيرسخ فينا التبعية ويزيد من تخلفنا.

٤- ضرورة العمل بروح الفريق في البحـث العلمي من خلال قاعدة علمية واسعة تتكامل مؤسساتها وشبكاتها العلمية، فالعمل من خلال الفريق يؤدي إلى تقديم أفضل البحوث وإلـى ابتكار طرق جديدة في المجـالات المتنوعـة للبحث العلمي.

٥- زيـادة الميزانيـة المخصصـة للبحـث العلمي، بحيث لا تقل عن (٢%) من النـاتج القومي وليس كما هو (٠,٠٢%) كمـا هـو حادث الآن بشكل يدعو إلى الخجل، وتستطيع بعض الدول العربيـة وخاصـة البتروليـة الإسهام بدور هام في تمويل البحث العلمـي العربي، كما أن رجـال الأعمـال العـرب مطالبين بالاستثمار في العلم على اعتبـار أن الاستثمار في العلم يحقق العائد الأعلى فـي مجالات الاستثمار. إن الدور العلمي لرجـال الأعمال يمكن أن يتمثل في المسـاهمة فـي تأسيس وتجديد واستكمال تجهيـزات البنيـة الأساسية اللازمة لإنتاج البحوث، والمشاركة في إنشاء وحدات البحوث النوعيـة وتمويـل التكلفة الباهظة للأبحاث.

٦- إنشاء المراكـز المخصصـة للتعريـب والترجمة العلمية فـي كـل فـروع العلـم والتكنولوجيـا وخاصـة العلـوم الطبيعيـة

والرياضية، وقد يقول قائل: "لمـاذا التركيـز على تعريب العلوم الطبيعية والرياضية دون العلوم الإنسانية؟!!" ولـه أقـول: إن العلـوم الإنسانية قد قطع فيها المترجمـون العـرب شوطا طويلا، فضلا عن أن ما نحتاجـه الآن من علماء الإنسانيات هو جهـدهم الإبـداعي الذي ينظرون من خلاله واقعنا المعاش بـدلا من أن يطبقوا في دراساتهم مقولات غربيـة جاهزة لا تضفي على الواقع المحلي العربـي أي قيمة وعلى كل حال فإن ما نطلبـه لـيس التوقف التام عن الترجمة في العلوم الإنسانية وإنما إعادة التـوازن المفقـود فـي مسـألة التعريب، لأنه في الوقت الذي نجد فيه كمـا هائلا من المترجمات في العلـوم الإنسـانية، نجد في المقابل فقرا واضحا في المترجمـات العلمية! وليس أدل علـى ذلـك الفقـر أننـا لا نزال نعتمد في التدريس في الكليات العلمية على المؤلفات الغربية بلغاتها وهو أمر يدعو

للأسف الشديد!! فمن الضرورة إذا أردنا خلق بيئة مواتية للثقافة العلميـة التكنولوجيـة أن نسارع إلى التوسع في ترجمة هذه المؤلفـات إلى اللغة العربية، ولا مجال هنا لسرد حجج أنصار الإبقاء على النظام الحالي، فهي فـي اعتقادي حجج واهية أقل ما ترسخه في أذهان أصحابها وفي تلاميذهم الإحسـاس المريـر بالدونية والعجز، إن اللغة العربية أثبتت على مر العصور أنها لغة معطاءة متجددة، وأنهـا استطاعت في الماضي أن تسـتوعب علـوم اليونان والفرس والروم، وأن تصـبح اللغـة الأساسية للعلم طوال العصور الوسطى.

٧- إعادة العقول العلمية العربية المهـاجرة ذات السمعة العلمية إلى وطنهم، وهناك الكثير منهم يرغبون فـي ذلـك ولكـنهم يخشـون البيروقراطية والـروتين الحكـومي وكثـرة العقبات التي يمكن أن تعوق استكمال أبحاثهم وتطويرها، ومن ثم تعـوق تقـديم خبـراتهم

وخدماتهم إلى مجتمعهم.. إن عودة هؤلاء العلماء ضرورية لأسباب عديدة، منها ما يتمتعون به من خبرات علمية واسعة اكتسبوها عبر احتكاكهم المباشر بمراكز البحث العلمي المتقدمة في الغرب، وما يمكن أن يمثلوه من قدوة للعلماء العرب الشبان من حيث خبرتهم في الهجرة وفي البحث العلمي، كما أن عودتهم أمر ضروري ليحتلوا مراكز القيادة والصدارة في الجامعات والمراكز البحثية العربية بدلا من اعتماد هذه الجامعات والمراكز في كثير من البلدان العربية والإسلامية على القيادات العلمية غير العربية مع ما في ذلك من خطر، فهذه القيادات غير العربية تفتقر في معظم الأحيان إلى الإخلاص المطلوب والحماس اللازم والقدرات الضرورية، فضلا عن أنهم قد يندسون لأغرض تجسسية أو سياسية بهدف تقييد عملية التقدم العلمي والتكنولوجي ولتتحكم في

مسارها، وتبديد الثروات العربية في مشاريع براقة ليس لها من المردود الحقيقـي إلا مـا يتوافق ومصلحة دولهم فقط.

٨- الانفتاح العلمي والعالمي لعقد اتفاقيـات التعاون مع الهيئات الدولية والإقليمية والثنائية ومع الدول المختلفة، وبناء رؤية اسـتراتيجية لتلك الاتفاقيات باعتبارها موردا مهما لتوفير التمويل ونقل المعرفة، مع الاهتمـام بتنظـيم المشروعات البحثية المشـتركة مـع الـدول الأجنبية.

٩- تـوافر المعلومـات العلميـة بالوسـيلة المناسبة والتوقيت المناسب، ويتطلب الأمـر ترابط أجهزة المعلومات العربية مع بعضـها داخل البلاد العربية ومع غيرهـا ممـا هـو متوافر في الدول المتقدمة.

ضرورة اهتمام البلـدان العربيـة بـالبحوث المندمجة أي البحوث التي تـرتبط ارتباطـا مباشـرا بمشـروعات التنميـة الاقتصـادية

والاجتماعية والثقافية تمييزا لها عما يجـري من بحوث أخرى.

التوسع في النشر العلمي وإصدار الـدوريات العلمية العربية وتـدعيم وسـائل الاتصـال والتوثيق العلمي العربي الحديث.

١٢- تأسيس مدن عربية للعلوم، وتكون هذه المدن بمثابة القاعدة العلميـة الحديثـة التـي تهدف إلى خلق مجتمع عربي علمي متطـور ومتماسك لتلبية الاحتياجات العلمية لكل بلدان العالم العربي، ويراعى عند إنشـاء المـدن العلمية الحديثة في كل البلدان العربية تـوفير سبل التفرغ العلمي الكامـل للبـاحثين عـن طريـق الإعاشـة والرعايـة الكاملـة لهـم ولأسرهم، وذلك لتهيئة المناخ للباحثين كـي يتفرغوا ويعكفوا على توظيف البحث العلمي في خدمة وتطوير المجتمع العلمي العربـي، وسيؤدي ذلك إلى تحفيز الباحثين على الخلق والإبداع والابتكار، ولعل إنشاء مدينة "مبارك"

للأبحاث العلمية والتطبيقية برعاية رجال الأعمال والاقتصاديين المصريين يعد خطوة مهمة وحيوية في هذا المجال.

١٣- ضرورة إنشاء "المجمع العلمي العربي للمستقبل" بحيث يماثل المجمع الذري الأوربي، ويكون تحت رعاية القيادة السياسية العربية، وتتضمن أهدافه الرئيسية وضع خطة عربية شاملة لتوظيف الإمكانات العربية الحاضرة، وإجراء مسح شامل للمشاكل العربية العلمية والتكنولوجية على المستوى العربي للتنسيق بينها في التشخيص والعلاج، وعمل نظام دائم للإشراف والمتابعة والتقويم لخدمة وحماية الاختيارات العربية المستقلة.

١٤- ضرورة نشر الوعي النووي بين الجماهير العربية وبصفة مستمرة، وأن يكون هناك تفاعل بين المؤسسات النووية وبين الرأي العام على مستوى الوطن العربي كله، والاهتمام بدراسة مادة الفيزياء النووية في

جميع المراحل التعليمية خاصة وأن إسرائيل دائما ما تلوح باستخدام الردع بالأسلحة النووية ضد العرب بدلا من الردع بالأسلحة التقليدية.

١٥- ضرورة إنشاء هيئة أبحاث الفضاء العربية وذلك لتحقيق أهداف محددة منها: صناعة الفضاء في الاتصالات، والرصد الجوي وإدارة الموارد، وتصنيع الأقمار الصناعية، وهناك عوامل اقتصادية واستراتيجية وتكنولوجية تحتم الدخول في صناعة الفضاء، ويتمثل العامل الاقتصادي في حجم العائد الذي يمكن أن تجنيه الدول من صناعة الفضاء التي أصبحت سوقا تجارية يتراوح حجم الأموال المستثمرة منها بين (١٠٠ – ١٤٠) بليون دولار حتى عام ٢٠٠٤[٢٢]، ويتمثل العامل الاستراتيجي في أن أراضي الدول جميعا أصبحت نهبا مستباحا لكاميرات التصوير التي تنقل كافة

المعلومات لمن يملك هذه الأقمار، ومن ثم أصبح الرد الوحيد لموازنة هذه القدرة عند الآخرين هو امتلاك القدرة المماثلة، أما العامل التكنولوجي، فهو لا يقل أهمية عن البعدين الاقتصادي والاستراتيجي، ذلك أن صناعة الفضاء هي صناعة عالية التقنية، وهي من ناحية أخرى تؤدي إلى ظهور صناعات أخرى مغذية ذات تقنية عالية وتسمح بنمو قطاع صناعي متخصص في التقنيات العالمية لم يكن ليوجد في غياب هذه الصناعة.

١٦- إدخال مقرر علمي إجباري على كل البلدان العربية على كل الطلاب يدرسونه إما في السنة النهائية من دراستهم في المدارس الثانوية أو في السنة الأولى من دراستهم الجامعية، على أن يكون هذا المقرر موحدا وأن تعد مفرداته وأساليب تدريسه وتتولى الإشراف عليه جهة محايدة من الجهات

العلمية التابعة للجامعة العربية، ويهدف هـذا المقرر إلى بث الروح العلمية والتفكير العلمي المنهجي لدى الطالب العربـي، إن إكسـاب الشباب العربي حب البحث العلمي ومهاراتـه المختلفة وكيفية استخدامها في حياته العلميـة والخاصة يساعد على خلق المنـاخ العلمـي المؤمن بأهمية العلم والبحـث العلمـي بـل وأهمية الإبداع العلمي وضروراته الوطنية.

أحد عشر: بناء القدرة التكنولوجية العربيـة الذاتيـة ودعمها

إن التكنولوجيا في أي مجتمع لا تنفصل عن الدراسات العلمية النظرية القائمة فيه وعن القدرات التنبؤية والإبداعيـة التي يمتلكها علماؤه، وعلى ذلك فإن أكبر خطأ نرتكبه فـي عالمنا العربي المعاصر هو أن نركز على دراسة التكنولوجيا وتطبيقاتها ونواتجها دون أن يتواكب مـع ذلـك أو يسـبقه التركيز على التقدم العلمي على المستوى النظري، كمـا أن من أسباب تخلفنا عـن الركـب الحضـاري فـي الميـدان التكنولوجي هو أننا نكتفي فـي معظـم الأحيـان باسـتيراد

التكنولوجيا ولا نحاول إنتاجها وهو ما لا يمكننا من مواجهة التحدي الإسرائيلي في هذا المجال.

إن المدخل السليم هـو العمـل علـى بنـاء قـدراتنا التكنولوجية ودعمها باستمرار، وتلك هي مسئولية العلماء في الجامعات ومراكز البحوث العلمية.. بعبارة أخـرى يكـون هدفنا ممارسة التكنولوجيا بدلا من أن نقنع باستيراد منتجات التكنولوجيا، ولأول مرة يبدو هذا الطمـوح متجـاوزا كـل الحدود والقدرات المتاحة، والمهمة لا شك تكتنفها الصعوبات وتحتاج إلى جهود مكثفة ومثابرة، ولكنها ليست معجزة بـأي حال من الأحوال وما دمنا نتفق علـى ضـرورة أن تكـون التكنولوجيا ملائمة لأهدافنا ولإمكاناتنا، ومن ثم فإن الخطوات التي ينبغي السير عليها لبناء القدرة التكنولوجية العربية تتمثل فيما يلي:

- انتقاء التكنولوجيا الملائمـة لواقـع المجتمـع العربي.
- تطويع التكنولوجيا المنقولة بما يوفر لها أسباب النجاح في بيئتنا العربية.

- من خلال الجهد التكنولوجي المكثف الذي يبذل في مجال الانتقاء والتطويع واطـراده، تتولـد القدرة على إبداع أساليب تكنولوجية جديدة، وقد تكون البدايات متواضعة لكنها لابد وأن تلقـى كل تشجيع وستعقبها بالتأكيـد نتـائج جـديرة بالاحترام.

ومن الآليات التي يمكن أن تسهم فـي بنـاء القـدرة التكنولوجية العربية الذاتية، تثوير التعليم التكنولوجي وذلـك عن طريق الإكثار من تأسيس مدارس تكنولوجيـة خاصـة بالتعليم الأساسي والثانوي وكليات تكنولوجيـة، وضـرورة ارتباط التعليم التكنولوجي على اختلاف مراحلـه بالمنشـآت الصناعية والإنتاجية، كما يجب أن تكون هناك قاعدة علميـة وتكنولوجية قوية يقودها ويديرها علماء أكفـاء، وأن يكـون هناك إيمان راسـخ لـدى الـدول العربيـة بأهميـة العلـم والتكنولوجيا في تقدم الدول، والأخـذ بمـنهج الاستشـراف التكنولوجي وفقا لظروف كل دولة عربية بحيث تعتمد عملية الاستشراف التكنولوجي على عدد من العوامل مثل البحـث العلمي، ومراكز المعلومات، والاكتشافات العلمية وبـراءات

الاختراع، والدراسة الدقيقة لأسباب تقدم الـدول الناهضـة تكنولوجيا مثل اليابان ودول النمور الآسيوية ورصد خبراتهم وتجاربهم في الاستشراف، كما يمكن بنـاء مراكـز التميـز التكنولوجي كأهم قاعدة للتنمية التكنولوجية بمشـاركة بـين الحكومات العربية وقطاع الأعمال، تكون مهمتها الأساسـية تطوير التعليم التكنولوجي من خلال إثراء المنـاهج بـالمواد العلمية والتكنولوجية وتنويع بنيات التعليم العالي وجعلها أكثر مرونة.

وأود أن أشير إلى أمرين هامين في مجال بناء القدرة التكنولوجية العربية الذاتية:

الأمر الأول: هو أننا في صراع مع إسرائيل مازلنـا دون المستوى اللازم في تكنولوجيا جمع المعلومات وتحليلها واستخلاص ما وراءها من حقائق خفية.. وتعد المعلومـات اليوم موردا مثله كمثل الموارد الطبيعية يمكن تسخيره فـي خدمة أهدافنا لو أننا عرفنا السبيل إلى تحقيق ذلـك، وهـي مورد ذو صفات شاذة تختلف عن صفات الموارد الطبيعيـة، وهي بعد ذلك تعد مصدر قـوة ومصـدر ثـروة كالغـذاء والبترول.. وتعتمد تكنولوجيا المعلومـات علـى العنصـر

البشري، كما أن فهمها والتعامل معها لا يحتاج إلى شـخص عالم أو شاب متفوق، فمن المعرف أن بعـض الإنجـازات المذهلة التي تحدثت في هذا المجال تمت على أيدي طلبة لم تتجاوز أعمارهم ١٩ سنة.. وعلى هذا الأساس قامت إنجلترا بإنشاء (١٥٠) مركزا من مراكـز تكنولوجيـا المعلومـات لتدريب الشباب من سن (١٦) إلى (١٩) سنة من العـاطلين (وأغلبهم من غير المؤهلين) وقد كانت هذه التجربة مشـجعة مما أدى إلى تعميمها.[٢٣]

وللأسف الشديد فالدول العربية تعاني تخلفا كبيرا فـي مجال تكنولوجيا المعلومات بالنسبة لإسرائيل فما زلنا نعتمـد أساسا على الغير في هذه الصناعة وخاصة صناعة البـرامج وليس صناعة الآلات فقط، مما يعرضنا لاختراق معلومـاتي قد يلغي كل نوع من أنواع الاستقلالية لدى الشعوب العربيـة ثقافيا وسياسيا واقتصاديا، كما أن تعامل اللغة العربيـة مـع الحاسبات يرتكز على الحروف فقط دون الكلمات والجمل، إذ يتطلب تعامل اللغة العربية ككل مع الحاسبات الآلية دراسـة التقنيات اللازمة للغة العربية والإلمام الكامل بخصائص اللغة وامكاناتها وهو ما لم يتحقق بعد.[٢٤]

ولما كان سوق العمالة سوف يرتبط بهذه الصناعة في المستقبل فلابد من ربط التعليم العربي بهذه الصناعة حتى يجد الخريج مكانا في سوق العمل، الأمر الذي يتطلب تعميم علوم ونظم الحاسب الآلي في برامج التعليم في مختلف مراحل الدراسة في البلاد العربية، وتدريب الطلاب على استخدام الحاسبات الآلية وبرمجة مواد الدراسة، وإدخال الحاسب الآلي في مجال الإدارة والمكتبات، كما أن التغيرات السريعة والمتلاحقة تستدعي أن تكون للبرامج التعليمية المرونة الكافية التي تجعلها قابلة للتعديلات اللازمة لمواجهة هذه التغيرات بسهولة، كما يتطلب الأمر تطويع الحاسبات الآلية للتعامل مع اللغة العربية وهو أهم التحديات في نظرنا، وإذا كان العديد من المؤسسات في العالم العربي قد اهتم في السنوات الأخيرة بالحاسبات الآلية واستخداماتها، إلا أن هذا تم دون تخطيط محكم ودون هدف محدد واضح خاصة على مستوى الجامعات والدراسات العليا.

إن أمامنا شوطا لملاحقة التطورات التي حدثت في مجال تكنولوجيا المعلومات، واستخدامها لصالحنا استخداما مستقلا لا تابعا يتلقى ما يتفضل علينا به طرف آخر من

معلومات قد تكون مشبوهة أو قد تأتي في غير موعدها، ولنذكر هنا أن هناك فيضا عارما من المعلومات متاح وفي متناول اليد لو عرفنا مكانه وسبل الحصول عليه، وإنما المسألة المهمة هي أن نمتلك وسائل تجميعه منهجيا وتحليله تحليلا سليما، ثم استرجاعه في الوقت المناسب وبالشكل المناسب فيكون أساسا لاتخاذ القرار الرشيد.

أما الأمر الثاني الذي أود أن أنوه إليه فهو تلك الظاهرة الحضارية التي أخذت تتشكل في عالمنا المعاصر على هيئة عدد من التكنولوجيات الجديدة ومن أهمها:

١- التكنولوجيا الحيوية: ومن أهم معالمها ذلك التقدم الذي أمكن إحرازه في مجال الهندسة الوراثية بالنسبة للإنسان والحيوان والنبات والتي أسهمت بدور عظيم في زيادة معدلات الإنتاجية في هذه المجالات، وتعتبر بعض الأبحاث العلمية واكتشافاتها في هذا الميدان أقرب إلى الخيال، من ذلك اكتشاف أنواع من مضادات الأجسام التي تطلق بروتينات لا تخطئ في تعقب الخلايا الغريبة في خلايا الإنسان مثل خلايا السرطان، وزيادة الإنتاج الحيواني عن طريق

اختصار فترة الحمل عند الأبقار، وتقليل فترة النمـو للأسماك والحيوانات، كما أمكن تغييـر الخصـائص الوراثية للنبات وزيادة الإنتاج الزراعي كما وكيفـا، وتكبير حجم النبات مثل إنتاج الطمـاطم العملاقـة، ونقل الخصائص الوراثية من نوع لآخر.(٢٥)

٢- تكنولوجيا الإلكتروضوئيات: ويعتبر هذا الميدان من أرفع مجالات التكنولوجيا العالمية، وهو يعكس عمليـة تزاوج بين علوم الإلكترونيات من ناحية والضـوئيات من ناحية أخرى، ومن أبرز اكتشافات هذه التكنولوجيا أشعة الليزر التي تستخدم في الوقت الحالي في مختلف المجالات، والآليات الضوئية التي أسهمت بتقدم هائـل في وسائل الاتصالات.(٢٦)

٣- تكنولوجيا المواد المتقدمة: فمن المعروف أن المـواد المستخدمة كانت دائما تلـك التـي وهبتهـا الطبيعـة للإنسان، مثال ذلك الرمال التي تتحول إلـى زجـاج، وخام الحديد الذي يتحول إلى معادن، ولكن العـالم الآن يقف على مشارف حقبة جديدة من الزمن أصبحت فيها المواد المستخدمة من صنع الإنسان.. وفـي السـنوات

الأخيرة بدأ ينهمر من المعامل تيار من المواد الجديـدة التي صنعها الإنسان، ومن ذلك الزجاج الذي ينثني دون أن ينكسر، وشرائح البلاستيك التي تفوق الحديـد فـي القوة، والمعادن القابلة للامتداد.(٢٧)

٤- تكنولوجيا صناعة الفطريات: وسيكون لهـا خـلال القرن الحالي ما كان للفيزياء والكيمياء من مكانة ودور مبدع واستخدامها في أغراض الطاقة وغذاء الإنسـان والحيوان.(٢٨)

٥- تكنولوجيا استصلاح الأراضي الصحراوية، وفي هذا المجال أمكن الاستفادة من تجارب الدول المتقدمة فـي مجال تنمية السـلالات الزراعيـة والحيوانيـة التـي لا تستهلك إلا قدرا محددا من المياه الجوفية وكـل مـا يتعلق بالتنمية في بيئة صحراوية.(٢٩)

٦- تكنولوجيا القطاع المالي والتجاري: وهـي تتصـل بالبرمجة والإحصاء، والتحكم الآلي في الإدارة، والذكاء الاصطناعي في صنع القرار، واقتصاديات المشروعات والسياحة والفندقة ودراسات الجدوى.(٣٠)

٧- ولن أخوض أكثر لإلقاء المزيد من معالم التكنولوجيا في عالمنا المعاصر ومناقشة آثارها الاجتماعية والسياسية والعسكرية، وإنما أشير إلى أن الكيان الصهيوني يهتم بامتلاك ناصية هذه التكنولوجيات، وأن له فيها إسهامات رائدة ومشهودة، وأنه حريص على تطويعها لخدمة أغراضه المدنية والعسكرية.

اثنا عشر: التأكيد على إبراز معالم الشخصية العربية كأمر أساسي وضروري من ضروريات البناء الذاتي للأمة العربية.

لقد طرح العدو الصهيوني صورة مشوهة بالسلبيات للشخصية العربية والفلسطينية بالذات، واستثمرها على نطاق واسع في أدبيات التربية، كما أنه نجح إلى حد كبير في نقل ونشر تلك الصورة المشوهة إلى أوساط قطاع واسع من الرأي العام العالمي، الأمر الذي انعكس بصورة مفجعة على تقدم قضايانا الوطنية والقومية والإنسانية، ونظرا للتقصير الكبير الذي نلمسه لدى نظم التعليم والتربية العربية، فإن الأمر يتطلب تحديد وتوضيح السمات الأساسية الايجابية للشخصية العربية ذات الأبعاد الحضارية الملتزمة بالعقلانية

والجدية والمسئولية والتي تتمسـك بتعـاليم الـدين والقـيم والعادات الأخلاقية العربية الأصيلة كالترابط الأسري والكرم والوفاء والصدق والصبر والتعـاون، وإبـراز أن العـادات والتقاليد الدخيلة التي دخلت مجتمعنا تمثل أسـاليب سـلوكية مستوردة لا تتمشى مع أصالتنا، فالأنانية والاهتمام بالجوانب المادية هي سلوكيات أخذناها من المجتمعات الغربية، وتقليد الأوربيين في الزي والشراب والرقص هي أمور تتنافى مـع ديننا وقيمنا.

وفي هذا الصدد ينبغي استغلال علم التاريخ في إبـراز الأدوار التاريخية لبعض الشخصيات العربية وإبراز بطولاتها على مسرح التاريخ العربي، واتخاذها كقدوة لنا في حياتنـا وسلوكياتنا، وتخليص تاريخنا العربي من تشـويه الحقـائق وتحريفها من وجهة النظر الاستعمارية والصـهيونية التـي تسيء إلى الشخصية العربية، وطـرح ملامـح الشخصـية العربية الأصيلة في نظم تعليمنا وتربيتنا وخاصة في أدبيات الأطفال وقصصهم.

ثلاثة عشر: تدعيم آلية الإعلام العربي

لابد لنا كعرب أن نعترف بأن علينا أن نبذل جهودا كبيرا في المجال الإعلامي حتى نكسب الرأي العام الدولي إلى جانب القضية الفلسطينية، ولابد أن نعترف بأننا على الرغم من مرور أكثر من خمسين عاما على اغتصاب فلسطين وقيام دولة إسرائيل، فإننا لم نتمكن من بناء استراتيجيات ومؤسسات إعلامية دولية تتصف بالاستقرار وتعمل وفقا لخطة إعلامية لكي نخاطب بها الرأي العام الدولي ونعرض عليه عدالة القضية الفلسطينية.

لقد سبقتنا الآلة الإعلامية الإسرائيلية بما تملكه من إمكانيات مادية ودعائية سبقا ملحوظا في هذا المضمار، فهي تجيد لعبة الدعاية الموجهة، وهي تحترف ذلك النوع من الخطاب الإعلامي الذي يبتز مشاعر الإنسانية، ويعزف بخبث وفكر مقصودين على أوتار معينة من شأنها أن تكسب تعاطفا من قطاعات شعبية في أماكن كثيرة من العالم خاصة في أوربا وأمريكا.. وهؤلاء المتعاطفون مع إسرائيل لم يسمعوا صوتا غير صوتها، ولم يتعرضوا لمنطق غير منطقها، ومن ثم فإنهم يتقبلون برامجها بما يشبه التسليم،

ويتعاملون مع أكاذيبها على أنها الصدق واليقين، ودعونا نسلم بأننا نتحمل المسئولية عن هذا الوضع المختل، فنحن أخلينا وما زلنا نخلي ساحة الإعلام الدولي لإسرائيل وحدها حيث تصول فيها دون منافس، وتجول دون منازع مما خلق انطباعات حسنة وجيدة عن صورتها على الرغم من كل المجازر التي ترتكبها في حق الأبرياء الفلسطينيين، وأسهم في تكوين انطباعات سيئة ورديئة عن صورة المواطن العربي على وجه العموم وعن صورة المواطن الفلسطيني على وجه الخصوص.

إن الإعلام العربي حتى الآن لم يتمكن من استغلال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في عرض القضايا العربية وتحليلها من مختلف الأبعاد، وبدلا من أن توجه بعض القنوات الفضائية العربية برامجها وفق تخطيط علمي إعلامي لتحقيق هذا الهدف، إذ بها توجه الكثير من برامجها لنقد الأنظمة العربية الأخرى بالباطل ومحاولة النيل منها، مما يسهم في إيجاد الفرقة والانقسام بين الأنظمة والدول العربية.

إن على الدول العربية بما تملكه مـن ثـروات ماليـة وإمكانيات مادية أن تخطط لانتفاضة إعلامية تتسم بالاتسـاق والتفاعل، تغطي القارات الست، وتستخدم إمكانـات ثـورة المعلومات والاتصالات من شبكات إنترنت وقنوات إرسـال فضائية ومحطات إرسال إذاعية وصـحف ومجـلات فـي عرض حقوق الفلسطينيين العادلة فـي تحريـر واسـتعادة أراضيهم، وإبـراز الممارسـات العنصـرية الإسـرائيلية، وتصوير الجرائم البشعة التي ترتكب ضـد أبنـاء الشـعب الفلسطيني والتي تمثل انتهاكـا صـارخا لحقـوق الإنسـان وخروجا سافرا على مواثيق الشرعية الدولية. نريد انتفاضة إعلامية عربية تنقل الأفكار لا ترمـي الأحجـار، فـالحجر الفلسطيني للأسف الشديد يقع في نهاية الأمر تحـت رحمـة القصف الذي تقوم به طائرات (إف ١٦) الإسرائيلية والتـي هي صناعة أمريكية.. إن ما تملكه إسرائيل من أشد أنـواع الأسلحة لا يمكن أن يقف أمام انتقال الفكـرة، وفـي هـذه الانتفاضة سوف نخاطب الضمير الإنساني حيثما وجد، سوف نخاطب ضمائر الآباء والأمهات والطلاب والأحـرار فـي العالم كله ليشهدوا ويفهموا مأساة كل أب فلسطيني وأحـزان

كل أم فلسطينية ومحنة كل طالب فلسطيني، وليشاهد الجميع الاختبار القاسي الذي يتعرض له ضـمير الإنسـانية فـوق الأرض الفلسطينية وتحت نيران البطش الإسرائيلي، ولسـت أريد أن أقول إننا سوف نتجاهل مخاطبة الحكومات وصـناع القرار، وإنما أريد أن ألفت الانتباه إلى حقيقة ما وصلت إليه الأوضاع الإعلامية والاتصالية في العصر الحديث، مؤكـدا أن ثورة الاتصالات سـوف تجعـل الأفـراد والجامعـات والأحزاب السياسية والجمعيات الخيرية تملك تـأثيرا ربمـا يفوق تأثير الحكومات نفسها.. علينـا أن نخطـط لنضـال إعلامي نستطيع به أن نحول القضية الفلسطينية من قضـية شعب لتكون قضية الإنسانية كلها.

أربعة عشر: التحفظ على الدعوى إلى ثقافة السلام في ظل استمرار الاحتلال الإسرائيلي لأراضي العربية

إن ثقافة السلام بين العرب وإسرائيل لن تتحقق إلا وفقا لمبدأ "الأرض مقابل السلام" ويقضي هذا المبـدأ بانسـحاب إسرائيل من جميع الأراضي التي احتلتها في عـام ١٩٦٧،

وإعادة الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني مقابـل اعتـراف العرب بها.

وهناك بعض المحاولات المشبوهة التي تستهدف نشـر ثقافة السلام بين العرب وإسرائيل، من هذه المحاولات تلـك التي تقوم بها منظمة "بذور السلام" وهي إحدى الهيئات التي أسسها الكاتب الأمريكي "جون والاش" في عام ١٩٩٣.[٣١]

تعرف المنظمة نفسها على لسان القائمين بأمرها قائلة: "نحن منظمة أهلية غير ربحيـة ومحايـدة ولا شـأن لنـا بالسياسة، وكل مرادنا أن نساعد صـبيان وصـبايا الـدول العربية وإسرائيل على أن يتعلموا مهارات صنع السلام، وقد جعلنا المعسكر الذي أقمناه في غابات ولاية "مين" في الشمال الشرقي للولايات المتحدة مختبرا لمساعدة تلك الفئات علـى التفاهم والتفاعل المتبادل، ومع استخدام تقنيات وفنون حـل الصراعات. فإننا نتيح لأولئك الفتيان أن يتفهموا ويتقمص كل منهم الآخر. إننا نسلح الجيل القادم بالأفكار والقدرات القيادية اللازمة لإنهاء دورة العنف وإقامة السلام على الأرض".

وقد نجحت المنظمة في بداية عملها في جمع (٥٠) فتى وفتاة من ثلاثة أقطار شرق أوسطية بينها إسرائيل، وبمضي

الوقت نجت في جذب أبناء ثماني دول بالمنطقة هي إسرائيل والأردن وفلسطين ومصر والمغرب وتونس وقطر واليمن، ووصل عدد المشاركين في المعسكر الصيفي الذي أقيم في يونيو ١٩٩٧ إلى (٤٠٠) شخص قدموا من تلك الدول، وهؤلاء تم انتقاؤهم من بين ألفي فتى وفتاة تقدموا للالتحاق بالمعسكر، ويؤكد أصحاب هذا البرنامج أن مشروعهم لقى حفاوة من مختلف الجهات المعنية بمستقبل الشرق الأوسط، والذي يعنينا في هذا المقام: ما الذي يجري في هذا المعسكر الكبير في "مين"؟

يذكر القائمون على المشروع أنهم يقدمون للصغار الوافدين من الشرق الأوسط خدمات متنوعة في إطار برامج موضوعة تغطي المجالات الآتية:

- برنامج التعايش الذي يعد المحور الأساسي للمشروع كله، فالجلسات المخصصة له تعقد يوميا بحيث يشارك فيها خبراء علم النفس وعلماء الاجتماع مع الفتية والفتيات الذين يمثلون طرفي الصراع، وفي الجلسات التي يديرها أولئك الخبراء، يعبر المشاركون الفتيان

عما يجول بخاطرهم في شأن مختلف القضايا، ويتحدثون عن تصوراتهم للآخر وعن أحلامهم وتطلعاتهم، والذين يـديرون الحـوار يتولـون ترشيد مساره وتوجيهه بصفة مستمرة بحيـث يخدم الهدف الأصلي من إجرائه المتمثـل فـي تفريغ الذاكرة وإعادة تشكيلها، وباسم الصـدق وتبادل الثقة ومد جسور الفهم والاحترام، تفـتح ملفات الذكريات "المؤلمة" الكامنة في وعي كل جانب، فينفس كل واحد من الغضب المخـزون داخله ثم يشترك بإشراف الخبراء سالفي الذكر في البحث عن إجابات وحلول عديدة للمشكلات القديمة.(٣٣)

- الخدمات الدينية: ثمة حرص على أن يؤدي كل طرف شعاره أمام الآخر لكي يتعرف على تلك الشعائر عن قرب، ويحترم أصحابها، والمنظمة تسمى الشعائر:"احتفالا دينيا"، فالمسلمون يؤدون صلاة الجمعة في ساحة ملعب كرة القدم التـابع للمعسكر بينما يراقبهم الآخرون من المدرجات

المحيطة "الصلوات اليوميـة الخمـس ليسـت مهمة، لأن المظهر الفولكلوري هـو الأهـم"، وعند غروب الشمس يوم الجمعة يؤدي الفتيان اليهود احتفالهم الديني على مرأى من الجميـع، وهو ما يتكرر مع المسـيحيين صـبيحة يـوم الأحد، ومقصود بتتابع الطقوس على ذلك النحو أن يتهيأ الجميع لإمكانية تحقيق التعـايش بـين الأطراف التي تخلت عن صـراعاتها ودفنـت ماضيها.

- عروض ثقافية: حيث تقدم مـن خلالهـا كـل مجموعة نماذج من تراثها وأغانيها ورقصـاتها في إطار تعريف كل مجموعة بثقافـة الآخـر وتقاليده وأعرافه.
- برامج فنية: وبمقتضاها يشترك الجميع في أداء بعض الفقـرات الفنيـة، ويشـبع الموهوبـون رغباتهم في الرسم والتلوين والكتابة.
- برامج رياضية: وهي تتم مـن خـلال إقامـة التمارين الرياضية المشتركة بدعوى التعـاون،

وتنظيم المباريات بين الفرق بدعوى التنافس الشريف.[٣٤]

وحتى يحقق البرنامج غرضه، فإن منظميه حرصوا على أن يقيموا بين الأفراد المشاركين في تلك المعسكرات خطوط اتصال مستمرة عبر شبكة الكترونية مغلقة على أعضائها، وهو ما يبعث على التساؤل والارتياب؛ لأن الأمر إذا كان مقصورا على حمل رسالة السلام بين الناس، فما موجب السرية فيه؟

ولا يقف الأمر عند هذا الحد، وإنما هناك جهد موازٍ لاستخدام خريجي بذور السلام في أنشطة أخرى تبشر برسالتهم، والذي لم أفهمه وأستغربه حقا هو: لماذا نتطوع بإرسال تلاميذ بعض المدارس العربية لكي يتعرضوا لعملية غسيل الدماغ ومحو الذاكرة في الولايات المتحدة الأمريكية ضمن ما يسمى "برنامج بذور السلام".. إن ثمة علاقات مع إسرائيل تمليها ضرورات، وهناك أمور لنا فيها خيارات، وما يندرج في الشق الأول له ما يبرره حتى وإن لم نوافق عليه، أما حين يتعلق الأمر بالخيارات، فالسعة المتاحة فيها تمكننا من اتباع أفضلها أو أمثلها، وكان ظني أن المشاركة

في برنامج مشروع بذور السلام ليست من الضرورات بأيـة حال، وأنها إلى الخيارات أقرب، ولهذا فإني أسـمح لنفسـي بالاستباق ووصف المشـاركة العربيـة فـي المعسـكرات والأنشطة التي تتم في هذا الإطار أنها خاطئة لـم يحالفهـا التوفيق، والمفسدة فيها مقطوع بها بينما المصـلحة منعدمـة بالمرة.

ولا يقف الأمر عند هذا الحد، وإما هناك جهد مـواز لاستخدام خريجي بذور السلام في أنشـطة أخـرى تبشـر برسالتهم.. وأحد أبرز تلك الأنشطة ما سمي "مؤتمر القمـة الأول لشباب الشرق الأوسط" الذي عقد في شهر مايو ١٩٩٨ في سويسرا وضم (٧٥) فتى وفتاة مـن الواعـدين الـذين انتظموا في المعسكرات سالفة الذكر، وأصدر هذا المـؤتمر عدة مبادئ منحازة لإسرائيل رغـم تأكيـد المنظمـة بأنهـا محايدة، من هذه المبادئ:

- ضرورة تجاوز الماضي ونسـيانه (إسـرائيل وحدها تتذكر وتتشبث بماضي أسطوري مـر عليه أكثر من ألفي عـام، وتغيـر خـرائط فلسطين بحيث تطلق على بلدانها الأسماء التي

وردت في التوراة وتحفر تحت المسجد الأقصى بحثا عن هيكل سليمان).

- تغيير البرامج التربوية والتعليمية والإعلامية، وهو مطلب إسرائيلي كرره من قبل "شيمون بيريز" في "دافوس" يستهدف إخفاء معالم الجريمة الإسرائيلية في فلسطين ومحو اسم "صلاح الدين" محرر القدس من الذاكرة.
- نبذ العنف بمعنى وقف المقاومة في الوقت الذي تمارس فيه إسرائيل العنف تجاه الفلسطينيين والمتمثل في هدم بيوتهم والاستيلاء على أراضيهم وحجز الآلاف منهم في السجون والمعتقلات.[٣٥]
- بالنسبة لحق اللاجئين الفلسطينيين في العودة، اقترح المؤتمر إلغاء وكالة غوث اللاجئين "أنوروا" والدعوة إلى إنشاء لجنة متعددة الجنسية للتنمية الفلسطينية وتوطين اللاجئين في فلسطين، أي حشر ما يقرب من (٧) ملايين فلسطيني في خمس أراضي فلسطين

التاريخية، وتكافئ اللجنـة متعـددة الجنسـية هؤلاء المواطنين الجدد بالمساعدات المالية مع تقديم مساعدات اقتصادية للدولة الفلسـطينية، ورغم معرفتنا مـن ناحيـة المبـدأ أن لكـل الفلسطينيين الحق في العودة إلى ديارهم سواء في فلسطين أو إسرائيل، فإن المؤتمر يرى أن تنفيذ هذا الحق في إسرائيل ليس عمليا وغيـر ممكن، لأن إسرائيل أنشئت كدولـة يهوديـة وحيدة ومن هنا فلها الحق في الحفـاظ علـى شخصيتها اليهودية والأغلبية اليهودية بالشكل الذي تراه مناسبا، كما أن لإسرائيل احتياجات أمنية خاصة، ويمكن أن يسمح لشريحة مـن الفلسطينيين بتقديم طلب عودة إلى إسرائيل بعد خمس سنوات من إنشاء الدولـة الفلسـطينية، ولابد لمن يقدم هذا الطلب أن تكـون قريتـه مازالت قائمة (لا تنسى أن إسـرائيل هـدمت (٤١٨) قرية مسحتها من الوجود) وما زالـت عائلته (ليسـت العائلـة الممتـدة بـل أهلـه

المباشرون) مقيمة بالقرية، وأن يكون صاحب الطلب مستعد للتنازل عن الجنسية التي يحملها ليصبح مواطنا إسرائيليا، وألا يكون قد شارك في أعمال غير قانونية، ولا يشكل تهديدا لدولة إسرائيل، والمدة المقررة لتقديم هذه الطلبات في ظل قانون لم الشمل تسع سنوات، ولإسرائيل حق القول الفصل في عدد من تقبل عودتهم أو ترفض.

هذه المبادئ والقرارات التي أصدرتها جمعية بذور السلام المزعومة لم تشر بكلمة إلى قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الصادرة عام ١٩٤٨ الذي ينص على ضرورة عودة اللاجئين وتعويضهم، ولم تشر كلمة إلى قانون العودة الإسرائيلي الذي يمنح كل يهودي في العالم حق الاستيطان في إسرائيل.[٣٦]

وفي قلب القاهرة وعلى ضفاف النيل، يوجد مركز أكاديمي إسرائيلي أنشأته إسرائيل بحجة أنه مركز ثقافي يتردد عليه يوميا عشرات الشباب المصري، ومعظمهم من طلاب الأقسام العبرية في كليات الآداب بالجامعات المصرية

والذين يترددون على المركز أملا في الحصول على كتـب ونشرات تساعدهم في دراستهم، إلا أنهم يسقطون في شـبكة هذا المركز، فالكتيبات التي يحصلون عليها تحوى دعايـات كاذبة عن إسرائيل ويتم من خلالها تجميل وجهها القبيح، ففي إحدى الكتيبات والذي يحمل عنوان "السلام الآن:"، نقرأ معا هذه السطور: - "في وثيقة إعلان استقلال الدولة فـي (١٤) مايو ١٩٤٨، مدت إسرائيل يدها إلى جميع الدول المجـاورة وشعوبها، وعرضت عليها إحلال السلام وإقامـة علاقـات الجوار الحسنة، ولكن الدول العربية أصرت طـوال ثلاثـة عقود على رفض هذه الدعوة التي عرضها رؤساء إسـرائيل المتعاقبون"، وفي نفس الكتيب وفي فصل بعنـوان "القـدس عاصمة إسرائيل" تروج إسرائيل لموقفها الداعي لأن تكـون القدس عاصمتها الأبدية.

والخطير في الأمر أن أعداد الطلاب الذين يزورون هذا المركز المشبوه في تزايد مستمر، حيث يقوم المركز بترغيب الطلاب لزيارة إسرائيل للسياحة أو العمل أو للدراسة أو لأي سبب آخر تحت شعار التطبيع والتبادل الثقافي، وإشاعة ثقافة السلام مقابل تسهيلات مالية إلى جانـب اسـتخدام الفتيـات

الإسرائيليات الحسناوات اللائي يقمن بإغراء الشباب[٣٧]، إن الأمر جد خطير ويحتاج إلى وقفة فلابد من البدء في حملـة توعية لتنبيه شبابنا إلى خطورة الانزلاق نحو هـذا المركـز المشبوه.

وقد تبنت مؤسسة اليونسكو وبتشـجيع مـن الولايـات المتحدة الأمريكية دعوة الدول العربية إلى الالتـزام بثقافـة السلام وتطبيق برنامج اسمه "التعليم من أجل السلام" يتضمن تغيير المقررات الدراسية للأطفال العـرب لتجميـل وجـه إسرائيل وتبشيع الحرب على الإطلاق، وجعل عام (٢٠٠٠) عام نشر ثقافة السلام.[٣٨]

إن المنطق الكامن وراء هذه الدعوة، أننا كدول وشعوب عربية نتبنى العنف كوسيلة رئيسية في التعامل مع إسرائيل، ومن ثم فهناك ضرورة إلى نبذ العنف والتخلي عن أساليب الدفاع عن النفس، وتحرير شعوبنا حتى نرقى إلى المسـتوى الحضاري لإسرائيل المسالمة البريئة التي لم تمارس أي فعل عدواني إزاء العرب.

إذا كانت إسرائيل مسـتمرة فـي احـتلال الأراضـي العربية، فكيف تتم الدعوة المشبوهة الآن لثقافة السـلام.. إن

هذه الدعوة تستهدف ترويض الشخصية العربية، وقد سبق للولايات المتحدة الأمريكية حين انتهت الحرب العالمية الثانية أن صممت برامج لترويض كل من الشخصية اليابانية والشخصية الألمانية بزعم أن الثقافة اليابانية والثقافة الألمانية فيها ميول كامنة للعسكرة والعدوان، وفرضت الولايات المتحدة الأمريكية عديدا من السياسات الثقافية والتعليمية لتغيير اتجاهات الطلبة اليابانيين والألمان والشعب الياباني والألماني عموما لكي تكون الاتجاهات مسالمة.

إن دعوة الدول العربية إلى الالتزام بثقافة السلام في ظل الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية بحيث يتم نزع كل الفقرات الواردة في المؤلفات والمراجع بالمدارس والجامعات العربية والتي تشير إلى إسرائيل إشارات عدوانية، يعني في الواقع تزوير التاريخ ومحو الذاكرة التاريخية، ثم إن هذه الدعوة إلى ثقافة السلام دعوة مجردة فهي لا تشير إلى السلام القائم على العدل.

إن الدول العربية لا يمكنها قبول ثقافة السلام التي تدعو إليها اليونسكو والولايات المتحدة الأمريكية، لأن الهدف الاستراتيجي منها هو ترويض الشخصية القومية العربية

ونزع دوافع النضال لديها، ومحو تراثها الوطني في مقاومة الأعداء، وفي الدفاع عـن الأرض والعـرض، ولأن ثقافـة السلام كما هي معروضة علينا هي خدمة مباشرة لأهـداف إسرائيل الاستعمارية. لماذا لا توجه الدعوة لثقافة السلام إلى إسرائيل التي لا تزال تحتـل الأراضـي العربيـة؟ ولمـاذا لا توجه الدعوة إلى فئات الشـعب الإسـرائيلي المتطرفـة والمسكونة بكل نزاعات العنـف المـدمر والتـي تمـارس الإرهاب كل يوم؟.

إن الممارسات الإسرائيلية في الوقت الحالي لا تتوافـق وثقافة السلام، فهناك مخطط لهدم المسجد الأقصى وإزالتـه بهدف إقامة هيكل سليمان على أنقاضه.. وقد قامت إسرائيل بإنشاء معهد بناء الهيكل منذ عام ١٩٨٦ والذي يعتمـد فـي تمويله على عدة جهات حكومية، وهو مـا يـدل علـى أن المسألة ليست وقفا على المتطرفين وإنما هي سياسة حكومية جند لها أولئك المتطرفون من هذه الجهات وزارات الشـئون الدينية والسياحة والتربية وبلدية القدس، ويضم المعهد أكثـر من (٢٠) باحثا وعالما في مختلف فـروع المعرفـة، وهـم يستخدمون الحاسب الآلي والتكنولوجيـا المتطـورة لرصـد

جميع المعلومات المتعلقة بالهيكل ومستلزمات شعائره وغير ذلك من الصفات التوراتية القديمة.[٣٩]

وتحرص إسرائيل على انتهـاك حرمـات المقدسـات الإسلامية من حين لآخر، فقد اقتحم "آرييل شـارون" زعـيم حزب الليكود في ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠ المسجد الأقصـى فـي حماية "ثلاثة آلاف جندي" مدعيا أن زيارته هي زيارة واجبة على كل يهودي، وهو ما أثار مشاعر الفلسطينيين وأدى إلى اشتعال الانتفاضة التي كان سلاحها الحجارة بينما تمثل سلاح الإسرائيليين في إطلاق الرصـاص والقنابـل والصـواريخ واستخدام الطائرات وآخرها طائرات (إف ١٦) الأمريكيـة وهو ما نجم عنه استشهاد الآلاف من الفلسطينيين وإصـابة عشرات الآلاف منهم، فهل تساعد هذه الأوضاع على نشـر ثقافة السلام.. وماذا يمكن لإسرائيل أن تقوله للعالم الذي شهد بالأمس القريب من خـلال شـبكات الانترنـت ومحطـات التليفزيون استشهاد الطفل "محمد الدره" وهو في حضن أبيه، وماذا تقول إسرائيل للعالم أمام استشهاد الطفلة "إميان حجـو" الذي بثته تليفزيونات العالم ووكالات الأنبا ء والذي يزلـزل كيان أي إنسان مهما تكن ملته أو دينه.. طفلة رضيعة لم تبلغ

من العمر أربعة أشهر، ما ذنبها حتى ينالها هـذا العـدوان الأسود الذي لا يفرق بين طفل وشيخ وامرأة، ومـاذا يقـول العالم في استشهاد الرضيعتين الفلسطينيتين وبعده وبعده.. إلخ فمتى يصحو العالم ومتى يتحرك لإنقاذ شعب أعزل لا يملك إلا الحجارة للدفاع عن نفسه.

لقد حدث خلال الأسبوع الأخير من يوليو ٢٠٠١ قيـام عشرة من أفراد جماعة أمناء "جبل الهيكل" – وهي جماعـة يهودية متطرفة – بوضع حجر أساس رمزي لهيكل مزعوم للنبي "سليمان" عليه السلام إشارة منهم إلى أنهـم سـيبنون هيكل سليمان على أنقاض المقدسات الإسلامية مما أدى إلـى تصدي الفلسطينيين لهذا العمل، ولو حدث ذلك فإن إسـرائيل ستنقل معركتها مع الفلسطينيين إلى معركة مع مليار وربـع مليار مسلم هم عدد المسلمين في أرجاء العالم. إن مصـلحة إسرائيل من وجهة نظر بعض البـاحثين تتطلـب اسـتمرار الصراع مع العرب، وعدم التوصل إلـى سـلام، لأن ذلـك يمنحها القوة وتحقيق الوحدة المفتقدة بين الجماعات اليهوديـة المتنافرة، ويضفي علـى المجتمـع الإسـرائيلي التماسـك والوحدة.

إن الأخذ بثقافة السلام يتطلب انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة وعودة اللاجئين إلى أراضيهم، وصرف التعويضات المستحقة لهم وتوافر مناخ ثقافي يتجاوز الصراع بين الأطراف المعنية، ويركز على إيجاد عقلية قادرة على حسم الصراعات بالوسائل السلمية، وترسيخ القيم الخاصة بالتسامح والتعايش والحوار وقبول الآخر والواقعية.. وفي الوقت الذي يتناسب فيه هذا التوجه مع طبيعة الثقافة العربية، فإنه يتناقض مع طبيعة الثقافة الإسرائيلية التي ترتكز على أساس من أيديولوجية القوة والعنف التي زرعتها الصهيونية في النفس اليهودية وجعلتها استراتيجية عامة للدولة اليهودية، فالتحول من ثقافة الصراع إلى ثقافة السلام هو بمثابة تغيير جذري في طبيعة الشخصية الإسرائيلية، ونحن نتوقع أنه في حالة التوصل إلى اتفاقيات سلام بين العرب وإسرائيل، فإن إسرائيل ستأخذ بالشكل الخارجي لثقافة السلام، وستحافظ في الباطن على قيمة الصراع، وهي قيمة موروثة من التراث اليهودي من ناحية ومن الحضارة الغربية من جهة أخرى، ولذلك فإن السلام لن يضع نهاية للصراع، لكن سيؤدي إلى تغيير في الأدوات

والوسائل المستخدمة في الصراع، حيث يأخذ الاقتصاد والثقافة الدور الأول، ويتأخر الصراع على المستوى السياسي والعسكري، وهو يتأخر شكلا لا موضوعا.

إن العرب إذا كانوا ينشدون السلام مع إسرائيل، فإن عليهم في نفس الوقت الوصول إلى مستوى الردع اللازم لحماية الأرض، ومن باب أولى استعادة ما سلب منها، وحينما نقول الردع، نعني وبطريقة مباشرة الدخول في نادي الذرة وبأي طريقة كانت.. إن العقل العربي مؤهل، والمال العربي وفير، وما ينقصنا وينتقص منا إلا شيء واحد وهو الصمت العربي.

هوامش الدراسة

١- أفانزيني "الجمود والتجديد في التربية المدرسية"، ترجمة عبد ا عبد الدايم (بيروت، دار العلم للملايين) ١٩٨١، ص.ص ٢٥٨-١٦٠.

٢- الجامعة العربية، المجلس الاقتصادي، "تقرير إحصائي عن حجم النشاط التجاري بين الدول العربية"، مطبوعات الجامعة العربية، ٢٠٠٠، ص ١١.

٣- التكامل الإقليمي بين دول المشرق العربي، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ٢٠٠١، ص.ص ٥٥-٥٧.

٤- نفس المصدر السابق، ص.ص ٥٨-٦٠.

٥- فؤاد محمد شبل: "منهج توينبي التاريخي"، سلسلة الكتب الثقافية، (٢٠٩)، القاهرة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٨، ص٤١.

٦- محمد أحمد زقوت، "مناهج المواد الاجتماعية في مدارس الوطن العربي، الواقع والمشكلات، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٤، ص ١١٦.

٧- وليد سليم عبد الحي، "موقع القضية الفلسطينية والصراع العربي الإسرائيلي في مناهج التعليم في الوطن العربي" في المستقبل العربي، السنة ٨، العد ٨٥، مارس ١٩٨٦، ص.ص ١٠٩-١١٦.

٨- وليد سليم عبد الحي، "موقف القطاع الجامعي من الرأي العام العربي والصراع العربي الإسرائيلي" (دراسة ميدانية)، المستقبل العربي، السنة (٣)، العدد (٢١)، ٢١ نوفمبر ١٩٨٠، ص ٢١٠.

٩- James N-Rosenau et al, "Of Syllabi, Texts Students and Scholarship in International Relations: Some Data and Interpreation on the State of Burgeoning Field", World Politics,

Vol, ٢٩, No, (٢) (january) ١٩٨٨, p.p ٢٠٣-٢٠٤.

١٠- البنك الدولي، "تقرير عن التنمية فـي العـام ١٩٩٩/٩٨"، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٩٩، ص ٥١٣.

١١- نفس المصدر السابق، ص ٦١٣.

١٢- محمد خميس الزوكة، "جغرافية العالم العربي" دار المعرفة الجامعية، الإسـكندرية، ١٩٩٧، ص ٢٠٣.

١٣- فتحي محمد أبو عيانـة، "جغرافيـة العـالم العربي" دار المعرفة الجامعية، الإسـكندرية، ١٩٩٦، ص ٣٢٥.

١٤- البنك الدولي، "تقرير عن التنمية في العـالم"، ٩٨/ ١٩٩٩، مصدر سابق، ص ٦٣٤.

١٥- السيد عليوه، "أين نحن مـن جامعـة الغـد"، الأهرام في ٢٣/ ١٠/ ١٩٩٤.

١٦- إبراهيم جميل بدران، "جامعة الغد، رؤية عن التعليم الجامعي"، مجموعة محاضرات الموسم

الثقافي لعام ١٩٧٩، مطبعة جامعة القـاهرة، ١٩٧٩، ص١٠.

١٧- Huges, D-J "What of Education For Future", Unesco, Paris, ١٩٨٨, p.١٣٣.

١٨- المجالس القومية المتخصصة، "هياكل وأنماط التعليم الجامعي وتطور التعليم الجامعي فـي مصر"، سلسلة دراسات تصدر عن المجـالس القومية المتخصصة، (٦) ١٩٨٠، ص ٤٥.

١٩- أحمد عامر، "جراحة عاجلـة فـي التعلـيم"، الأهـ ـرام الاقتصـ ـادي، ٩/ ١٢/ ١٩٩١، ص٣٢.

٢٠- محمـد محـروس إسـماعيل، "اقتصـاديات التعليم"، كتاب الأهرام الاقتصادي، العدد ٢٧ سبتمبر ١٩٩٣، ص ٣٣.

٢١- وزارة القوى العاملة، "تقرير عن احتياجـات سوق العمل من الوظائف والمهن المستقبلية"، وزارة القوى العاملة، فبراير ١٩٩٩.

٢٢- أمين هويدي، "في الفضاء منتجون أم مستهلكون"، جريدة الأهرام، السنة ١٢٢، العدد ٤٠٦٩٩، ١٢/ ٥/ ١٩٩٨، ص ١١.

٢٣- نبيل علي، "العرب وعصر المعلومات" عالم المعرفة، العدد ١٨٤، الكويت، أبريل ١٩٩٤، ص ٣٦٧.

٢٤- نفس المصدر السابق، ص ٣٦٩.

٢٥- مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، تحرير محمد السعيد، (الثورة التكنولوجية خيارات مصر للقرن ٢١)، الطبعة الأولى، الأهرام، ١٩٩٦، ص ٣٥.

٢٦- نفس المصدر السابق، ص ٣٧.

٢٧- مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، تحرير محمد السعيد، "مبادرة للتقدم" (استيعاب التكنولوجيا المتقدمة في مصر)، الأهرام، ١٩٩٧، ص ١٤.

٢٨- نفس المصدر السابق، ص ١٦.

-٢٩ مصطفى طيبة، "الثورة العلمية والتكنولوجيـة والعالم العربي"، الطبعة الأولى، دار المستقبل العربي، ١٩٨٣، ص ٨٧.

-٣٠ نفس المصدر السابق، ص ٩٥.

-٣١ فهمي هويدي، "لننفض أيدينا من هذه اللعبة"، الأهرام ٩ مايو ٢٠٠٠، ص ١١.

-٣٢ نفس المصدر السابق، ص ١١.

-٣٣ نفس المصدر السابق، ص ١١.

-٣٤ نفس المصدر السابق، ص ١١.

-٣٥ اليونسكو، "قرارات مؤتمر القمة الأول لشباب الشـرق الأوسـط، مـايو ١٩٩٨، جنيـف، مطبوعات اليونسكو، ١٩٩٩.

-٣٦ نفس المصدر السابق.

-٣٧ طارق التهامي، "أصابع إسرائيل في الجامعات المصرية"، الوفد، ١١ نوفمبر ١٩٩٩ ص ٥.

-٣٨ اليونسكو، "التعليم من أجل السلام" بـاريس، ١٩٩٨.

٣٩- فهمي هويدي، "اختبار للعـرب والمسـلمين"، الأهرام في ٣١ يوليو ٢٠٠١، ص ١١.

خاتمة

إن الفكر التربوي وتطبيقاته له مكانة كبيرة في المجتمع الإسرائيلي الذي هو حاصل جمـع أصـول متنـاثرة وثقافات متباينة ومتعارضة، حيث أمكن من خلاله إعادة صياغة هذا الشتات في بوتقة واحدة تنـتج مخرجـات متجانسة، فالفكر التربوي وتطبيقاته في إسرائيل يمثـل صمام الأمن وسياج القوة الأكثر أهمية بالنسبة لمستقبل إسرائيل.

ومن خلال هذه الدراسة نستطيع الخروج بالنتائج الآتية:

- تتعدد مصادر الفكر التربوي الإسرائيلي حيـث تتمثـل فـي النصـوص الدينيـة المقدسـة، والأيديولوجية الصهيونية، والتـاريخ اليهـودي الممتد، والفكر الغربي.
- الفكر التربوي الإسرائيلي المعاصـر ذو بعـد علمي، يؤكد على الاسـتيطان وتقـدير قيمـة العمل، وإذكاء الحس اليهودي بضرورة الهجرة إلى فلسطين.

- الفكر التربوي الإسرائيلي المعاصر ذو أبعـاد اجتماعية وثقافية، فهو فكر موجه نحو تحقيـق التماسك الاجتماعي، وتنمية الوعي بالتضـمن بين جميع يهود العالم، واتخاذ اللغة العبرية أداة لتحقيق وحدة المجتمع ومحاولة تقويض أركان الثقافة العربية.
- الفكر التربوي في إسرائيل ذو أبعاد سـيكلوجية تؤكد على المعاناة اليهودية عبـر العصـور، وترسيخ مقولة تمايز اليهود على غيرهم مـن البشر، وتشويه صـورة العـرب وإظهـارهم بالصورة الدونية في سلم الحضـارة البشـرية وبث مشاعر الحقد والكراهية نحوهم.
- الفكر التربوي في إسرائيل فكر موجـه لبـث الـروح العسـكرية الشـوفينية فـي نفـوس الإسرائيليين والاستعداد الدائم للحرب، واعتبار الخدمة في جيش الـدفاع الإسـرائيلي واجـب مقدس.

- الفكر التربوي الإسـرائيلي يسـتهدف تحقيـق التفوق العلمي والتكنولوجي إيمانا منه بأن العلم والتكنولوجيا أساس تقدم المجتمعات.

وأخيرا.. لا يسعنا إلا أن نكرر دعوتنا لرجال الفكر التربوي في البلاد العربية لوضع فلسفة تربوية عربية قـادرة علـى مواجهة مخططات الكيان الصهيوني وذلك في إطار فلسـفة شاملة تشترك فيها التربية مـع سـواها مـن المؤسسـات المجتمعية العربية الأخرى، بحيث تكون أهم ملامحها التأكيد على المصير الواحد، وضرورة التحـام الوجـود العربـي، والإيمان بالعلاقة الجدلية المتحركة، والفاعلية بين المشـروع العربي الحضاري المعاصر وبين إيجابيات التراث العربـي الإسلامي.

مصادر الدراسة

أولا: المصادر العربية

١- إبراهيم خليل أحمد، "إسـرائيل والتلمـود"، دراسـة تحليلية، مكتبة الوعي العربي، القاهرة، ١٩٧٦.

٢- إبراهيم البحراوي، "قضية اختراق الثقافة الإسـرائيلية للثقافة العربية"، الأهرام، ٢٥/ ٧/ ١٩٩٨.

٣- إبراهيم نافع، "حقائق حول التعليم الديني في إسرائيل"، الأهرام، ٧/ ٥/ ٢٠٠٠.

٤- أبو عرفه، "الاستيطان، التطبيق العملي الصـهيوني"، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٨٥.

٥- "الاتجاهات الاستراتيجية للدولة العبرية في الخمسـين عاما المقبلة"، مؤتمر عقد في القدس فيما بـين (٢٥-٢٨ فبرايـر) ٢٠٠١، القـدس، أنظـر مختـارات إسرائيلية، مركز الدراسات السياسـية والاسـتراتيجية بالأهرام، أبريل ٢٠٠٠.

٦- "أثر الاحتلال الإسرائيلي علـى الأوضـاع السياسـة والاقتصادية في المناطق المحتلة"، الأرض، نـوفمبر ١٩٩١.

٧- الأرشيف في إسرائيل، شئون فلسطينية، العـدد (١٢) أغسطس ١٩٧٢.
٨- أحمد بهاء الدين، "إسرائيليات" القاهرة، ١٩٦٥.
٩- أحمد شلبي، "مقارنة الأديان" (١) اليهوديـة، مكتبـة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٦.
١٠- أحمد عثمان، "تاريخ اليهود، دار الشروق، القـاهرة، ١٩٩٤.
١١- أحمد علي مرسي وفاروق محمد جودي، "الفولكلـور والإسرائيليات"، القاهرة، ١٩٨٦.
١٢- أحمد فهمي القطان، "تاريخ التربية"، مطبعة مدرسـة طنطا الصناعية، ١٩٢٣، جـ١، التربية قبل الإسلام.
١٣- أدير كوهين، "وجه قبيح في المرآة"، انعكاس النـزاع العربي اليهودي على الأدب العبري للأطفال"، ترجمة غازي السعيد، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، ١٩٨٨.
١٤- إسرائيل جورلنج، "مطلوب تعليم تكنولوجي لكل تلميذ في إسرائيل"، مختارات إسرائيلية، مركز الدراسـات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، يوليو ١٩٩٩.

١٥- إسرائيل، "العقيدة العسكرية وشئون التسلح"، بيـروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشـر ومركـز العـالم الثالث للدراسات والنشر، بيروت، المؤسسـة، لنـدن، المركز ١٩٨٢.
١٦- أسعد السحمراني، "من اليهودية إلـى الصـهيونية – الفكر الديني اليهودي في خدمة المشـروع السياسـي الصهيوني"، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٣.
١٧- أسعد عبد الرحمن، "المنظمة الصـهيونية العالميـة"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعـة الثانيـة، ١٩٩٠.
١٨- أسعد مرزوق، "التلمود والصهيونية"، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٠.
١٩- إسلام كمال، "إسرائيل ونظرية الأمن القومي"، مركـز الدراسات السياسية والاستراتيجية، الأهرام، ١٩٩٧.
٢٠- أسماء غريب بيومي، "التربيـة الأساسـية فـي أدب الأطفال – دراسة مقارنة بين مصر وإسرائيل"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنـات جامعـة عـين شمس، ١٩٩٢.

٢١- إسماعيل راجي الفاروقي، "أصول اليهودية في الـدين اليهودي" معهد الدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٣.
٢٢- إسماعيل صبري عبد ا ، "في مواجهـة إسـرائيل"، القاهرة، ١٩٦٩.
٢٣- اعتماد خاف، "صورة البطل المقدم للطفل العبري في مجتمع الحرب والسلام"، رسالة دكتوراه غير منشورة، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عـين شـمس، ١٩٨٩.
٢٤- الفرد م – ليلنتال، "المناورات الصهيونية لاسـتدراج اليهود للهجرة إلى فلسطين"، في "الصـهيونية حركـة عنصرية"، أبحاث مؤتمر طرابلس حول الصـهيونية والعنصرية، ٢٤/ ٢٨ يوليو ١٩٧٩، ترجمة عـدنان كيالي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشـر، ١٩٧٩.
٢٥- أميرة حسن، "أول مؤتمر دولي لهندسـة المفـاعلات النووية بتل أبيب"، العدد ٣٩٩٤ – جريـدة الأهـرام ٢٩/ ٣/ ١٩٩٤.

٢٦- أمين هويـدي، "الأمـن الإسـرائيلي بـين التطـور التكنولوجي والجمود السياسي"، الأهرام، ١٦ يونيـو ١٩٩٨.
٢٧- أمين هويدي، "في الفضاء، منتجـون أم مسـتهلكون"، الأهرام العدد ٦٩٩ في ١٢/ ٥/ ١٩٩٨.
٢٨- أنطون ب زحلان، "العلم والتعليم العالي في إسرائيل" ترجمة محمد صـالح العـالم، مؤسسـة الدراسـات الفلسطينية بالاشتراك مع دار الهلال ١٩٧٠.
٢٩- انطون ب زحلان، "العلم والتكنولوجيا فـي الصـراع العربي الإسرائيلي"، سلسلة أوراق مؤسسة الدراسـات الفلسـطينية (١٦)، بيـروت، مؤسسـة الدراسـات الفلسطينية ١٩٨٧.
٣٠- باسم سرحان، "التربية والتنشئة في الكيبـوتز"، فـي "الأبعاد التربوية للصراع العربي الإسرائيلي"، مركـز دراسات الوحدة العربية، جامعة الكويت، ١٩٨٦.
٣١- باسم سرحان، "التعاون العالمي بين أمريكا وإسرائيل" الوطن، الكويت، ١٩/ ١٢/ ١٩٩٤

٣٢- بدر سمرين، "مفاهيم العمل والاستيطان في مناهج التعليم الإسرائيلية"، دار الرواد، بيروت ١٩٩٣.
٣٣- برنشاتين ر – توماس، "دافيد بن جوريون"، ذكريات، كتب مترجمة، المخابرات العامة – تل أبيب.
٣٤- "التربية القومية في المدارس الإسرائيلية"، شئون فلسطينية، العدد ٦ (أيلول/ سبتمبر ١٩٨٦).
٣٥- تقرير عن التنمية في العالم ١٩٩٨، "المعلمون والتعليم في عالم متغير"، اليونسكو.
٣٦- "تقرير لجنة خبراء دراسة مناهج وكتب التاريخ المقررة على الطلاب اليهود في فلسطين المحتلة" ٢٢/ ٥/ ١٩٩١، بيروت.
٣٧- تيودور هرتزل، "يوميات هرتزل" ترجمة مركز الأبحاث الفلسطينية، بيروت، ١٩٦٨.
٣٨- جمال حمدان "اليهود أنثروبولوجيا"، دار الهلال، القاهرة، سلسلة كتب الهلال، فبراير ١٩٩٦.
٣٩- جمال كمال، "حقيقة أقمار إسرائيل الصناعية وحرب المعلومات"، صحيفة الجهورية، العدد ١٥٤٠٦، السنة ٤٣، ١٣/ ٣/ ١٩٩٦.

٤٠- حامد ربيع، "النموذج الإسرائيلي للممارسة السياسية"، معهد الدراسات والبحوث العربية، القاهرة، ١٩٧٥.
٤١- حامد عمار، "مظاهر صارخة للعنصرية في الجامعات الإسرائيلية"، الأهرام، ١/ ٩/ ٢٠٠١.
٤٢- حسام سويلم، "توقعات حول تطوير تكنولوجيا الفضاء في إسرائيل خلال عقد التسعينات"، دراسات الدار العربية للدراسات والنشر والترجمة، العدد ٣١، مارس ١٩٩٠.
٤٣- حسن ظاظا، "الشخصية الإسرائيلية"، في عالم الفكر، الكويت، وزارة الإعلام الكويتية، ١٩٨٠، المجلد العاشر، العدد الرابع.
٤٤- داوننج دافيد، هيرمان جاري، "حرب بلا نهاية وسلام بلا أمل"، هيئة الاستعلامات، كتب مترجمة، رقم١٤١.
٤٥- ديفيد لانداو، "الأصولية اليهودية" ترجمة مجدي عبد الكريم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٤.
٤٦- "الدين – هل يشكل عاملا من الدرجة الأولى في المجتمع الإسرائيلي؟"، السياسة، الكويت، ١٨/ ٧/ ١٩٨٩.

٤٧- رشاد الشامي، "جولة في الدين والتقاليد اليهودية"، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٧٧.
٤٨- رشاد الشامي، "الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية"، سلسلة كتب ثقافية شهرية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، الكويت، رقم ١٢، يونيو ١٩٨٦.
٤٩- رشاد الشامي، "عجز النصر، الأدب الإسرائيلي وحرب ١٩٦٧"، القاهرة، دار الفكر للدراسات والتوزيع، ١٩٩١.
٥٠- رشاد الشامي، "القوى الدينية في إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة"، عالم المعرفة، الكويت، العدد ١٨٦، ١٩٩٤.
٥١- رشاد الشامي، "لمحات من الأدب العبري الحديث مع نماذج مترجمة"، مكتبة سعيد رأفت، القاهرة، ١٩٧٩.
٥٢- رشاد الشامي، "الوصايا العشر في اليهودية"، دار الزهراء، القاهرة، ١٩٩٣.
٥٣- روجيه جارودي "الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية"، دار الغد العربي، القاهرة، ١٩٩٦.

٥٤- روجيه جارودي، "إسرائيل والصـهيونية السياسـية"، ترجمة إبراهيم كيلاني، دمشق، ١٩٨٤.
٥٥- زكي نجيب محمود، "الأدب والأيديولوجية"، فصـول، مجلة الأدب والنقد، جـ٢، ١٩٨٦.
٥٦- سعيد إسماعيل علي، "التربية عند بني إسرائيل"، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٧.
٥٧- سعيد إسماعيل علي، "التربية اليهودية الصهيونية"، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٤.
٥٨- سعيد إسماعيل علي، "خصائص التعليم فـي الـوطن العربي ودوره في مواجهة التحدي الإسرائيلي"، فـي "الأبعاد التربوية للصراع العربي الإسرائيلي"، مركـز دراسات الوحدة العربية، جامعة الكويت، ١٩٨٦.
٥٩- سمير جبور، "العلـم والتكنولوجيـا فـي إسـرائيل"، ترجمات مختارة مـن مصـادر عبريـة، مؤسسـة الدراسات الفلسطينية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢.
٦٠- سمير هوانة، "نظام التعليم العام في الكيان الإسرائيلي، التطور الكمي والنوعي في التعليم العام حتـى بدايـة

الثمانينات"، المستقبل العربي، السـنة ٨، العـدد ٨٦، (يناير/ أبريل ١٩٨٦)
٦١- سلمى حداد، "الطلاب في إسرائيل"، بيروت، مركـز الأبحاث الفلسطينية، (د-ت).
٦٢- سناء عبد اللطيف حسين، "الاتجاهات الأيديولوجية في أدب الأطفال العبري المعاصر"، رسالة دكتوراه غيـر منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٩٢.
٦٣- السيد يسين، "تشريح العقل الإسرائيلي"، مريت للنشـر والمعلومات القاهرة، ٢٠٠٠.
٦٤- السـيد يسـين، "الحركـات الصـهيونية والعمليـات الاجتماعية – التقدم العلمي والتكنولوجي"، الأهـرام، ١٩/ ١٢/ ١٩٩٨.
٦٥- السيد يسين، "الشخصية العربية بين المفهوم الإسرائيلي والمفهـوم العربـي"، مركـز الدراسـات السياسـية والاستراتيجية، الأهرام القاهرة، ١٩٧٣.
٦٦- شيمون بيريز وآخرون، "الكيان الصهيوني عام ٢٠٠٠ – دراسات وأبحاث في الاسـتراتيجية الإسـرائيلية، ترجمة سمير غبور وآخرين، وكالة المنار للصـحافة

والنشر المحدود، نيقوسيا، قبرص، الطبعـة الأولـى، ١٩٨٦.
٦٧- صابر عبد الرحمن طعيمـة، "اليهـود بـين الـدين والتاريخ"، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٢.
٦٨- صبري جرجس، "التراث اليهودي الصهيوني والفكـر الفرويدي"، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٦٩.
٦٩- صفا محمود عبد العال، "التعليم غيـر النظـامي فـي إسرائيل، فلسفته وأهدافه ومؤسساته"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية جامعة عين شمس، ١٩٩٣.
٧٠- صفا محمود عبد العال، "حق المجتمع في المعرفـة"، من الصحافة العبرية، العدد ٢٧٠، السنة ١٨، جريـدة الأهالي، ٨/ ٣/ ١٩٩٥.
٧١- صفا محمود عبد العال، "مجـالات التعلـيم العلمـي والتكنولوجي في إسرائيل وتحدياتها للوطن العربـي"، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية جامعة عين شمس، ٢٠٠٠.
٧٢- صلاح الزور، "المتدينون في المجتمـع الإسـرائيلي"، رابطة الجامعيين، مركز الأبحاث، الجليل، ١٩٩٠.

٧٣- طارق الشيخ "التعليم في مدارس إسـرائيل، عسـكرة وشوفينية"، مركز الدراسات السياسية والاسـتراتيجية، بالأهرام، يوليو ٢٠٠١.
٧٤- طلال ناجي، "اتجاهات تعليم العرب فـي إسـرائيل"، مركز الأبحاث، الجليل، ١٩٩٣.
٧٥- طه المجدوب، "إسـرائيل والمشـروع الاسـتراتيجي الجديد للأمن والدفاع"، مركـز الدراسـات السياسـية والاستراتيجية بالأهرام، يناير ٢٠٠٠.
٧٦- ظفر الإسلام خان، "التلمود، تاريخـه وتعاليمـه"، دار النفائس، بيروت، ١٩٧١.
٧٧- عادل حسن غنيم، "حائط البراق أم حـائط المبكـى"، جامعة عين شمس ٢٠٠٠.
٧٨- عارف توفيق عطاري، "دور التربية اليهودية في بناء الفرد اليهودي، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، ١٩٧٧.
٧٩- عاطف غيث، "قاموس علم الاجتماع"، الهيئة العامـة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨.

٨٠- عاموس إيلون، "الإسرائيليون، المؤسسون والأبنـاء"، مترجم من العبرية، مركـز الأبحـاث الفلسـطينية، بيروت، ١٩٧٠.

٨١- عاموس بيرلمـوتر، "العسـكريون والسياسـة فـي إسـرائيل"، ترجمـة مؤسسـة الأرض والدراسـات الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٥.

٨٢- عبد الباسط سيد أحمد، "الجينوم والدين وجها لوجـه"، مجلة نصف الدنيا، ١/ ١٠/ ٢٠٠٠.

٨٣- عبد الرحمن الرشيدي، "الصراع العربي الإسـرائيلي في ظل المتغيرات الدولية والإقليمية"، مجلة الـدفاع، العدد الثالث، ١٩٩٣.

٨٤- عبد العزيز مصطفى، "إسرائيل ويهود العالم، دراسـة سياسية وقانونية"، منظمة التحرير الفلسطينية، مركـز الأبحاث، ١٩٦٩.

٨٥- عبد العظيم محارب، "الهجرة إلى إسرائيل، مشـاكلها وكيفية التصدي لها" مجلة شئون فلسطينية، العـدد ٨، ١٩٨٢.

٨٦- عبد القادر يوسف، "تعليم الفلسطينيين ماضيا وحاضرا ومستقبلا"، دار الجليل للنشر والدراسـات والأبحـاث الفلسطينية، عمان، ١٩٨٩.
٨٧- عبد ا العروي، "الأيديولوجية العربية المعاصـرة"، دار الحقيقة، بيروت، ١٩٧٠.
٨٨- عبده الراجحي، "الشخصية الإسرائيلية"، ١٩٦٩.
٨٩- عبد الوهاب الكيالي، "الكيبوتز أو المزارع الجماعيـة في إسرائيل، مركز الأبحاث الفلسـطينية، بيـروت، ١٩٦٦.
٩٠- عبد الوهاب المسيري، "أسرار العقل الصهيوني"، دار الحسام، القاهرة، ١٩٩٦.
٩١- عبد الوهاب المسـيري، "الأيديولوجيـة الصـهيونية، دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة"، عالم المعرفـة، الكويت، ديسمبر ١٩٨٢، العدد ٦٠.
٩٢- عبــد الوهــاب المســيري، "موســوعة المفــاهيم والمصطلحات الصهيونية – رؤيـة نقديـة"، مركـز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القـاهرة، ١٩٧٧.

٩٣- عبد الوهاب المسيري، "موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية"، جـ٤، نموذج تفسير جديد"، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩.

٩٤- عثمان سعدي، "المسألة اللغوية في الصراع العربي الإسرائيلي"، "الأبعاد التربوية للصراع العربي الإسرائيلي"، مركز دراسات الوحدة العربية، جامعة الكويت، ١٩٨٦.

٩٥- علي رءوف، "إطلالة على أدب الكراهية في فلسطين"، الهدف، الكويت، كانون الثاني/ يناير ١٩٨٩.

٩٦- عمر الخطيب، "أثر المؤسسات السياسية في تربية الفرد في الكيان الإسرائيلي"، في "الأبعاد التربوية للصراع العربي الإسرائيلي"، مركز دراسات الوحدة العربية، جامعة الكويت، ١٩٨٦.

٩٧- غسان كنفاني، "في الأدب الصهيوني"، سلسلة كتب فلسطينية ٢٢٢، ط٢ن بيروت، مركز الأبحاث الفلسطينية.

٩٨- فهمي هويدي، "دفاع عند الذاكرة والانتفاضة" الأهرام، ١٧ أبريل ٢٠٠١.

٩٩- فهمى هويدي، "لننفض أيدينا من هذه اللعبة"، الأهرام، ٩ مايو ٢٠٠٠.
١٠٠-فتحي محمد أبو عيانة، "جغرافية العالم العربـي"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦.
١٠١-قدري حفني، "الإسرائيليون – مـن هـم؟ - دراسـة نفسية"، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٩.
١٠٢-قدري حفني، "تجسيد الـوهم، دراسـة سـيكولوجية للشخصية الإسرائيلية"، الأهرام، القاهرة، ١٩٧١.
١٠٣-قدري حفني، "دراسـة سـيكلوجية فـي الشخصـية الإسرائيلية"، مركز بحوث الشرق الأوسـط، جامعـة عين شمس، ١٩٧٥.
١٠٤-"القدس أمس.. واليوم.. وغدا" قصة مدينـة السـلام، هيئة الاستعلامات، ١٩٧٧.
١٠٥-كامل سعفان، "اليهود، تاريخ وعقيدة" دار الاعتصـام، القاهرة، ١٩٨٨.
١٠٦-كلمة "زبولون هامر"، الأخبار الأردنية ٨/ ٤/ ١٩٧٩.
١٠٧-الكنيست، "قرار لجنة التعليم التابعة للكنيست"، صحيفة هاآرتس في ٢٠/ ١٠/ ٢٠٠٠، مختارات إسـرائيلية،

مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، فبراير ٢٠٠١.
١٠٨-ماذا يعرف صغارنا عن الصراع العربي الإسرائيلي، الأخبار، عدد ١٥٤١، ٧/ ١١/ ٢٠٠٠.
١٠٩-مجلة شئون فلسطينية، عدد ٥٣ بيروت، مركز الأبحاث الفلسطينية، ١٩٧٥.
١١٠-محمد خليفة حسن، التاريخ اليهودي، الوفد، ١٢/ ٣/ ٢٠٠٠.
١١١-محمد خميس الزولة، "جغرافية العالم العربي"، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦.
١١٢-محمد سليمان مازن، "المرتكزات النفسية لتعليم الأطفال في إسرائيل"، منظمة التحرير الفلسطينية، وزارة التربية والتعليم العالي، دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان، ١٩٩١.
١١٣-محمد عبد الهادي، "التنظيم للبحث العلمي في إسرائيل"، مجلة الأهرام الاقتصادي، بتاريخ ٧ مايو ١٩٩٠.
١١٤-محمد فرج، "فلسطين عربية"، القاهرة، ١٩٧٦.

١١٥-محمد نبيل نوفل، "دراسـات فـي الفكـر التربـوي المعاصر"، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٨٥.
١١٦-محمود علي صميدة، "الشخصية العربية الفلسطينية في القصة القصيرة"، رسالة دكتوراه غير منشورة، كليـة الآداب جامعة عين شمس، ١٩٨٦.
١١٧-مختارات إسـرائيلية، مركـز الدراسـات السياسـية والاستراتيجية بالأهرام، فبراير ٢٠٠١.
١١٨-مختارات إسـرائيلية، مركـز الدراسـات السياسـية والاستراتيجية بالأهرام، مايو ٢٠٠١.
١١٩-"المذهب العسكري الإسرائيلي"، سلسة كتب فلسـطينية (١٩)، بيروت، مركز الأبحاث الفلسطينية، ١٩٨٢.
١٢٠-مرسي عطـا ا ، "عـن العجـز العربـي والنفـوذ الصهيوني"، الأهرام، بتاريخ ١٢/ ٤/ ٢٠٠١.
١٢١-مركز الأبحـاث الفلسـطينية، "الفكـرة الصـهيونية، النصوص الأساسية"، إشراف أنيس صـايغ، ترجمـة لطفي العابد وموسى عنز، بيروت، ١٩٧١.

١٢٢-مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، تحرير محمد السعيد، "الثورة التكنولوجية – خيارات مصر للقـرن العشرين"، الطبعة الأولى، الأهرام ١٩٩٦.

١٢٣-مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، تحرير محمد السعيد، "مبادرة للتقدم – استيعاب التكنولوجيا المتقدمة في مصر"، الأهرام ١٩٩٧.

١٢٤-مركز الدراسات السياسية والاسـتراتيجية، " التقريـر الاستراتيجي العربي١٩٩٩" الأهرام، يناير ٢٠٠٠.

١٢٥-مركز الدراسات السياسـية والاسـتراتيجية، "القلعـة النووية الإسرائيلية – القدرات والإمكانيات"، إصدارات دورية عن إسرائيل، يونيو ١٩٨٧.

١٢٦-مركز الدراسات الفلسطينية والصـهيونية، "محاضـر الكنيست"، الأهرام، ١٩٧١.

١٢٧-مزاي بوروش، "كتب تدريس العربية تتعمـد إهانـة الشخصية العربية"، مجلة اللغات الأجنبية، جامعة تـل أبيب، ترجمة مصطفى طايع، ١٩٩٧.

١٢٨-مصطفى زيوار، "دراسة في التفسير النفسي للسلوك الإنساني ورحلة اليهودي التائه من الجبن إلى الطغيان"، الأهرام بتاريخ ٩/ ٨/ ١٩٧٣.
١٢٩-مصطفى طيبة، "الثورة العلمية والتكنولوجية والعالم العربي"، الطبعة الأولى، دار المستقبل العربي، ١٩٨٣.
١٣٠-معتز سيد عبد ا ، "الاتجاهات التعصبية"، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٩.
١٣١-ممدوح عطية، "البرنامج النووي الإسرائيلي والأمن العربي"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧.
١٣٢-موسى حنا عنز، "الكيبوتز من الداخل"، دراسة سياسية وإدارية، بيروت مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٧٠.
١٣٣-ميخائيل روف، "تغير التاريخ"، مختارات إسرائيلية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ديسمبر ١٩٩٨.

١٣٤-ميخائيل روف، "حركة المؤرخين الجدد في إسرائيل"، مختارات إسـرائيلية، مركـز الدراسـات السياسـية والاستراتيجية بالأهرام، نوفمبر ٢٠٠٠.
١٣٥-ميشيل ايفناري وآخرون، "النقب وتحدي الصـحراء"، كتب مترجمة، هيئة الاستعلامات.
١٣٦-نادر فرجاني، "الإمكانات البشرية والثقافية العربيـة"، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٥٢، مركز دراسـات الوحدة العربية، بيروت، فبراير ٢٠٠٠.
١٣٧-نادر فرجاني، "خريطة العلم والعلماء فـي إسـرائيل والعالم العربي"، المشكاة، القاهرة، ١٩٩٨.
١٣٨-نادر فرجاني، "العرب في مواجهة إسرائيل – القدرات البشرية والتقنية"، المشكاة، القاهرة، ١٩٩٩.
١٣٩-نزار الريس، "البحث العلمي في إسرائيل" في "الأبعاد التربوية للصراع العربي الإسرائيلي"، مركز دراسات الوحدة العربية، جامعة الكويت، ١٩٨٦.
١٤٠-نبيل علي، "الثقافة العربية وعصر المعلومات – رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربـي"، عـالم المعرفـة،

المجلس الوطني للثقافة والفنـون والآداب، الكويـت، العدد ٢٦٥، يناير ٢٠٠١.
١٤١- هاني عبد ا ، "الأحزاب السياسـية فـي إسـرائيل"، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٨.
١٤٢- هدى عبد السميع حجازي، "التربية عند العبرانيين قبل التهجير إلى بابل وبعد العودة منها"، دراسات تربوية، عالم الكتب القاهرة، جـ ٤١، ١٩٩٢.
١٤٣- هيثم العسكري، "دراسة في العسـكرية الإسـرائيلية"، القاهرة، مطبوعات معهد البحوث والدراسات العبرية، ١٩٨٧.
١٤٤- وائل أمين القاضي، "التربية العنصـرية والتعصـب الصهيوني"، رسالة ماجستير غيـر منشـورة، كليـة التربية، جامعة عين شمس، ١٩٧٩.
١٤٥- ول ديورانت، "قصة الحضارة" ترجمة محمد بـدران، المجلد الأول،جـ١، لجنة التأليف والترجمة والنشـر، القاهرة، ١٩٦١.

١٤٦- وليد الجعفري، "المستعمرات الاستيطانية الإسـرائيلية في الأراضي المحتلة" (١٩٦٧ – ١٩٨٠)، بيـروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

١٤٧- يشاياهو ليبوتس، "معاداة السامية"، صـحيفة يـديعوت أحرونوت في ٧/ ٦/ ١٩٩٦، مختـارات إسـرائيلية، مركز الدراسات السياسية، والاستراتيجية بـالأهرام، يناير ١٩٩٧.

١٤٨- يورى أفنيري، "خمسون عاما من قيـام إسـرائيل"، مختارات إسرائيلية، مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، مارس ١٩٩٩.

١٤٩- يوري إيفانوف، "الصهيونية، حذار" دراسة سوفيتية في تاريخ وتنظيم وأيديولوجية الحركـة الصـهيونية، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٩.

١٥٠- يوسف مروة، "المؤسسات العلمية والثقافية والفنية في إسرائيل"، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، ١٩٨٧.

١٥١- اليونسكو، "مذكرة منظمة التحرير الفلسـطينية لـدى اليونسكو إلى مدير اليونسكو بشـأن ملامـح التربيـة

العنصرية في المـدارس الإسـرائيلية"، رقـم ١٦ – ١٩٩١.

ثانيا: مصادر عبرية تحت عناوين مترجمة إلى العربية

١- أكاديمية أوري ليفل، "لدينا باحثون مكفوفون" جريدة دافار، الملحق ٦١، ٢١/ ١/ ١٩٦٦.

٢- بنيامين نيتنياهو، "محاربة الإرهاب"، القدس، ١٩٩٩.

٣- دود تسوكر، "التعليم المهني، نظام إجباري صارم" تل أبيب والقدس، ١٩٨٥.

٤- راحيل ألفوسي، "التعليم العبري في دولة إسرائيل"، الفترة الأولى (١٨٥٤ – ١٩١٤)، الجامعة العبرية، القدس، وزارة التعليم والثقافة ١٩٨٦.

٥- راحيل ألفوسي، "التعليم العبري في دولة إسرائيل"، الفترة الثانية (١٩١٤ – ١٩٢٠) الجامعة العبرية، القدس، ١٩٩٠.

٦- ريلا مازالي، "التغلغل العسكري في المناهج والنظم التعليمية في المدارس الإسرائيلية"، مركز الأبحاث ووزارة التعليم والثقافة، القدس، ٢٠٠٠.

٧- سفر التكوين، الإصحاح: ٢٨.

٨- شيرا باير، "تعليم آخر"، جريدة دافار، المحلق، رقم ٤٥ (٢٩/ ١٠/ ١٩٩٥).
٩- شمعون يفتح، "التكنولوجيا النووية"، القدس، ١٩٩٥.
١٠- صحيفة معاريف الإسرائيلية بتاريخ ١٧/ ٥/ ١٩٩٨.
١١- قسم الإحصاء المركزي، الكتاب السنوي الإسرائيلي للإحصاء، جدول ١٣٠، ١٩٩٧.
١٢- لبنى موشون، "التكنولوجيا والحاسبات الآلية"، جريدة هاآرتس ٢٣/ ٢/ ١٩٩٩.
١٣- ليسطار، ريكاهاتا، "التأهيل اجتماعيا والحالة المهنية، تأثير التعليم التكنولوجي في إسـرائيل علـى الوضـع الاجتماعي لمتلقيه" الجامعة العبرية، القدس، ١٩٩٧.
١٤- مركز الإعـلام الإسـرائيلي، "الاقتصـاد" القـدس، ١٩٩٧.
١٥- مركز الإعـلام الإسـرائيلي، "البحـوث"، القـدس، ١٩٩٥.
١٦- م ليسك "أسباب التوجه المهنـي"، نمـوذج نظـري ومقاييس البحث، القدس، ١٩٧١.

١٧- "مؤتمر العسكرة في التعليم الإسرائيلي، النتائج والتوصيات"، الإدارات التعليمية والاجتماعية والأنثربولوجية في الجامعة العبرية، القدس، ٢٧ – ٣٠/ ١/ ٢٠٠١.

١٨- موشيه سميث، "الصراع حول جعل قيم اليهودية في إسرائيل مؤسساتية"، كلية الاقتصاد والعلوم الاجتماعية، الجامعة العبرية، القدس، ١٩٧٩.

١٩- موشيه ليسيك، "الصراعات الأيديولوجية والاجتماعية في إسرائيل"، مجلة سقيرا جودشيت"، العرض الشهري عدد رقم ٩ نوفمبر ١٩٨٢.

٢٠- موشيه ليفينتيش، "تاريخ يهود الشرق والعرب في العصر الحديث"، دار نشر أورعم، ١٩٨٧.

٢١- نشرة إعلامية، "إسرائيل الآن"، مركز الإعلام الإسرائيلي، القدس، ١٩٩٥.

٢٢- هارولد نوح: "إسرائيل: التعليم وسوق العمل"، تل أبيب والقدس، ١٩٨٥.

٢٣- وزارة التعليم والثقافة، "العلم والتكنولوجيا في إسرائيل"، القدس، ١٩٩٥.

٢٤- وزارة العمل، "التغيرات في البناء المهني – مصادر اقتصادية، متطلبات تخطيط القوى البشـرية"، القـدس، ١٩٩٥.

٢٥- وزارة العمل والرفاهية، "الممتحنـون فـي شـهادة الباجروت (الثانوية العامة) النظرية والمسـتحقون لنيـل شهادة الباجروت الدراسية وفقا للمهـن التـي خضـعت لاختبار التصفية والمتميزين في الامتحـان المسـتمر"، إحصاء ١٩٩٥.

٢٦- وولتر وآخرون، "التعليم في المجتمـع الإسـرائيلي الحاضر"، تل أبيب والقدس، ١٩٨٥.

٢٧- يشعياهو ليفوفتيش، "اليهودية، الشعب اليهودي ودولة إسرائيل"، (يهودت هيهودي أو مدنيات إسـرائيل)، دار نشر شوكن، القدس، ١٩٧٢.

٢٨- يعقوب كتس، "القومية اليهودية"، الملكية الصـهيونية التابعة للمنظمة الصهيونية العالمية، القدس، ١٩٧٩.

٢٩- يوسف بن دود، "الجامعات في إسرائيل"، تل أبيـب والقدس، ١٩٨٥.

ثالثا: المصادر الأجنبية:

١- Albright, W-f (١٩٤٩), "The Archaeology of Palestine", Harmonds Worth, Penguin Books.

٢- Alon, Y "Education in the ١٩٧٠'s. A Policy in implementation", in "Education in Israel" ed C. Ormain, Jerusalem: ch, Ministry Education and Culture, ١٩٧٣, "Hebrew".

٣- Arthur Hertzberg, "The Zionist Idea, A Historical Analysis and Reader", (New York) Wiley and sons, ١٩٦٦.

٤- Aviners Sholome: "The Making of Modern Zionsim and Racial Insight into Israel", Edited by Dr. D Leven, Hebrew University, Israel, ١٩٨٨.

٥- Ben – Gurion University of the Negav, "Office of the vice Presdent

and Dean for Research Profile", ١٩٩٢–١٩٩٣.

٦- Bentwich, Joseph, "Education in Israel" London, Routledge and Kegan Paul, ١٩٦٥.

٧- Bentwich, N "Palestine, Victor Golls", London, Z, ١٩٣٤.

٨- Elad Peled, "Israeli Education" in "Comparative Educational Systems", Edward Ignas – Raymond J corsini and Contributors, F.E Peacock Publishers, Inc, ١٩٨٣.

٩- Eshe E, Gottlieb & Micael Chen, the Visible and Invisible in Israeli Higher Education in the ٩٠s, Higher Education ٣٠, Netherland, ١٩٩٥.

١٠- Elboim, - Dror, R, "Encyclopedia of Education", Vol ٩ Organization of Education, Jerusalem: Ministry of Education and Culture, ١٩٨٧, (Hebrew).
١١- Ernest Krauz, ed "The Sociology of the Kibbutz", London, Transaction Books, ١٩٨٣.
١٢- Gerson Menachem, "Family Women and Socialization un the Kibbutz", Lexington Book, ١٩٧٢, U. S. A.
١٣- Herman, S-N, "Israelis and Jews", New Randome House, ١٩٨٣, Huges, D-J "What of Education for Future", Unesco, Paris, ١٩٨٨.
١٤- Ilan Troen, "Higher Education in Israel, An Historical Perspective",

Higher Education, ٢٣, Netherland, ١٩٩٢.

١٥- Israel Information Center, ١٩٩٧, Israel Von Az (In German), Israel Information Center Jerusalem.

١٦- James N-Rosenau et al, "Of Syllabi, Texts Students and Scholarship in Interpretation on the State of Burgeoning Field", "World Politics Vol, ٢٩, No (٢) (January) ١٩٨٨.

١٧- Kleinberger, Aharoan F., "Society, Schools and Progress in Israel", London, ١٩٦٩.

١٨- Laffont, Robert, L'Honneur D'Etre Juif.

١٩- Lam, z "Ideological Tensions – Conflicts about the Objectives of Education" in "Education in Israel", ed C Ormain. Jerusalem: Ministry

of Education and Culture, ١٩٨٦ (Hebrew)

٢٠- Lewy, A and Chen, M "Closing of Widenign of the Achievement Gap "in "Studies in Administration and Organization", No – ٤ (Fall ١٩٨٩).

٢١- Melford E- Spiro, "Children of the Kibbutz", New York, Chocken Books, ١٩٥٨.

٢٢- Minkovich, A., Davis. D. Bashi, J. et al, (An Evaluation Study of Israeli Elementary Schools", Jerusalem: The Hebrew University of Jerusalem, ١٩٨٧.

٢٣- Norman G. Finkelstien. "the Holocaust Industry", New York, ٢٠٠٠.

٢٤- Ormain, C. ed, "the Educational Encyclopedia" Ministry of Education, ١٩٩٧, (Hebrew)

٢٥- Parker, James, "A History of the Jewish People", Published in Pelican Books London, ١٩٧٢.

٢٦- Raz, "Science and Technology", The Uk. Israel Science and Technology Research Fund, The British Council in Israel, ١٩٩٧.

٢٧- Ripley, W., "the Races of Europe, A Sociological Study", London, Kegan Pual, ١٨٩٩.

٢٨- Roth, Cicil, "A Short History of the Jewich People", East and West Libraly, ١٩٦٩.

٢٩- Sarah Guri – Razenblit, "Trend of Diversification and Expansion" in Israeli Higher Education, Higher education ٢٥, Netherland, ١٩٩٣.

٣٠- Sacher, David, "Zoinism and the Jewish", London, ١٩٨٧.

٣١- Scaher, Howard Morley, "the Course of Modern Jewish History "Dalta, ١٩٦٩.

٣٢- Shamash, Org, "Science and Technology in Israel", Israel Research and Scientific Research, World Wid Web (WWW), ١٩٩٨.

٣٣- Shapira, R and E-Etzioni "Individual and Collective Values of Israeli Students, The Jewish Journal of Sociology, ١٢, ١٩٩٠.

٣٤- Sharraga Irmay, "The Development of Scientific" Hebrew, Technion Year book, ١٩٩٠.

٣٥- Tamarin, G, "The Israeli Dilemma", Essays on A Wafrare State, Rotterdam University, Press, ١٩٧٣.

٣٦- The Hebrew University of Jerusalem, "Research" ١٩٩٥,

Published by the Authority For Research and Development, The Hebrew University of Jerusalem, ١٩٩٥.

٣٧- The Israel Academy of Science, "Measuring the Size of Science", Jerusalem, ١٩٧٠.

٣٨- The Weizmann Institue of Science, "Scientific Activities" Rehvot, Israel, ١٩٩٤.

٣٩- Unesco, Satistical Year book, ١٩٩٧, Table ٤–٦

٤٠- Unesco, Statisitical Year Book, ١٩٩٩, Table, ٦–١١.

٤١- Unesco, ١٩٩٧, "World Information Report, ١٩٩٧–١٩٩٨", Unesco Publication Frame.

٤٢- Unesco (١٩٩٨): "World Science Report ١٩٩٨", Unesco Publications, United Kingdom.

٤٣- Yaldin Aharon, "Youth Movement Education and Science", Israel Pocket Libarty, Jeursalem, ١٩٧٣.

٤٤- Yaacov Iram, "Centralization Trends in Higher Education: Israel's Planning and Grant Commite", Higher Education, Netherland, ١٩٩٢.